الجاسوس رقم ١

رواية جاسوسية حافلة بالمغامرات

قصة نضال بين جاسوس ألماني وآخر انجليزي يشبه كل منهما الآخر

بقلم الكاتبة البلجيكية

مارتا ماكينا

مؤلفة روايتي

« الجاسوسة » و « مصرع الجاسوس »

تعريب

الاستاذ محمد بدر الدين خليل

فى العدد الشهرى

من هذه المجلة

أصدرت هذه المجلة فى أول ابريل الحالى عددها الشهرى الخاص بالقصة والأدب

وقد جاءنا من ادارة المطبوعات بوزارة الداخلية بشأن هذا العدد ما يلى

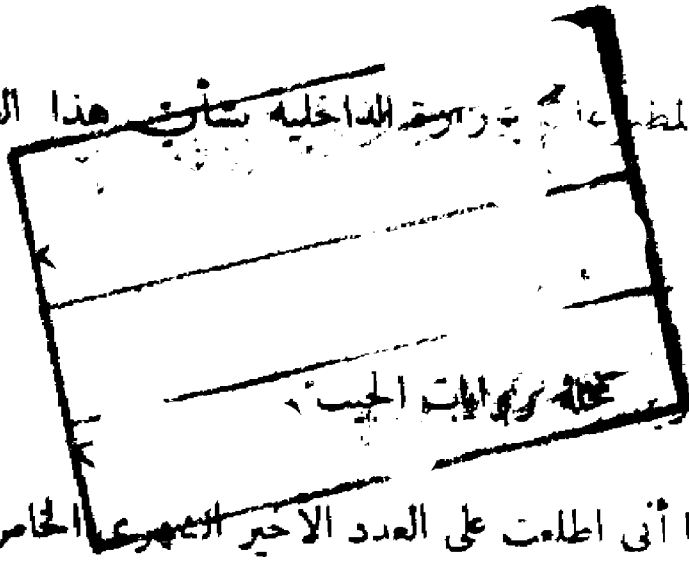

حضرة المحترم رئيس تحرير مجلة روايات الجيب

أتشرف باحاطتكم علما أنى اطلعت على العدد الأخير الشهرى الخاص من مجلة روايات الجيب « ابريل سنة ١٩٤٠ » ويؤلمنى ما لاحظته فى هذا العدد من أنه يرمى الى استغلال شهوات الجمهور جريا وراء غاية مادية بحتة وذلك أنكم نشرتم فيما نشرتم فى صفحة ٢٥ صورة رجل وامرأة يتعانقان بشكل يخل بالآداب العامة ولا يرضاه الذوق ولا العرف ولا القانون . وفى (تاجر الغرام) المتعلقة بهذه الصورة تكلمتم فى مكان بارز عن « العبير الذى يفوح من شعر هذه الحسناء وسكر النفوس » وعن « دفء جسمها الفياض بالشباب وهى الى جواره ملتصقة به فكان يبعث فى بدنه نشوة عميقة شاملة » .

مثل هذه الصورة ومثل هذا التعليق يثيران فى النفوس أحط الشهوات وليس لتحقيق مثل هـذا الغرض أنشئت مجلتكم أو الصحف بصفة عامة ولا سيما واننا لا زلنا فى عصر انتقال دقيق يجب أن يعمل الصحفيون على حمايته من سيل الأدب الفاسد الذى غمر بعض البلاد الأجنبيـة ومحا معالم الحياة الرفيعه فى معظم مظاهرها .

فنرجوكم فى المستقبل التفضل بالكف عن نشر أمثال هـذه الروايات الفاضحة وأن تكونوا أكثر عون على خدمة المبادىء السامية

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام .

٣ ابريل سنة ١٩٤٠

الامضاء

محمد صبرى

ونحن نشكر لحضرة صاحب العزة محمد صبرى بك مدير ادارة المطبوعات غيرته على الآداب العامة . وحرصه على صيانة المجتمع المصرى فى هذه الفترة الدقيقة من فترات الانتقال من كل ما يشوه مظاهر الحياة الرفيعة . ونؤكد لعزته أن هذه المجلة التى عملت منذ ظهورها على دعم الأخلاق ورفع مستوى الثقافة الشعبية بما تقدمه الى قرائها من روائع القصص الأدبية والأخلاقية . لم تحاول ولن تحاول استغلال شهوات الجمهور وإذا كان التوفيق قد اخطأنا فى اختيار بعض قصص هذا العدد الشهرى . فاننا سنعمل فى المستقبل على غربلة هذه القصص حتى نجعل منها صورة صادقة للمثل العليا التى ننشدها جميعا

وتحقيقا لرغبة صبرى بك واقرارا منا لوجهة نظره . قد سحبنا هـذا العدد من أيدى الباعة .

الفصل الاول

وحى .. والهام !

كان مسجل العقود بروت فيرهاجن ، حريصا على دراسة كل ظاهرة غريبة ، حتى أن درايته العامة بكل ظاهرة من هذا النوع فى أى ناحية من العالم ، كانت تشمل كل مايلوح سراً غامضا معميا ، أو أمرا عجيبا لاتكاد تصدقه العقول .

ومع ذلك ، فقد كاد يخرج عن هدوئه المعتاد ، عندما نفذ الى الصالون الذى كان يحتله فى الدرجة الأولى بقطار برلين — بروسلز السريع ، أحد المسافرين .. فقد بدت على فيرهاجن حيرة وذهول بالغان ، فراح من مجلسه الذى ارتاح اليه فى ركن من الصالون ، يحدق فى القادم الذى بدا له فى ملابس ملكية ، وان تمت تصرفاته وحركاته على انه تعود ارتداء الملابس العسكرية

وتقدم الرجل دون أن يعبى بالنظر الى فيرهاجن ، خلع سترته الصيفية الخفيفة ، وقفازيه ، ثم حجز مجلسه بان القى على المقعد المقابل للمسجل الذاهل عصاته وحزمة من الصحف وما لبث أن اقتحم الصالون فى جلبة وضجيج أحد الحمالين وقد أحضر حقيبة من الجلد الأسود ، رفعها فى حرص الى الرف المخصص للمتاع ، بيد أن فيرهاجن استطاع أن يلحظ بسرعة الاسم الذى رسم بحروف ضخمة بيضاء عليها .

ولا بد ان الأجر الذى منحه اياه القادم ، كان كافيا لارضائه اذ انه تحول أثناء خروجه من الصالون قائلا :

— ان بقية حقائبك ياهر فى عربة الأمتعة ، وقد وضعت عليها البطاقات اللازمة لتحمل الى السفينة .

وكان الصوت الذى أجاب به الرجل ، مبعث دهشة جديدة لفيرهاجن :

— شكراً . فلقد تمت بالمهمة سريعاً . ولولا مساعدتك لفاتنى القطار .

لم يكن الحديث بالألمانية الفصحة فقط . بل لقد بدت فيه لهجة ، كانت الى جانب النظرة السريعة التى القاها فيرهاجن على القادم ، سببا فى استغراقه فى تصورات كلها وهم وخيال .

كان فيرهاجن يؤمن بقيمة الخواطر الالهامية . فمع أن تسعا من كل عشر منها تكون عادة خاطئة . . الا أن العاشرة ولابد تعادل فى قيمتها التسع الخاطئات . .

وراح فيرهاجن يغصب عينيه على التحول الى النافذة . بينما استقر الشاب فى مقعده المقابل له . وما لبث القطار أن تحرك فى بطء مغادرا المحطة . كان المسجل رجلا سريع التفكير . بيد أنه وجد نفسه يتخبط فى موجة طاغية من الافكار . بينما كانت عيناه تحدقان فى غير وعى الى ضواحى برلين وهى تختفى شيئا فشيئا .

وحاول ذهنه الذى تعود على التفكير المنطق الدقيق . أن يرتب تلك اللمحة من الخواطر الالهامية . التى مرت بذهنه عندما رأى الشاب الذى يجلس الآن أمامه ، وأن يحللها بعد ذلك . وما لبث أن حاول أن يضحك من نفسه كما لو كان مخبولا . اذ سمح لهذه الخواطر أن تشغله . ولكنه كان يعرف أن مثل هذه الخواطر الالهامية — رغم مافيها من وهم — هى التى أتاحت له جمع خبرته عن غرائب الشؤون .

وعاد ثانية يستجمع افكاره ، ويتخلص قليلا من هذه الاوهام ، تاركا للحوادث ان تكون نفسها قبل ان ينهك نفسه فى التفكير . ومن يدرى ، فقد يكون زميله الجالس امامه جريئا شجاعا فتانا .. ولكن هل لمثل هذا الشخص وجود ؟ .. قد يكون ذلك فى القصص . بيد ان فيرهاجن لم يقابل حتى اليوم شخصا هذا شأنه فى الحياة الحقيقية .

ومالبث ان وجد نفسه يعاود التفكير بعد اذ فر من اوهامه .

والقى الغريب صحيفته الألمانية التى كان يقرأ فيها جانبا ، ثم راح يحدق خلال النافذة ، بينما اخذ فيرهاجن فى شىء من الفضول والدقة ، يتفرس فى المنظر الجانبى لوجه الرجل ، وعاد نهبة للخيالات الوهمية .. ثم أسند ظهره إلى

مسند مقعد . وتمتم فى صوت كاد أن يكون مرتفعا :

— يالله !.. يالها من رحلة ممتعة !.. هاهى ذى الحياة فى اعجب احوالها ، وها هى ذى المغامرة !..

كان هناك كثير من المشاغل تملأ ذهنه فى صباح ذلك اليوم . قبل ان يودع البريك شولز . فقد كانت اللهجة المحمومة التى بدت فى الصحف الالمانية والهياج الذى تجلى فى الشعب الالمانى كفيلا بأن يحمل المرء على التفكير . وقد جعلت التكهنات والاشاعات والتحذيرات فيرهاجن يصبو إلى الوصول إلى بروسز فى أسرع وقت . إذ كانت امامه حوادث عظيمة جسيمة ..

كانت الشكوك التى تنتابه من ناحية الحوادث المقبلة ، نوعا من الفلسفة العقلية .. ولكن هذه الفلسفة كانت إلى حد ما سبب نجاحه فى مهنته ..

كانت الدنيا تقف مرتعشة على حافة هاوية ، ولم يك ثمة شىء ينتظر ان يقيد شبح الحرب ويسجنه .

كان الشعب الالمانى بأسره على استعداد لها . وقد تحفز لليوم الموعود . وكان فيرهاجن يعتقد أن الساعة الرهيبة التى علق عليها الالمان آمالهم ، قد دقت أخيرا .

وهذا الشاب الجالس أمامه . انه واحد من مليون ! . وراحت دقات عجلات القطار تنتظم فى ذهنه لحنا منغوما وهى تغنى . . واحد — واحد — واحد من مليون ، فبعثت فى فيرهاجن نوعا غريبا من البهجة ، وبينما ألقى الشاب عليه نظرة عابرة ، كانت أفكار فيرهاجن قد استقرت على ملاحظته . « أجل ، انها فرصة من مليون » . كان رفيقه هذا انجليزيا . واذا لم يك قد أخطأ قراءة الاسم المكتوب على حقيبته ، فهو أيضا ضابط فى الجيش الانجليزى ..

وأخرج فيرهاجن من أفكاره ، مفتش القطار الذى دخل فى حركة خافة نابية ، وصاح يسأل عن التذاكر . وما لبث أن انقلبت حركاته الى نوع من العداء ، كما لو كان قد تحقق ان المسافرين اللذين كانا يشغلان الصالون أجنبيان . وفى تململ انتظر حتى قدما اليه تذكرتهما فحصهما ثم ثقبهما

كالعادة . وتحول مغادرا الصالون .. ووجد البريق الذى أومض فى عينى الانجليزى ، جوابا فى عينى كاتب العقود البلجيكى . فقد أسرع فيرهاجن ينتهز الفرصة قبل ضياعها ، ليفتح باب الحديث ، فقال بالألمانية :

— ان صاحبنا يرينا تماما أى امتياز يناله المرء ، إذ يكون من رعايا غليوم الثانى .

فأجابه : اجل ، فالواقع ان ثمة روحا عدائية تشيع اليوم فى المانيا

— انه امر يرثى له فى الواقع . فلقد كنت فى صغرى طالبا فى « بون » وكان القوم يعاملونى كما يعامل أى شعب سعيد مثقف ، أى غريب يوجد فى وسطهم

فأشار فيرهاجن إلى الصحيفة التى القاها الانجليزى منذ برهة ، حيث بدت صورة بحارين احدهما انجليزى والآخر المانى . وقد تخاصرا وراحا يرقصان فى احدى طرق كيل ، وقال :

— هكذا كانت الروح فى تلك الأيام .

واخذ المسافران يتأملان الصور التى التقطت اثناء زيارة الاسطول الانجليزى لميناء كيل . ثم قال الانجليزى فى لهجة المعتز بوطنيته وسط اوربا المضطربة القلقة :

— انى انجليزى . وقد كنت مع الاسطول الانجليزى ، كضابط اتصال .

ثم امسك فجأة ، كما لو أدرك انه توسع فى الحديث إلى غريب . بينما صاح فيرهاجن متصنعا الدهشة :

— آه ، اذن فانت انجليزى ؟ . ان هذا يفسر سر جفاء مفتش القطار اذ اننا دخيلان فى نظره ، فأنا بلجيكى .

فهز الأنجليزى رأسه ببرود ، واحس فيرهاجن بنظرة فاحصة توجه اليه . ولاح لفيرهاجن ان الأنجليزى ، الذى كان إذذاك ينظر فى صحيفته ، قد شعر بأن الحديث بينهما يتطور فى سرعة راعته . فتنهد فيرهاجن ، إذ ذكر ان مثل هذه البداية الطيبة لحديث فى مثل هذه الرحلة فى موطنه ، لاتلبث بعد لحظات ان تتولد عن ثقة متبادلة . فلا يلبث المرء ان يلم بتاريخ زميله فى

القطار وآرائه الخاصة . حتى اذا انتهت الرحلة ، قضت العادات العرفية ان يتصافح الرفيقان ثم يفترقا لينسى كل منهما ما كان بينهما من حديث . وإذا ما بك لاحاديث السفر من فائدة . فكفى بها انها وسيلة لقضاء الرحلة دون ملل أو سأم . ولرسم صورة من صور الطبيعة الانسانيـــة . وكان فيرهاجن يعتقد ان مثل هذه الاحاديث ليست غـــير اداة للتسرية كما أن فى وسع المرء أن يحصل على كثير من المعلومات النافعة . . من رفقاء السفر . وكان يثق أن الشعور بالثقـة فى أمرىء . لابد أن يقـابل بمثله فى المرء الآخر . ولذا عاد يتحدث إلى زميله ، ولـكن . . فى انجليزية سليمة :

— أرجو المعـذرة إذا انا ألححت فى مواصلة الحـديث . فلقد سافرت مرة فى بلادكم اللطيفة . من لندن إلى جلاسجو مع رفيق مثلك ، فاذا بنا نمضى الرحلة كلها دون أن نتبادل كلمة واحدة ، فقد كنت حريصا على احترام عادات بنى وطنك وطباعهم ، فآثرت أن أترك الرجل لأفكاره . ولـكن . . لشد ما كانت دهشتى حين وصلنا ، فاذا بفوج من الناس يستقبلون رفيقى . . الأصم ! . . وقد راعنى انهم راحوا يلقون الملاحظات على لغتى ، وكان اعلاهم صوتا ، هو هذا الرفيق . .

فتثاءب الانجليزى لـكتمة فيرهاجن ، ولـكنه ما لبث أن وجـد أن ثمة جاذبية تحيط به ، ولا يستطيع لها مقاومة . فابتسم وقال :

— لا بد انك دهشت . انى شخصيا أحب الحديث فى الواقع .

ولـكى يرى فيرهاجن صدقه . تساءل :

— أظن انك تلقيت علومك فى المانيا ؟

— أجل ، فلقد استهوتنى فى صغرى كثير من آمالهم . وكنت أرى الجنس التيوتونى غير الاجناس الاخرى ، وهو ما لا زلت أراه ، ولـكن . . لا كما كنت أظن فى الماضى . . فاليوم ، وقد اصطبغت مطالبهم بما يزجيه أساتذة وأطباء الجامعات والمدارس ، فان الصيحة تتجه اتجاها آخر ، إذ تتخذ الأمانى الالمانية شـكلا خياليا . والواقع أن الدنيـا أصبحت ترضى عن هذه الأمانى والمبادىء وتتقبلها . إن كل المانى يعتقد أن العنصر التيوتونى أصيل فى الشجاعة والبسالة

وانه لاسبيل لنشر الثقافة الالمانية فى العالم بأجمعه إلا بالحروب التى تتجلى فيها شجاعتهم وتضحيتهم . إن مطامع الزعماء تنحصر فى أن يقودوا شعبا ممثلثا بالرجولة .. شعبا يفكر بعقل واحد ، ويعمل بارادة واحدة ، ويؤمن بأنه سيسيطر يوما على العالم . ولقد استطاعوا أن يخلقوا شعبا بهذه الروح ، بيد أنه لم يثبت أن تطور فاصبح جيلا من الرقيق المأفونين يسهل تنظيمهم وتسهل قيادتهم . إن فى أيدى الزعماء المتهورين اداة خطرة ، تهدد بقية العالم بالوبال . . .

وأخذ فيرهاجن يحدق فى زميله محاولا كشف أثر حديثه فى نفسه حتى اذا رآه يهز رأسه علامة على استيعابه هذا الحديث ، تابع كلامه :

— لقد آمنت أنا الآخر بهذه الامانى الكاذبة يوما ، ولكننى ككل من تفتحت أعينهم فى قسوة ، على طغيان الزعماء الالمان ، تولانى الاشمئزاز والمقت .

— حقا . أخشى أن تفقد المانيا شيئا فشيئا صداقة الكثيرين من المفكرين . — أو تعرف المانيا معرفة جيدة ؟

— أجل ، فمع أن أبى كان يتولى منصبا حكوميا فى أفريقيا ، ولذا فقد ولدت هناك ، إلا اننى تعلمت لغتها على أيدى أحد المعلمين الحكماء ، ممن اكتشفوا مثلك مدى مافى أمانى مواطنيهم ومطالبهم من هراء وهذر . فلما أتقنت اللغة ، أرسلت بناء على مشورة مدرسى . الى هيدلبيرج ، حيث حصلت على شهادات المانية راقية .

وامسك الشاب يسرح النظر فى البقاع التى كان يطويها القطار ، بينما عادت الخواطر تترى على ذهن فيرهاجن . لم يك فى وسعه أن ينكر الفكرة الالهامية التى عنت له عندما رأى زميله للمرة الاولى ، رغم ما فيها من خيال ووهم ولكن .. كيف يصارحه بها ؟.

لقد كان يكمن فى أعماقه سراً هاما ، ينبغى أن يشاطره اياه هذا الشاب ، سراً ينطوى على فائدة يجب بحثها فى الحال . ولكنه كان كلما رأى الغريب أقرب ما يكون الى تلقى هذا السر ، فوجىء فى اللحظة التالية بمرآه وهو

يبتعد ، وكأنه طائر يحلق فى الجو ، وقد يخشى أن يختفى فجأة خلال الغابات ولكن .. يجب أن يحول فيرهاجن دون اختفائه . وأن يحرص على بقاء الطائر أمام ناظره مهما كلفه هـذا . لذلك لم يتمالك أن ألقى سؤالا ثم . . أمسك انفاسه وضغط شفتيه :

— اتؤمن بوجود شبيه لكل شخص . لايفترق عنه فى شىء قط . .

فانحنى الشاب وحدق فى فيرهاجن لغير سبب ثم أجاب فى صوت حاد :

لقد سمعت عن وجود الشبهاء . فلكل شخص أينما كان ، شبيه فى أى جزء آخر من العالم

ثم راح ينتظر ما سوف يلقيه عليه زميله ولكن فيرهاجن تولاه صمت واجم . وراح ينظر الى الشاب بعينين مفعمتين بالألم . وهو يتساءل فى اعماقه هل تنحسر أفكاره عن لا شىء أم تراها ستدفع بزميله الجالس أمامه ، الى مغامرة خيالية ؟.. ثم مالبث أن قال فى لهجة غريبة :

— لقد خلفت شبيهك فى برلين .. لكأنى بكما توأمان تماما تشبه . لقد ودعته فى المحطة هذا الصباح ، قبل أن تنفذ إلى الصالون بلحظات قلائل ولسوف يزورنى فى بروسلز فى الاسبوع المقبل .

الفصل الثانى

حالى فهيل

ومر فى ردهة العربة خادم يدق جرسا فقطع على الرفيقين حبل الحديث . فنهضا على أثره الى عربة الطعام ، حيث اقتيدا الى مائدة خاصـــة . ورأى فيرهاجن انه من الخير للخاطر الذى يشغل ذهنه ، ان يتعارف وزميله ، حتى لاتكون رحلتهما هذه محض لقاء عرضى . لايلبثان ان يتناسياه فقال ، عندما استقرا فى مقعديهما :

— انى أدعى بروت فيرهاجن ، مسجل عقود فى بروسلز .

فأجاب الآخر فى تأدب ، الجواب الذى لم يك فيرهاجن يجهله ، إذ كان قد قرأه من قبل على الحقيبة الجلدية :

— وأنا كلايف جرانفيل .. الكابتن جرانفيل .

وكان فيرهاجن يعرف أكثر من هذا ، إذ كان قد قرأ أيضا ان جرانفيل ملحق بالفرقة الخامسة عشرة من الفرسان حاملى الرماح . . كان فيرهاجن يعرف ان المخاطرات التى تقع للمخاطرين حقائق ، فقد حدثت له غرائب فى الحياة ، وكرجل غنى كان يرى كل مرة ان يتتبع هذه الغرائب حتى النهاية . أما كلايف جرانفيل ، فقد كان شأنه فى الحياة مغايرا لهذا كل المغايرة ، إذ لم يجرب بعد المخاطر ، بل كان يعيش عيشة عادية . . عيشة الضباط القاسية التى لا ترفه الثروة من حدتها . ولم يعرف من التجارب غير ما كان يعترضه فى هذه الحياة العسكرية .

كان كلايف يرى الحياة على ماهى عليه ، أمراً محبوباً . فهى فى نظره كالذى يسير على يديه ورأسه الى الأرض ، حتى اذا تولاه التعب ، استعاد وضعه الطبيعى . فاذا لم يك بد من الحرب ، فهو على استعداد لأن يحمل سلاحه وأن يقابل العدو ، فقد كانت تتملكه نخوة وشجاعة كتلكما اللتين كانتا تتملكان الفرسان قديما .

وأخذ فيرهاجن يتأمل القامة المعتدلة التى تبلغ الستة أقدام طولا ، والوجه الدقيق الملامح والرأس الصغير ذا الشعر المجعد الخفيف ، وذلك الجو من السيطرة والثقة بالنفس ، الذى يفوقه ذلك الحذر وتلك الشجاعة اللذان يومضان فى أعماق تينك العينين الزرقاوين الواسعتين . لقد كان مثالا للفارس الباسل ، الذى يصبو إلى مغامرة نادرة المثال . بيد أن جرانفيل كان لا يمالك ان يبتسم لنظرة فيرهاجن هذه ، لو أنه صارحه بها ، فهو إلى جانب صغر سنه بالنسبة إلى رتبة الكابتن التى يحملها ، وإلى جانب موهبته فى اتقان اللغات — التى يعزى اليها رقيه السريع غير العادى فى الجيش — كان لا يرى فى نفسه سوى أعصاب قوية ، تؤيدها قوة الحياة الخشنة . . حياة الصراع والكفاح . . فهو ما كاد يحبو ويستقيم على ساقيه ، حتى دفع به أبوه إلى مجاهل الأدغال الأفريقية .

وكان جرانفيل يشعر بشىء من التناقض الغريب يحوط رفيقه . . فبينما

كان يحس شيئا من الشك من ناحيته . إلا انه كان يرى روح من النشاط الحيوى يحف به . فقد كانت لفيرهاجن جذبية مغناطيسية قوية .. جاذبية كانت تلوح فى معالم وجهه حين يتكلم ، وفى صوته الذى يبدأ خشنا . ثم لا يلبث أن تشوبه نعومة جذابة .

كان وجه فيرهاجن الصغير الناحل محوطا باطار أسود . . وله لحية أنيقة سوداء ، يتدلى من نهايتها « مونوكل » كان يستعمله فى أحيان نادرة . بينما كان دائم العبث فى لحيته بأصابع سريعة عصبية الحركات

وأخيرا قال فيرهاجن :

كابتن جرانفيل . انى فى حيرة شديدة من جراء هذا اللقاء العرضى

— أترمى بهذا الى التشابه الذى ذكرته ؟

— أجل . فهلا يضايقك الحديث عنه ؟

فاجاب جرانفيل فى ابتسامة :

— كلا ، قط . . ان الكلام على التشابه فى الشخصيات أكثر متعة من الحديث عن مشكلة أوربا الأزلية . . مشكلة الحرب .

وبينما كانا يتناولان غداءهما . مضى فيرهاجن يشرح ما خامره :

— لقد رافقنى الى المحطة هذا الصباح . عميل المانى . . وقد اتفقت معه على أن نلتقى ثانية فى برلين فى نهاية الأسبوع التالى ، وبعد أن انصرف ، رأيتك تنفذ الى الصالون ، فظننت أن عميلى عاد ليتحدث الى فى بعض الشؤون ولكن . . لك أن تتصور مدى دهشتى حين تبينت أنى أنظر فى الواقع الى شخص غريب عنى تماما . . انكما تاما الشبه كتوأمين .

ثم توقف برهة ، حتى اذا لم يجد من جرانفيل تعليقا عاد يقول:

قد يلوح التشابه فى المظهر والنظرات ، ولكنه نادر مايعدو ذلك الى حركة الفم حين يفتح ، أو الى حركة عضو من الأعضاء . فغالبا مايبدو شىء يكذب التشابه الى حد ما . أما فى حالتك يا كابتن جرانفيل . وحالة عميلى البريك فون شولتز . فان التشابه مطبق فى كل شىء .

ولاحظه جرانفيل وهو يعبث بالسلسلة المتصلة بالمونوكل فى حركة عصبية

فادرك أنه يبحث عن الكلمات الكفيلة بالتعبير الدقيق عما يريد . . ثم عاد فيرهاجن يقول :

— ان المميزات الشخصية البارزة ، سهلة التقليد . فانا أظن أن كل شخص يستطيع أن يقلد نابليون اذا وضع يده فى حصره . وليس قبعة مثلثة الأركان ، كذلك قد يكون شيء من اللامح ، كفيلا باعطاء شيء من الشبه . فمنذ سنوات كان يجول فى ميادين بروسلز ومتنزهاتها نفر من الرجال المسنين الذين يغرمون بان يخالوا أنفسهم مشابهين للملك ليوبولد ، وما ذلك الا لأنهم يعنون بان تكون لهم لحية بيضاء مربعة ، وسيفان حادتان . وأنف مثل أنفه

— اعتقد ان مثل هذا كثير الحدوث . اذ توجد اشخاص يسهو بهم ان يقلدوا بعض الشخصيات المشهورة .

واستطاع فيرهاجن خلال هذه المناقشة ، ان يكون أول آرائه . فقد رأى ان البرود عند الانجليزى كان ناشئا عن الخجل ، اما عند الألمانى فون شولتز فكان عادة درسها وتدرب عليها . بيد ان اخلاق الرجلين كانت دقيقة التشابه الفهم الا من ناحية قدرة الانجليزى — بفضل تربيته الطيبة — على ان يظهر فى سرعة بعض الحرارة التى تذهب بآثار برودة . كذلك ، كانت روح السيطرة والثقة بالنفس عند الانجليزى ، ناشئة عن مركزه العسكرى ، أما عند فون شولتز ، فكانت ترجع إلى امتلاكه ثروة كبيرة .

واخذ فيرهاجن يلاحظ بأعين يقظة حادة ، كل حركة وكل سكنة . ثم تساءل فى نفسه . . ترى إلى أى حد يجوز له ان يصرح بأفكاره الخيالية التى راودته منذ البداية ؟ . . كان يخشى ان تقابل بضحكة ساخرة إذا هو كشف عنها فى صراحة . ومع انه كان يكره الطرق الملتوية ، إلا أنه رأى أنه قد يجنى بعض الثمر ، إذا اقترب من الموضع ببعض هذه الطرق . فتساءل :

— هل ترى مانعا يا كابتن من ان احدثك عن عميلى هذا ؟

واخذت الموائد تخلو من الناس ، حتى لم يكد يبقى غير فيرهاجن وجرانفيل . ومضى الأول يقول :

— لما كنت وكيلا على الشؤون البلجيكية لأملاك فون شولتز فقد عرفت

البريك منذ صغره . وكان على عكس غيره من الشباب الألمانيين لا يميل إلى النزعة الحربية .. لقد قضى مدة الخدمة العسكرية طبعا . فى كلية الضباط . ولكننى اعرف مدى شعوره بالخلاص . عند ما عاد إلى الحياة المدنية . ومنذ ذلك الحين اغرم بالأسفار .

وأمسك فيرهاجن إذ قدم الخادم ليعد المائدة للقهوة . حتى إذا انصرف عاود حديثه بصوت منخفض :

— كان والد البريك — ماكس فون شولتز — رجلا واسع الضياع . يملك فى بلجيكا عقارا كبيرا . وكنت أعجب إذذاك لانصراف الرجل إلى شراء الاراضى حول انتويرب . وعند الموانى وعلى الساحل البلجيكى . ولكننى اليوم بدأت أفهم السر فى هذا . ولكن . . لقد ألقيت قنبلة سراجيفو متأخرة بالنسبة للأب . إذ مات منذ شهور . ولست أدرى إذا كان الابن على دراية بمطامع أبيه وأغراضه أم لا . أما الذى أعرفه ، فهو انه اذا وقعت بعض حوادث معينة . . وأنا واثق من وقوعها ، فان أملاك فون شولتز ستدر على صاحبها ثروة تكاد تصل إلى حد الخرافة . وستكون ذات أهمية خطيرة لألمانيا . . والبريك هو فى هذه الحالة ، الوريث الوحيد .

كان جرانفيل يستوعب الحديث فى اسراع المتلهف . حتى لقد أدهش مسجل العقود ، بحرصه على تتبع أفكاره دون أن يقاطعه أو يستوضحه شيئا .

كان جرانفيل يشعر أن الموضوع خطير . بل ويثق من خطورته . . وتذكر إذذاك انه عندما كان صغيرا ، ترك وحيدا فى مكمن عند شجرة فى بورما . والى جانبه بندقية ، ليتربص لأول نمر يصطاده . وكان الوقت مساء . وعليه أن ينتظر بضع ساعات وحيدا فى الظلمة الحالكة التى كانت تسيطر على تلك البقاع الاستوائية . حتى يبزغ القمر فيبعث فى نفسه طمأنينة . وشعر خلال تلك الساعات بالرهبة وراحت المخاوف والقلق تتناوبه . . لقد أحس الآن بنفس هذه المشاعر . فسرت فى جسده قشعريرة وهو ينتظر متلهفا . بينما تساءل فيرهاجن فى صوت أرق . كأنما يفصل حديثه القادم . عن حديثه السابق :

— هل تعرف كولونيلا يدعى جون تامبلمان ؟

وضطجع جسر انفيل فى ارتياح . إذ أحس أن القمر الذى كان ينتظره يبدد مخاوفه قد بزغ ، وان ظل ينتظر الخبر الذى ترك ليصطاده وما لبث أن أجاب :

— لقد سمعت هذا الاسم ، ولكننى لم اقابل صاحبه .

— انه من أعز الاصدقاء ، وكثيراً ما أرحل الى لندن لـ .. لاتبادل معه الآراء . ان الكولونيل رجل عجيب ، أمضى معظم حياته فى الهند . فى البنغال كضابط فى المخابرات السرية . انه رجل عجيب ، ذو ذهن نادر المثال ، حتى لتروى بعض القصص الغريبة عن ..

وأمسك فيرهاجن فجأة اذ لاحظ رفيقه يمسك بلعقة ويشدد عليها الضغط ، وهو ينظر الى بعض القادمين الى عربة الطعام فى تلك اللحظة . كان ظهر فيرهاجن نحو المدخل ، ولكنه استطاع أن يبين خلال مرآة أمامه مما يستعمل فى الاعلان عن بعض السجاير ، امرأة تنفذ الى العربة فى حركة مسرحية .

كانت جميلة كطيف حبيب ، يلوح فى عينيها وميض الطهر والبراءة ، راع فيرهاجن منها جاذبية وسحر طاغيان ، مما يكفل لها أن تكون البارزة أينما حلت . وساد العربة صمت مهيب عند دخولها . بينما تقدم شخص كان يسير برفقتها ، فقادها فى أدب جم ، الى مقعد .

وانقطعت ضجة الطباق والاوانى فى مطبخ العربة ، وصمت الخدم فلم يعودوا يتحدثون إلا همسا . بيد ان كل هذا السحر الذى فرضته المرأة على العربة ومن فيها لم يستثر اهتمام فيرهاجن ، بقدر ما استثاره زميلها . كان شخصا بدين الوجه أحمره . ذا شعر رمادى تشيع فيه شعيرات رمادية . وكان يزيد منظره ضخامة ، كتفاه العريضتان ، وتلك الروح المتزعمة ، وذلك الجو الحربى ، اللذان كانا يحوطانه ... فقد كان يبدو ذا مواهب آمرة وذكاء مفرط .

ومع ذلك ، فقد لحظ فيرهاجن أنه ينحنى لزميلته الجميلة فى تواضع وتملق

فارتسمت على شفتيه ابتسامة جافة ، إذ أدرك ما فى هذا السمق من اصطناع فقد كان الرجل يبدو غريبا عن مثل هذا ، وكأنه لم يعتد من قبل رفقة الحسان

وراحت المرأة تتحسس الفراء الذى كان يغلو كتفيها ، بينما كانت عيناها تكتسحان العربة بنظراتهما . حتى إذا التقتا بعينى الكابتن جرانفيل . جمدت يد المرأة على الفراء لحظة عابرة . وأطبقت أهدابها الطويلة على عينيها كما لو كانت تخفى سراً ، ثم لم تلبث أن أشرق وجهها بابتسامة صادقة لازيف فيها ، وهى تنحنى محيية جرانفيل الذى أفلتت اللعقة من يده . وتضرج وجهه بحمرة الخجل . كما لو كان تلميذا حدثا .

ولاحظ فيرهاجن المرأة خلال المرآة ، تميل نحو رفيقها تسر اليها شيئا فى خفوت ولهجة سريعة ، فهز الرجل رأسه . ثم تحول بنظره نحو جرانفيل .

وابتسم فيرهاجن مرة أخرى ، وان اختلف السبب . . فلقد أدرك أن الاثنين يتوقان الى الحديث الى الانجليزى المفتون . وابصر بجرانفيل يسعى جهده لتمالك نفسه . ثم ينهض فيتقدم نحوهما . وسمعه يقول وهو يصافح المرأة :

— انها مفاجأة سارة حقا ياسيدتى البارونة !.

تضرج وجهها بحمرة جذابة وهى تقدمه الى زميلها :

— كابتن كلايف جرانفيل .. الأميرال اوتو فون كرامان

وتصافح الرجلان ، وابتسم الأميرال محييا جرانفيل فى حرارة ، بينما قالت البارونة له :

— لقد التقيت بالكابتن فى حفلة السفارة بكيبل ، وقد سعدنا بسهرة رائعة . . اذ كانت خطواتنا فى الرقص متناسقة منسجمة . . اليس كذلك ياكابتن جرانفيل ؟. لقد نعمنا بلذة الرقص

وارسلت ابتسامة خلابة إلى جرانفيل الذى قال :

— ان البارونة شديدة الاطراء لرقصى الضعيف

فتساءلت : ألا تنضم الينا ؟.

فتحول نحو فيرهاجن وهو مازال واقفا ، وقال معتذرا :

— انى مع زميل التقيت به فى القطار .

فنظرت البارونة وفون كرامان نحو فيرهاجن ولكنهما لم يريا غير ظهره الضامر ، تعلوه رقبته النحيلة . . ولو قدر لفيرهاجن إذذاك أن يلتفت إلى الأميرال ، وأن يقابله ، لقضى على احدى مغامرات الجاسوسية الخطيرة فى الحرب الكبرى ، باستحالة الوقوع . . بيد أن القدر ساق البارونة اذذاك إلى أن تقطع على الأميرال الفرصة ، فاندفعت فى الحديث حتى نسى أمر فيرهاجن بل وتجاهله . . فقد مضت تقول :

— ان الكابتن جرانفيل يحمل خطابا من أعز صديقات الدراسة . . جوان هارلند .

ثم تحولت الى الكابتن ، وخفضت صوتها الى حد الهمس ، وهى تقول فى لهجة عاطفية :

— آه ، يا كابتن . انك تهرب منا . فلقد ظننت انك أخبرتنى بأنك ستمكث فى المانيا أسبوعا آخر على الأقل .

وعلى الرغم من ان الأميرال لم يكن يبدى مراقبته لما يحدث ، إلا انه فى الواقع كان منتبها لكل شىء ، فاستطاع أن يرى ان البارونة كانت منصرفة كل الانصراف ، غارقة الى أقصى حد . . لافى حب الانجليزى الأنيق ، ولكن . . ولكنه تحول يرقب مفعول حديثها فى الكابتن الذى قال :

— ان فى لندن رؤساء نافدى الصبر يابارونة . فما يكاد الانسان يقع فى الحب مع .

ثم أمسك فجأة وقد فطن الى نفسه ، فعاد يقول :

— فما يكاد الانسان يطمئن الى كرم الآخر وعطفه الرقيق ، حتى . . يفاجأ بدعوته الى الرحيل .

وسرت نظرة متبادلة بين فون كرامان والبارونة جالى فهيل . قال الأول بعدها :

— ان الواجب قاس . ومحتمة اجابة دواعيه يا كابتن . ولا سيما الآن

والعالم مضطرب . .

فقال جرانفيل فى تفاؤل الشباب :

— ان العالم يستطيع ان يعيش هادئا ياهر أميرال دون عاصفة تهب من وقت لآخر . . وأظن ان العاصفة الحالية لن تمكث أن تمر . ولقد شعرنا من قبل بمثل هذه المخاوف . ثم كذبت الأيام حدسنا .

فقال الاميرال وهو يبتسم كما لوكان قد سمع عبارة مضحكة مصدرها طفل عن سذاجة :

— أهكذا تظن ؟ .

ثم تحول يقول فى لهجة الكبير الذى يملك اسراراً لايجب ان يفضى بها إلى صغير :

— اهكذا تظن يا كابتن ؟ . ومع ذلك ، فهناك شعوب تستعد . لامن اجل عاصفة عادية ، وانما . . من اجل اعصار طاغ تتوقعه .

— اجل . ولكننى آمل ان يحين اليوم . .

كان الحديث يدور بالألمانية . ومالبث جرانفيل ان تطرق إلى الكلام عن النعرة التى تتملك رجال الاسطول الألمانى وتنبعث مع صيحاتهم ، فاذا بالأميرال يتأثر واذا بوجهه يختنق فى انفعال طاغ وقال :

— آه ! . ان ملايين القلوب الألمانية الشجاعة تنتظر فى لهفة — كما ينتظر الطالب نتيجة امتحانه النهائى وصول رد الانذار .

ثم نظر الأميرال إلى جالى فهيل ، فلمح علائم الغضب تبدو على وجهها فأسرع يستعيد هدوءه ، وينظر إلى الانجليزى فى ابتسام . بيد ان مظهر جرانفيل كان قد تغير كل التغير . فبدا وجهه جامدا كالصخر الأصم ، وانبعثت من عينيه نظرة فولاذية قاسية واجاب ببرود :

— ان القتال من أجل القتال ، ليس من الأمور المحببة الى مواطنى . . وانى لأظن أن هذا الشعور المتطرف الذى تبدونه نحو « الانذار » هو السبب الذى يحول بيننا وبين فهم المان اليوم .

كان الاستياء يبدو على البارونة من ناحية الأميرال الذى أومضت عيناه فى

غضب . ولكنها أسرعت تقول لجرانفيل ، قبل أن يجد الأميرال فرصة للرد :

— ألا دعونا نتكلم فى مواضيع أحب من هذه . . لقد سئمت هذه الشادات الأزلية حول الحرب ، انى ذاهبة الى بروسلز لابتياع بعض الثياب فقد أصبحت ثيابى خلقة .

وتبادلت مع الأميرال ابتسامة ، جعلت شفتاه تتفرجان رغم أنه لم يبدر مايدعو الى الابتسام بينما عادت تسأل جرانفيل :

— اظنك ستعبر الى لندن ؟

— أجل ياباروتة ، فسأغادر انتويرب فى مساء الغد .

وظل الأميرال صامتا . وتولى جرانفيل غضب لم يدرك لهسببا ، اذ مضى فون كرامان ينظر اليه فى شىء من الكبرياء . حتى أصبح الموقف حرجاً فما كاد يستأذن فى العودة الى فيرهاجن . حتى أحس بارتياح كبير .

ظل فيرهاجن فى مجلسه لايتحرك حتى غادر الاميرال والبارونة الغرفة ، وإذ ذاك . . واذ ذاك فقط نهض واقفا ، ثم تقدم جرانفيل فى طريقهما الى صالونهما

وجلس كلايف جرانفيل فى حالة استياء وغضب ، ثم لم يلبث أن انفجر فى حنق :

— انه أحد أولئك الأغبياء المأفونين الذين يعملون من أجل الحرب ويأملون فيها .

فاجاب فيرهاجن فى هدوء :

— انى أعرفه ، فهو الأميرال أوتو فون كرامان ، أحد كبار رجال المخابرات السرية الالمانية ، الذين يعتد بمهارتهم ويخشى مكرهم .

وترك فيرهاجن جرانفيل لأفكاره حتى إذا خفف القطار من سرعته وهو يقبل على بروسلز ، ويستقر فى محطة الشمال ، قدم الى جرانفيل بطاقة وهو يقول :

— هاك يا كابتن عنوانى . . إن بيتى تحت أمرك فى أى وقت تحضر فيه

الى بروسلز .

فقدم جرانفيل فى أدب بطاقته ثم صافح الاثنان بحرارة وافترقا .

الفصل الثالث

عشرون دقيقه

على الرغم من ان كثيرا من الحوادث العالمية الكبرى ، لاتتأتى إلا من اسباب كبيرة ، إلا أنه غالبا ما كانت صغيرة ، تلك الشرارة التى أدت إلى الانفجار فى كثير من الحروب . فقد كانت الأيدى اليائسة . توجد عادة لتشعل النار .

فعند ما ألقى معتوه سراجيفو قنبلته القاتلة ، لم تود شظايا القنبلة بعظامج آل هابسبورج فى بلاد الصرب — فقط ، وانما تناثرت شظاياها إلى كل مفوضية ، وهز انفجارها كل وزارة فى العالم .

ورأى شهر يوليو من سنة ١٩١٤ الآلات المدمرة تتحرك. وجلس رجال السياسة امام مكاتبهم فى كل عاصمة من عواصم العالم. وكانهم أمام قطع شطرنج آدمية هائلة الحجم يحركون قطعة هنا. ويرجعون بأخرى هناك، وهم يشعرون أن أى خطأ أو تسرع فى حركة من هذه الحركات ، كفيل بأن يلقى بملايين الأنفس إلى سعير الحرب .

وراح الامل يعتمل فى صدور الزعماء السياسيين فى كل دولة. وانكبت السلطات الحربية والبحرية على وضع خططها ، وتقرر فى لهفة كل شىء يتعلق بالرجال والمواصلات والمؤن والذخائر والأساطيل والطائرات والحيوانات ، ومركز كل وحدة سواء كانت على استعداد او غير متأهبة للحرب

قط لم تحدث أى « حادث دولى » مثل هذا فى تاريخ العالم ، مثل هذه الرعدة من الخوف والرعب الطاغى

وفى الخفاء ، وخلف هذه الجهود المرتجفة المنفعلة ، كانت ادارات المخابرات السرية تعمل .. وقد تحول نشاطها الدائم فى أوقات السلم ، الى نوع من الهياج . فقد أسرعت كل ادارة تجمع خيوطها العديدة وتوزعها ، وهى

تنسج فى لهفة وانفعال شبكة لا آخر لها ولا نهاية . ومع أن أى تطور لم يكن قد اتخذ بعد ، الا أن الاجراءات كانت قد اتخذت من كل النواحى ، وعرف الصديق من العدو . لقد كانت الحرب مستمرة قائمة فى وقت السلم فى هذه الادارات . ولكنها كانت مقيدة بقواعد موضوعة . أما اليوم ، فقد أصبحت هذه الحرب هيجاء عنيفا ، كانت الضربات الحاسمة الموفقة تشد خلالها . فارسل الرجال البواسل الى مواطن مفعمة بالاخطار ، كان التقصى فيها يعتبر فضيحة ، ويجر الى موت محقق .

واستيقظ أحد هذه الحيوط — وان لم يكن يدرك حتى هذا الصباح الصافى المشرق الشمس . بمدى خطورة واهمية الدور الذى سيلعبه فيما بعد — فى بيته الهادىء فى « لوفان جيت » ببروسلز . وما أن غادر بروت فيرهاجن فراشه فى ذلك الصباح التالى لعودته من برلين ، حتى أحس بنفسه فى حالة انشراح وابتهاج . فاتجه الى النافذة ، وفتحها على مصراعيها ، حتى تنفذ أشعة الشمس الباسمة ، وسرعان ما غمر حجرته هواء عليل ، يبعث النشوة فى النفس ، فتمتم :

— ليس ثمة جوهرة يمكن أن تعادل بروسلز فى مثل هذا اليوم .

ثم صاح يخاطب الشمس ، وهو يلقى بنظرة من النافذة :

« ويك ، أتريدنى هرمت ؟. وكم عمرك أنت أيتها الشمس العجوز ..ومع ذلك فما زلت تشعين سحرا »

والواقع ان فيرهاجن لم يستهجن ذلك الاحترام الذى يلقاه اليوم من شباب الجيل . ولم يخدع نفسه بأن هذا الاحترام كان موجها الى مواهبه ومكانته . بل لقد كان يرى جليا انه موجه الى السنوات المتراكمة فى عمره . فلم تشغله سوى فكرة واحدة . . كان قد جمع ثروة كبيرة . ولكنه كان يخشى اذا ما حان الوقت واعتزل العمل ، أن يشعر بالضيق والملل ، وهى حالة لا تستدعى العجب من رجل ذكى مثقف .

ودق الجرس القائم الى جوار فراشه ، فما لبثت ان دقت باب الحجرة مديرة بيته ، وهى امرأة جامدة النظرات ، دائمة الصمت . وأعلنت اليه انها

قد أعدت له حمامه اليومى . وما أن اغتسل فيرهاجن حتى سرى فى عروقه نشاط الشباب ، ثم تناول فطائر وقهوة الافطار ، بينما راحت خادمته ترمقه فى عطف ، وهى تحوم حول حجرة الطعام ، كالكلب الوفى فى انتظار أى اشارة من سيده . . ولو كان لهذا الغير الذى طرأ على وجهها الجامد من معنى ، فلم يكن هذا غير شعورها بان عشرين عاما قد انزاحت عن كاهل سيدها . والواقع أن السبب فى هذا الجو الشاب الذى أحاط بيروت فيرهاجن ، كان يرجع الى وصوله الى قرار حاسم . فقد اعتزم أن يرحل لمقابلة صديقه القديم الكولونيل جون تامبلمان ، فالى هذا الجندى الطيب القلب ، يستطيع أن يلقى باعباء خواطره الشاردة .

فمنذ ثمانية عشر شهراً وجد فيرهاجن من نفسه اهتماما شديدا بشخصية الكولونيل تامبلمان ، الذى التقى به حيث كان ينزل فى أحد فنادق سويسرا ولكنه لم يستطع الحديث الى ذلك الانجليزى الطويل ذى الملامح الجامدة ، إذ لم تسنح فرصة كى يتبادلا أى حديث ، حتى كان ذات مساء ، وقد اضطر النزلاء الى البقاء فى الفندق ، لقيام احدى العواصف الهوجاء ، فاندفع فيرهاجن فى حديث مثمر مع احد أفراد فريق من الالمان وصلوا فى ذلك اليوم ليشتركوا فى بعض المباريات الرياضية ، فسرعان ما احتدم النقاش ، فراح الالمانى يحمل على بلد فيرهاجن ، يؤازره زملاؤه ، بينما كان فيرهاجن يتكلم فى حرارة وصراحة ودراية واسعة ، ذاكراً أنه من السهل لأى عالم — يدعى العلم — أن « يثبت » أن كل ماله قيمة فى المدنية انما هو من نتائج العبقرية التيوتونية . ولكن لكل مبالغ مغال ، نقيضا يعارضه . لذلك فمن السهل أيضا أن يستطيع مدع للعلم من جنس آخر أن « يثبت » عكس ما أثبته الاول . وكلا الزعمين — فى رأى فيرهاجن — كان هراء وحماقة .

وكان الكولونيل تامبلمان فى الحجرة خلال هذا الجدال ، ولكنه كان يجلس فى معزل عن الآخرين . اذ كان المامه باللغة الألمانية بسيطا . ولكنه لاحظ انفعال الألمان اذ وقف فيرهاجن وحده ، الى الفوز فى المعركة الكلامية . ورأى شابين لم يشتركا فى الجدال ، ولكنهما شعرا بان وطنهما قد

أهين . وتذكر تامبلمان بعد لحظات ، انه قرأ مرة أن التفكير يهدىء من ثائرة رجال الشعوب الأخرى ، ولكنه يذكى من ثورة الألمانى ، اذ أبصر باحد الشابين يرفع فجأة إحدى اوانى الزهور ، فيهوى بها على أم رأس فيرهاجن الذى كان غافلا عن نيته .

وفى سرعة مدهشة ، أمسك الكولونيل تامبلمان بالرجل من بلفته ، ثم القاه من النافذة ، بينما أسرع بقية أفراد الثلة ينشدون الفرار . مخلفين فيرهاجن شبه فاقد الوعى . وقد تولته الدهشة وأخذ يتحسس رأسه ، والى جانبه تامبلمان . ومنذ ذلك اليوم . نشأت بين الكولونيل ومسجل العقود صداقة قوية فراحا يتقابلان من وقت لآخر ، وكانا يشعران بالتفاهم . اذا ماجاء فى حديثهما شىء عن الجاسوسية . واضطر تامبلمان الى التزام الحذر فى كلامه اذ لم يكن كل منهما فى مركز يسمح له بان يخوض صراحة فى مثل هذه الأمور متفقين على أن هذه الأمور لن تلبث أن تتكشف بنفسها . وتراح عن عالم مضطرب عجيب .

وكان فيرهاجن — تولعه بتتبع كل غريب — يجد لذة فى ارتقاب هذا التكشف . فراح فى هذا اليوم يقول لنفسه :

— وى ! . كيف يتقدم بى العمر ، وأنا لم أبدأ الحياة إلا اليوم .؟

ثم تحول ، قائلا للخادم وفى صوته رنة جديدة :

— مارى ! . آتينى بدليل القطارات .

واذ غادرت الخادم الحجرة . مضى يسائل نفسه :

— ترى ماذا يجول بذهنها ، خلف هاتين العينين الجامدتى النظرات ؟ . وماذا تراها قائلة إذا أنا أخبرتها .؟ لسوف تقول انى ذاهب لاصطاد أوزة .. وتامبلمان ؟ . انه سيضحك إحدى ضحكاته الضخمة ، فليكن . . انى ذاهب

وعادت مارى فوضعت الدليل أمام سيدها وهى تقول :

— لقد وصل مسيو هنرى .

فهز فيرهاجن رأسه وهو يقلب صفحات الدليل بسرعة مطمئنا إلى أن هنرى — سكرتيره وموضع ثقته — لن يمل الانتظار . . وما لبث أن قال

لنفسه وهو يخرج مفكرته فيدون فيها موعدى القطار والباخرة :

— سوف يبحر الكابتن الليلة من انتويرب ، بينما أبحر أنا اليوم من اوستند ، فأصل الى لندن هذا المساء .

ثم غادر حجرة الطعام ، فعبر صالة أنيقة الرياش .. الى مكتبه الخاص ، فما أن ولجه حتى نهض هنرى قائلا فى احترام :

— طاب صباحك يامسيو فيرهاجن . أرجو أن تكون قد نعمت برحلة مريحة فى عودتك من برلين .

— طاب صباحك ياهنرى .. اجل ، لقد كانت رحلة مريحة .. وممتعة للغاية .

كان هنرى شابا طويل القامة نحيلهـــا ، ذا عينات لاتفارق عينيه وذا ذكاء ، وحديث سليم ، هادئ الصوت . اعتاد ان يفهم ماوراء أحاديث سيده ، اذ كانا خلال العشرين عاما ، التى قضياها معا ، صديقين حميمين اكثر منهما سيداً ومسوداً .

وقال فيرهاجن بعد برهة :

— ارسل تلك البرقية الى الكولونيل جون نامبلتان . واصف اليهـا رجائى ان يستقبلنى فى المحطة إذا استطاع . فاذا ارسلتها ، فاتصل تليفونيا بمدير البوليس فى ادارة (س . أ . «٢») واسأل باسمى عمايعرف عن السيدة الشابة ـ البارونة جالى فهيل ـ التى وصلت بالأمس برفقة الأميرال اوتوفون كرامان . سأرحل إلى لندن اليوم ، ولـكن هذا الخبر يجب ان يبقى فى طى الـكتمان ياهنرى . اتفهم ؟ . وسأعود بعد يومين ، فعليك ان تعد خلال غيبتى ملفات املاك فون شولتز ، اذ سيزورنى الهر البريك فى يوم ٢١ ، ليتفقد ممتلـكاته البلجيكية .

فسجل هنرى بعض ملحوظات سريعة ، ثم نظر الى فيرهاجن فى ترقب فقال هذا :

— اما العمل العادى . فاتركه لك حتى عودتى

ثم تقدم إلى حجرة الطعام وصاح :

— مارى ، اعدى حقيبتى الصغيرة ، وارسليها إلى محطة الشمال فى الساعة العاشرة والنصف .

ثم تناول عصاته وقفازيه . ووقف برهة عند الباب الخارجى ، وما لبث أن أعراه الصباح الجميل ، على أن يقطع المسافة الى المحطة سيرا على الاقدام ، وهو ما لم يفعله منذ أكثر من خمس سنوات . حتى اذا وصل الى المنعطف المؤدى الى ميدان الشمال ، هاله شعور القلق الذى كان مسيطرا على الجمهور . فقد كان البلجيكيون متجمعين وليس لهم من حديث سوى انباء الاضطرابات وما ينتظر أن يعمله الالمان ، أيطلقون كلاب الحرب ؟ . . وهل تداس بلجيكا فى المعمعة مرة اخرى ؟

كان قد مضى شهر على حادث سراجيفو . ولكن الاثر كان قد تعدى المدينة الى العواصم الكبرى ، فأصبحت سراجيفو ذكرى ، بينما أخذت الدول تتجادل حول الموقف وتزأر كل فى وجه الأخرى .

وتأمل فيرهاجن المنظر ، والوجوه المكفهرة التى كانت تتفحص الصحف المعروضة خارج « الأكشاك » المعدة لبيعها ، ثم تحول الى فندق « بالاس » حيث رأى سيارة تقف عند المدخل ، ثم يقفز منها شخص ضخم تبين فيه الاميرال فون كرامان ، الذى تحول فى أدب جم يساعد جالى فهيل الجميلة على مغادرة السيارة . فتراجع المسجل لحظة مترددا ، اذ أبصر جمال المرأة الرائع ثم ما لبث بعد اذ اختفيا ، أن تقدم الى الفندق ، فتهالك متعبا فى أحد مقاعده وطلب شرابا . وراح يستعرض ما ثار حول الكابتن جرانفيل من اضطراب وما كان يعتريه من عواطف عندما عاد اليه بعد أن حيا جالى فهيل .

واعتراه الشك والتردد لثوان قلائل مالبث بعدها أن صاح :

— لسوف أذهب . انى لم اخطىء مرة فى فهم احدى الشخصيات .

ثم تناول عصاه وقفازيه ونادى الساقى ، فدفع أجره وهو يقول :

— انى راحل ، وأمامى عشرون دقيقة لألحق بالباخرة

وقال الساقى وقد أسرع فيرهاجن بالانصراف :

ها هودا شخص آخر يحثى قدوم الألمان .

كان هنرى بنفسه يحمل الحقيبة فى انتظار فيرهاجن فى المحطة . وبعد أن اختار هذا مجلسه ، ووضع حقيبته ، وقف مع هنرى على الرصيف يتحدث اليه خلال الدقائق القلائل الباقية . فقال هنرى فى صوت خافت :

— ان تلك السيدة الشابة التى أمرتنى بالاستعلام عنها ، تدعى البارونة جالى فيهل كما قلت أنت . وهى ألمانية ولكنها تنتحل الجنسية الهولندية ، لزواجها من بارون هولندى ، قتل فى أحد حوادث الطيران منذ شهور قلائل ولا يشعر الرئيس باطمئنان من ناحية هذه المرأة ، وان لم يعرف عنها إلا . . ان ثمة علامة حمراء أمام اسمها . لقد قال الرئيس انك ستفهم مايقصد بذلك ياسيدى . أما الاميرال فون كرامان ففى طريقه الى روتردام ، حيث تمتلك البارونة قصرا مشهورا يدعى « حصن باتافيا »

وتحرك القطار ، فأسرع فيرهاجن الى عربته . .

الفصل الرابع

الكولونيل تامبلمان

— آه ، اهذا انت ياجون تامبلمان .

وقفز بروت فيرهاجن إلى الرصيف وقد شاع فى وجهه سرور عظيم ، فصافح الكولونيل الضخم الذى بدا فى ملابس ملكية ، والذى مضى يرحب به فى ود عميق . وعلى الرغم من ان الكولونيل — الذى كان يرأس القسم الحربى فى ادارة المخابرات السرية — كان مرهقا بالعمل خمس عشرة ساعة فى ذلك اليوم ، إلا أن وجهه لم يحمل أى امارة تنم عن هذا الأرهاق . وما لبث ان قال ، وهو يرقب الجموع المنسابة فى المدينة بحثا عن الشبح الذى لم يفارقه خلال الاسابيع الماضيـــة ، ثم يرتاح اذ تبين أنه لم يستطع اقتفاء اثره هذا المساء :

إلى فندق روشستر يامستر فيرهاجن ؟

فلما جاءه الرد بالايجاب ، أدلى بالعنوان إلى سائق احدى السيارات التى كانت تقف بجانب الرصيف . وما أن وصلا ، حتى استلق الكولونيل

تامبلمان فى احد مقاعد القسم الذى نزل فيه فيرهاجن فى الفندق العظيم ، وقال :

— ان هذا بديع يابروت . انهم يلقوننى فى ادارة منظمة مترتبة مكونة من حجرة واحدة تطل على احدى الحدائق الخلفية ، ويطالبوننى أن اقوم بعمل ثلاث ادارات .. بينما تستأجر أنت هنا شقة بأكملها . كى تستريح قليلا ، وتجد مأوى للنوم ..

فقال فيرهاجن وهو يضغط على زر الجرس :

— انك ضيفى الليلة ياجون تامبلمان ، وسوف آمر لك باجود أنواع السيجار والويسكى المحبوبين اليك ، حتى تدرك انى لم أنس مكيفاتك العالية . كما أدعوها .

وأقبل الخادم يدق الباب ، فأصدر اليه فيرهاجن أوامر دقيقة ، حتى اذا هم بالانصراف ، صاح تامبلمان وقد اكتسب صوته رنة الأمر فى سرعة عجيبة :

— لحظة ، ايها الساقى . . لقد كان هنا شاب لطيف أنيس ، أظنهم كانوا يدعونه كارل . .

— أوه ياسيدى . . كارل ؟ . لقد ذهب ، اذ عاد بالأمس الى المانيا .

فأشار الكولونيل تامبلمان الى الخادم بالانصراف .. وراح يتصور وجه كارل الدائم البشاشة ، وملابسه الانيقة النظيفة .. ثم تمتم : «عجبى .. كيف سيبدو كارل فى ملابس الميدان »

ولم يتبادل الصديقان أية كلمة عن زيارة فيرهاجن القصيرة ، حتى عاد الخادم ، فأحضر الشراب والسيجار ثم انصرف ، بينما تناول الكولونيل سيجارا فراح يشمه فى نشوة ، ثم وضعه بين شفتيه ، وتحول ينظر الى زميله .. لم يكن فيرهاجن قد تغير كثيرا — فى رأيه — وان يكن قد هزل بعض الشىء ، وازداد تهكم نظراته قليلا . وما لبث فيرهاجن أن قال وهو يشعل سيجاره :

— انهم قادمون ياجون تامبلمان !

— طبعا يابروت .. والا فلماذا عاد كارل الى وطنه ؟ أتراه ذهب ليزور أمه العجوز ؟. طبعا انهم قادمون

ثم أضاف فى يقين وثقة :

— ولسوف يجتاحون بلجيكا ، وطنك المحبوب ياصديقى .

— واذذاك . ستقف امبراطوريتكم العظيمة الى جانبنا

— أجل . . سنأتى فى الوقت المناسب . وآمل من صميم قلبى أن لا نتأخر . يالله ! . انى لا أزل عن أى شىء لأعرف أين يقفز القط فى الأيام القلائل التالية .

— انكم ستقفون معنا منذ اليوم الأول ياجون تامبلمان . فانى اعرف قلب بلادك النبيل .. كقلبك . ان أول طلقة فى الأرض البلجيكية ستدفع بريطانيا الى الحضور .

— وددت لو اتأكد من هذا تأكدى من أنى أجلس الى هذا الويسكى اللذيذ .. كنت ازداد سعادة هذا المساء يابروت .

ثم حدق فى فيرهاجن لبضع ثوان فى صمت ، وما لبث أن سأل :

— ما الذى دعاك الى الابراق الى ؟. لا أظنك حضرت لتدلى بهذه الأنباء ؟ .

فاومضت عينا فيرهاجن وهو يتحول الى الكولونيل قائلا :

— كلا .. ليس لهذا . ولكنك اذا ضحكت لما سأقصه عليك ضحكتك الضخمة ، فسوف أحطم هذه الآنية على رأسك الغليظ كما فعل معى ذلك الكلب الألمانى فى سويسرا .

— بل امض فى حديثك يابروت ، فليس من السهل اضحاكى فى هذه الأيام .

فشع وجه فيرهاجن بريق ، وهو يفضى الى صديقه باكتشافه :

— لقد مات أغنى عملائى — بل لعله أحد كبار أغنياء أوروبا — ماكس فون شوابز الالمانى ، منذ شهر فى برلين . ولقد قضيت الاربعة عشر يوما الأخيرة هناك لمصفية أملاكه فى بلجيكا وتقديم تقريرى عنها . وكان

اقبال ذلك العجوز على شراء الاراضى والضياع فى بلجيكا ، يرجع الى غرض عميق بعيد الغور ، سأترك ايضاحه الآن . فان الذى يعنينا ان ابنه البريك قد ورث عنه كل هذه الممتلكات الواسعة . ولقد عرفت البريك كل المعرفة طيلة حياته . فهو مع صغر سنه ، قام باسفار كثيرة . ولقد قضى مدة الخدمة العسكرية كالعادة طبعا ، فى احدى كليات الضباط ، ولكنه لم يك يميل الى الحياة العسكرية

وهنا خفض فيرهاجن صوته حتى كاد يصبح همسا :

— وهذه هى النقطة الهامة . فعند عودتى الى بروسل ، التقيت عرضا بشاب .. وكان غريبا يا جون تامبلمان ، أن أراه تام الشبه بالبريك فون شولتز وهاك اسمه .

وفى عجرة تأثره ، قدم الى المبلمان بطاقة ، قرأ الكولونيل الاسم الذى كتب عليها ثم قال وهو يقرأ العنوان :

— آه ، يلوح لى انه شاب حسن يا بروت . . كلايف جرانفيل ، الفرقة ١٥ الرماة . . نادى الجيش والبحرية بلندن ، بالحى الغربى . . وما رتبته ؟

— أظنه « كابتن » .. انه يلوح أصغر من أن يحمل هذه الرتبة . ولكنه كان يعمل كضابط اتصال الاسطول الذى كان يزور قنال كيبل ويتكلم الالمانية كما لو كان مولودا فى بروسيا .

وراحت عيناه الحذابتان تتطلعان الى وجه الكولونيل ، ثم عاود حديثه فى نفس الصوت المنخفض :

— لقد كنا وحيدين فى الصالون ، فكان من الطبيعى أن أتبادل معه بعض الحديث . وشد ماراعنى ان أحد كل شىء فيه مشابها لعميل الألمانى . ان البريك فون شولتز سيزورنى فى الأسبوع القادم ليتفقد أملاكه فى بلجيكا

فجلس الكولونيل جامدا ، وقد راح الحديث يتغلغل فى ذهنه . وأدرك ما تنطوى عليه فكرة فيرهاجن لو أمكن تنفيذها . لقد كانت خيالية متطرفة ولكن أمثالها كانت ذات فائدة لرجل البوليس السرى الناجح . اذ كل

ازدادت استحالة الفكرة . كلما كان نفعها له . اذا كان ذا عقل جبار وشجاعة قوية . وإذا ما أمكن الاطمئنان من جانب رجل كفون شولتز . أصبح من العسير على الأعداء أن ينجحوا فى مساعيهم فى التجسس . . وتصور تامبلمان أحد الضباط الانجليز وهو متخف فى زى ضابط من الأعداء . ولكن .. أى رجل يتطلبه هذا الظرف . ومع ذلك فقد أنجبت انجلترا الكثيرين من هذا النوع . كما أن الظرف والفرصة تجدان عادة الرجل الملائم . . وتذكر أن ثمة حادثا فى البنغال . كان أكثر غرابة من فكرة فيرهاجن . فقد تنكر أحد الضباط الانجليز فى الزى الوطنى . ليوقع زعماء عصابة خطيرة فى شباكه وقد ظل فى زيه سنين عاشرهم خلالها وقاتل فى صفوفهم . وتآمر معهم . فما بالك ورجل فيرهاجن تام الشبه بالألمانى . ويحذق لغته ؟ .

وأخيراً . تساءل تامبلمان :

— وماذا تراك فاعلا بالبريك ؟ . انك تعرف يابروت ان الأسرى فى حكم الموتى . .

وشعر فيرهاجن ان حملا ثقيلا قد أزيح عن عاتقه اذ لم يهزأ صديقه بأفكاره . فضحك قائلا :

— لقد فكرت فى احضاره إلى انجلترا . حتى إذا . .

— ليس هنا ياصديقى ، فمهما وجدت «إذا» فان حكومتنا ستضطر الى ان ترسل للحكومة الألمانية اسم البريك وكل مايختص به كما يقضى الواجب . ولامناص من هذا يابروت .

— اذن ياجون تامبلمان ، فى وسعك ان تدلنى على صديق فى القسم الثالث من الجيش الفرنسى ،فاستطيع ان اودع البريك سالما فى ايدى الفرنسيين .

— حسنا يابروت . وسأدلك على واحد . انهم يتقيدون بهذه الواجبات مثلنا . سأكتب إلى باريس غدا ، واعد هذه النقطة آخر تدابيرنا . والآن . مارأيك فى بصمات الاصابع ؟

— آه ، ان هذه مهمة . ولكن البريك لم يكن فى فرق الحرس ، ولا فى المخابرات السرية ، ولذا فهم لايحتفظون ببصماته .

— ومارأيك فى رجلنا ؟ . اتراه ملائما للدور

— هل رأيت صورة الملك آرثر فى اللوفر ياصديقى ، نفس الشجاعة ترتسم على وجه جرانفيل . . ونفس النبل الذى يشع منه .

والعقبات ؟

— انها لم تخلق الا للذال ياصديقى ، لاسيما فى مثل هذه المسألة التى يرجى من ورائها خير عميم . لوأرسلتم الكابتن جرانفيل إلى فى بروسلز ، لخلقت فى جسده روح البريك فون شولتز ، انى عارف بخافيات اموره وكل اقاربه الذين يغارون عليه ، وقد اعددت خطتى كلها ، ولن انسى شيئا ، فبينما يرى الألمان البريك فون شولتز ، نجد نحن جرانفيل يعمل لغايتنا . . لقد راقبت جرانفيل بدقة . . حتى نبرات صوته مطابقة للواقع . ثم حدث بينما كنا نتناول الغداء . أن نفذ الى العربة رجل وامرأة . كانت المرأة غاية فى الجمال رائعة البهاء . وكانت تدرك مدى سحرها فاستخدمته فى الدخول الى العربة فى حركة مسرحية ، لقد كان لها وجه و . .

فقال تامبلمان فى جفاء ، وإن لم تفارقه ابتسامته :

— ظننتك أعزب .

— ولكن جمالها ياصديقى . . على أنها لم تكن هى التى استرعت انتباهى ، وانما كان زميلها . . كان الأميرال أوتو فون كرامان .

فكاد تامبلمان يقفز من مقعده وصاح :

— يالله يابروت ! . وهل عرف جرانفيل ؟ . .

— أجل ، ستحكم على كل شىء متى شرحته لك . .

ورأى الكولونيل أن هذا اللقاء العارض فى القطار ، قد ترك أثراً ظاهراً فى نفس فيرهاجن ، كما لو كان مادار خلاله ، وقائع حدثت فى احدى قضاياه فسجل معنى كل حركة وكل كلمة ، فى ذهنه الدقيق التفكير ، القانونى . . وأفضى فيرهاجن باهتمام جالى فهبل ، بجرانفيل ، وما دار بين هذا وبين الاميرال من حديث ، وهو يقول :

— قد لا يكون التعارف ذا قيمة حتى أتذكره . ولكننى أسرده

لأن .. لأن فون كرامان قد يلتقى بحراسه .

— ثم بعد ذلك ؟

— يجب مجابهة الاخطار . ولكن . قم أنت بدورك باجون تامينان ودع لى الأمرال ، فانه اذا اعترض طريقنا ..

وتلك المرأة .. حالى فهيل ؟

— اعتقد انى أحسن الحكم على الشخصيات . ولست أظن ان رجلنا يتراجع خطوة واحدة ، ولو أمام العاطفة الجارفة .. ولقد تساءلت عنها بمجرد وصولى الى بروسلز ، فاذا بقلم مخابراتنا السرية لا يكاد يعلم عنها ، سوى ذلك الشك البسيط .. فان أمام اسمها العذب علامة حمراء صغيرة . ويلوح انهم يظنون انها أرسلت الى كيبل لغرض آخر غير استهواء الضيوف البريطانيين . وقد كانت البارونة فى طريقها الى روتردام برفقة الاميرال ، إذ انها تملك هناك قصرا جميلا ، كما انها لاتقابل بشك هناك . لتمتعها بالجنسية الهولندية لسوف تصبح هذه المدينة غاية فى الأهمية فى بعض الحالات الخاصة ..

— حسنا باروت . يستطيع كلانا ان يرقبها اثناء وجودها هناك .

الفصل الخامس

الدعوة

كأنما خلق ذلك الأصيل من أحد أيام يوليو الأخيرة . للحب والمحبين . فقد أسفرت فيه الدنيا عن كل مفاتنها ، وتجلت محاسنها ورواؤها .. وكأنما أرهقت الشمس مرحلة النهار ، فمالت فى شحوب وتعب ، نحو الجانب الغربى ، وغمر المحبين اللذين كانا يقفان فى الحديقة جو من السعادة ، والهناء .

ورفعت جوان هارلند عينيها الشبيهتين ببحيرتين تصطفق فى جوانبهما أمواج الحب الفياض ، وراحت تنظر الى حبيبها ، وقد انعكست على وجهيهما مباهج النعيم الذى كانا يعيشان فيه فى تلك اللحظة

كان كلايف صامتا لا يحير حديثا . وقد خشى أن تصده تلك المخلوقة الرائعة التى الى جانبه . وتصده حبه . لقد تكلم فى تردد وتخوف ، ثم .. راح يشعر

بقلبه بدق فى عنف ، وتولاه شعور من الخجل ، ثم انبعثت كلمات الحب تتدفق من بين شفتيه ، بعد أن كاد ينصرف دون أن يبوح بها .. وراح الجسد الرشيق الحبيب يهتز اذ احتواها بين ذراعيه وقبل شفتيها المعربتين .

— كلايف ، ألم تحدس انى ..؟

فقال وهو يتطلع الى دنيا الغرام التى تبدت له فى أنوار عينيها :

— آه يا عزيزتى .. انى ما كنت لأجرؤ ..

ثم راحا يستعرضان كل على محيين فى بدء غرامهما ، اللحظة الأولى التى اغرم كل فيها بالآخر . واليوم السعيد الذى شاء القدر فيه أن يلتقيا . وقالت عاتبة شاكية :

— لقد أحسست ان فى وسعك أن تتحطم حين رحلت إلى كيبل دون أن تودع ..

— لقد خلت فى ذلك اليوم انى آخر مخلوق مشغول به ذهنك كنت منصرفة كل الانصراف الى ضيوفك الذين دعوتهم فى عطلة آخر الأسبوع .. كما انك كنت هادئة وأنت تكتبين لى الخطاب الذى قدمتنى فيه الى خالى فهيل ، حتى ظننت انى أبعد آلاف الأميال عن رأسك الجميل .

فابتسمت جوان فى سعادة وهى تتعلق بذراع كلايف ثم تمتمت فى زهو :

— ياضابطى الكبير .. انك لم تغب عن ذهنى لحظة واحدة .

واذ لحظت أن كلايف قد أخلد الى التفكير عندما ذكر اسم خالى فهيل

شفاء السيلان بالدياترمى

ازالة الآلام فى ٢٤ ساعة

بعيادة الدكتور برهان

بميدان الملكة فريدة ١ فوق قهوة النيل

تحولت قائلة :

— وهل أحسنت جالى فهيل لقاءك والعناية بك ؟

فأجاب مطريا . وان مرت بوجهه سحابة شك . وهو يذكر مقابلاته للبارونة الساحرة . بين فات حوان دون أن تلاحظ شيئا :

— لقد كانت جالى فهيل مسرفة دائما . . فى آرائها وأعمالها . . فى حبها ومقتها . . وقد كنت احدى اللواتى أحبتهن .

ولما لم تلق من كلايف رداً . تابعت كلامها :

— ومع ذلك . فانا موقنة انها قد أحبت ضابطى البحرية . . ومن ذا الذى لا . . .

بيد أن كلايف قاطعها . متجاهلا ما أبدته له جالى فهيل :

— انها تلوح مغرمة بك محبة لك ياعزيزتى . وكأنى بها تحتفظ بذكرى حية حبيبة لصداقتك الكريمة عندما كنتما فى المدرسة . وقد ذكرت لى أنها كانت إذذاك الألمانية الوحيدة هناك . . وانك خرجت على العادة فأوليتها صداقتك . .

— أوه . انها مغالية . . لقد كانت فراولين مولر من النوع الذى يلتقط ويتخير من يشاء . اذ كانت فتاة رائعة الجمال . خلابة السحر . . ثم غادرت المدرسة عائدة الى وطنها لتتزوج من بارون هولندى مثر .

— ألم يقتل فى العام الماضى ؟

— اجل . . فى حادث طيران . . فقد كان يهوى الطيران الى حد التهوس انها مازال تقطن فى هولندا . وان قصرها الذى يقع على مسافة قصيرة من روتردام . ليعد احدى تحف الأراضى المنخفضة . لقد وعدتها يوما أن أزورها وانزل فى قصرها هذا .

واتخذا طريقهما عائدين وهما يتذاكران تلك الحوادث التى جمعت بينهما . وهبت نسمة عليلة من نسمات الصيف . تحيى الشمس الآفلة . فتساءلت جوان فى خجل :

كلايف . . هل سندخل ونخبر أبى ؟

— أجل ياحبيبتى .

— سوف يفاجأ وأسير الى أقصى حد .

فقال كلايف فى شىء من الألم :

— أشد ما أمل ذلك ياعزيزتى . فأنا لست واسع الثراء . كما تعلمين . أو .. على الاقل . لست ممن يروقون لعين السير جورج

فاحتجت وهى تتعلق بذراعه :

— لاتظلم أبى فى آرائه .. انه دائما يقول لى ان المال لا أهمية له طالما كنت أنا سعيدة . وكم أنا سعيدة هانئة !

وسار العاشقان .. وقد اشتبكت ذراعاهما .. الى « أبراج مارفين » التى كانت تقوم كجوهرة شامخة باطرافها نحو السماء التى فرضت جيوش الليل عليها لونها ، وكانت « أبراج مارفين » هى القصر الريفى الذى يهواه السير جورج هارلند . صاحب السفن الذائع الصيت وعادت جوان تضغط ذراع كلايف مشجعة وهى تقول :

— انك تعرف يا كلايف أن أبى يرى فيك آراء كبيرة .. انه يعتقد انك أحد رجال الجيش الذين سيحظون بمستقبل عظيم .

ثم مضت تنظر فى شغف الى جراتفيل الذى كان يشعر بنوع من الخجل والاضطراب وما لبثا أن ولجا البيت وراحا يبحثان عن السير جورج ، حتى عثرا عليه أخيرا ، وقد جلس مستغرقا فى القراءة ، فما أن رأى وجه جوان المتورد الناطق بالحبور حتى اعتدل مترقبا . كان رجلا مهيب المنظر فى الخمسين من عمره . تدل ملامحه الصافية الصريحة . على طابع البحر فيه . فقد كان أحد كبار أصحاب السفن التجارية ، وكانت بواخره تسير بين موانى الشرق وبريطانيا من ناحية ، وبين موانى بحر البلطيق والمانيا من ناحية أخرى .

وكان السير جورج أعزب ، إذ ماتت زوجته بعد مولد ابنتهما الوحيدة — جوان — بامد قصير .

أحس كلايف بان لسانه قد ربط الى حلقه . إذ وقف مع جوان أمام سير جورج . وعبثا حاول أن يتكلم ، إذ عصته الكلمات . فتولت جوان ذلك فى صوت خبور ، أخفقت فى اخفاء ما كان يتخلله من عوامل السرور الطاغى :

— ابت . . لقد أتممنا كل شىء ، وأصبحنا خطيبين .

فاومضت عيناه . وان تعمد أن يبدو هادئا أمام جوان وقال فى حرارة :

— انكما أسعد زوجين ، وانى لأهنئكما .

نظرت جوان إلى أبيها فى دهشة المفاجأ بما لم يكن يتوقع . بينما استغرق هذا فيما مر بذهنه إذ ذاك من افكار ، ثم قال مبتسما وهو يقف واضعا ذراعه حول كتف ابنته فى عطف وحنان :

— ا كنت تظنين ياعزيزتى انى لم اعرف كيف كانت الريح تتجه ؟ لقد كنا نرقبها فى هبوبها المعتدل خلال الاسبوع الماضى ، وقد راح كل من فى البيت يرقب غرامكما ممسكين انفسهم لفرط لهفتهم إلى تعرف ما سوف يلى . . كان بوسعك ان ترى الكآبة التى حامت على « ابراج مارفين » حين رحل هذا الشاب إلى كيبل . . حسنا ، حسنا ، انى مسرور سعيد بكما . .

ونظرت جوان بعينين مفعمتين إلى حبيبها وكأنها تقول له : « ألم أخبرك ؟ » .

ودعا سيرجورج كلايف إلى حجرته ، وما ان أطرى الأول اخلاق الثانى وما يراه له من مستقبل ، وأزجى الأخر اليه بثنائه حتى سمعا طرقات الخادم ميلر على الباب ، ثم دخل فقدم إلى كلايف خطابا أصفر اللون وهو يقول :

— لقد وصل هذا للتو مع ساع خاص يا كابتن جرانفيل .

وبينما كان كلايف يفض الخطاب ، نظر ميلر إلى جوان وسيرجورج ، وكأنه يعلنهما بأنه قد أدرك أخيرا خاتمة غرام أبراج مارفين . . كان ميلر أقرب الخدم إلى سيرجورج واصدقائه . وكان رجلا طويلا عريضا يميل بعض الشىء إلى السمنة تحيط بخديه عارضتان ناعمتا الشعر ، ويتوج رأسه شعر

ابيض على بنفسجيه على الجبين . وبدت عيناه تثيران الانتباه إذ كانت مقلتاهما الكبيرتان تفيضان بالبراءة والطيبة . وكان ميلر يشعر بما يكنه اصدقاء السير جورج من الوزراء من حسد لوجود مثله فى خدمته . .

وقال كلايف أخيرا . وقد بدا الاضطراب والاستياء فى نظراته :

— شكرا يا ميلر . لا أظن انى بحاجة الى الرد .

ولما انصرف الخادم . قدم كلايف الرسالة الى جوان . فما لبثت وجهها أن ا كفهر وهى تقرأ :

« كابتن كلايف جرانفيل

« الفرقة ١٥ الرماة .

« نادى الجيش والبحرية .

« ينتدب منذ اليوم مرة أخرى لأداء مهمة خصة .

« بمجرد استلام هذه الاشارة المعجلة ، قد صدرت الأوامر بأن تقدم نفسك توا الى الحجرة ٢٨ ، بوزارة الحربية ، رقم ١٦ حدائق كامفورد .

« حاشية : يجب قبل أن تقدم نفسك ، أن ترتب كل أمورك الخاصة ، ككتابة وصيتك . . . الخ »

واستطاعت جوان بعد قليل أن تقرأ الامضاء: « كولونيل ج . تامبلان »

ورفرف على الثلاثة شبح مظلم . بينما كانوا يتبادلون نظرات حائرة دهشة وأخيرا قال سير جورج فى صوت أجش :

— أى أمر غريب غامض ؟ . هل صدرت الاوامر بالتعبئة ؟

— لا أظن يا سير جورج . فان اشارة التعبئة تختلف عن هذه . انى لا أكاد أفهمها . . انها ليست أمرا بأن ألحق بفرقتى . .

— انى لا أحب مثل هذه الأوامر الغريبة . اذ يبدو أننا نعيش اليوم على حافة بركان .

ثم نظر الى جوان فى عطف قائلا :

— أتسمحين بأن انفرد لبضع دقائق مع كلايف ياعزيزتى ؟ .

وعلى الرغم من تكدر جوان لتطور الأحوال الى هذا الحد فى يوم هنائها

فانها تشجعت وألقت بابتسامة الى كلايف ، ثم اتجهت الى الباب ، فما أن فتحته فى رقة وخرجت ، حتى وجدت ميلر أمامها منصتا فى انتباه . وما كاد يراها حتى تراجع مبهوتا ، وأسرع يقول متعمدا أن يبدو صوته هادئا :

— لقد كنت انتظر يامس جوان ، لأرى ما اذا كان السكابتن كلايف سيرد على الرسالة . .

بيد أنها كانت غارقة فى أفكارها . فلم تلاحظ اضطرابه — وان تذكرت الحادث بعد هذا بوقت طويل — فذكرت له أن ليس ثمة رد

وقاد سير جورج ، كلايف الى حجرة صغيرة ملحقة بصالة « البليارد » ثم أجلسه ، وراح يسير نحو الجرس قائلا :

— سآمر ببعض الصودا ، والشراب .

وما لبث بعد برهة ، أن نفذ الخادم ميلر الى الحجرة فتلقى أمر سيده ثم انصرف . . وأحس كلايف انه يكره الخادم فردريك ميلر ، لسبب لم يستطع أن يدركه . كان بطبيعته كريم النفس عطوفا ، ولكن نفسه كانت تأبى عليه أن يثق بميلر . فقد كان يشعر بالحزن — دون سبب ظاهر — كلما اقترب منه . وعاد الخادم يحمل الشراب ، ثم انهمك فى خلطه فى صمت وود كلايف لو أن الخادم الصموت ، يخرج لحظة عن صمته . ود لو يسمعه يصدم الاقداح ببعضها . أو يحدث صوتا وهو يضع الصحفة على المنضدة . أو أن يسعل . ولكنه ظل فى صمته حتى فى حركاته . . حتى اذا أعد لهما الشراب وقدمه اليهما . إذذاك قال سير جورج :

حسنا يا كلايف . . فلنشرب بانى نحبك ونحب جوان . لقد حصلت على احدى آلهات الارض . وأعتقد أيضا انها . . .

واحتسى قدحه . ثم اتجه الى مكتبه . فأخرج من أحد أدراجه ورقة . ووقف برهة يدقق النظر الى كلايف ثم قال :

— ماذا تراهم فاعلين بك يا كلايف ؟

— انى على استعداد للتخلى عن كل مأملك فى سبيل اجابتك .

— ألديك لديك أية فكرة ؟ .

فارسل كلايف نظرة صامتة الى ميلر ، فهم سير جورج معناها فصرف الخادم واذذاك قال كلايف وعلى وجهه أمارات الحيرة :

— ليس فى وسعى سوى أن أبدى فكرة خيالية . فكرة قائمة على الشك . ولست أدرى الى أين تؤدى بى . وعلى كل حال . فلست أرى ياسير جورج أى جدوى فى ازعاج جوان بهذه الفروض الخيالية . . . ذلك انه حدث لى أثناء عودتى من برلين فى القطار السريع . لقاء غريب . ولكن . .

وقبل ان يتم كلامه ، استوقفه سير جورج ، وقدم اليه الورقة التى أخرجها من مكتبه ، ذاكرا انه تسلمها من الاميرالية البحرية فى اليوم السابق ورأى كلايف فيها

اعلان مهم جدا

زيت مستخرج من أشجار الاناضول

أولا — زيت الاناضول يزيل القشر ويمنع سقوط الشعر ويقوى جذوره .

ثانيا — زيت الاناضول يكسب الشعر النعومة ويطريه مهما كان خشنا ويجعده ويعطيه رونقا جذابا .

ثالثا — استعمال البريانتين والفازلين هو ضرر كبير لانه يجفف ويسقط الشعر سريعا لأنه مركب من مواد غير صالحة

رابعا — زيت الاناضول رائحته مستخرجة من الزهور الطبيعية لذلك لا تزول رائحته من الشعر .

خامسا — زيت الاناضول اكتشفه جابرة الكيماويين بفابريقة لوريا الشهيرة باستامبول ويوجد الآن بمعرض الروائح التركية بالموسكى بمصر عثمان بك نورى .

انذار هام

« الرجا حشد كل سفنكم فى موانى الوطن . وتجنبوا كل موانى الدول الوسطى » وتساءل سير جورج : مارأيك فى هذا ؟

— انه لايعنى غير امر واحد ياسير جورج . الحرب . اخشى ان الألمان كانوا يستعدون لها منذ سنين طويلة ، وقد استقر رأيهم على ان اللحظة قد حانت . ان الشعب الألمانى يسعى وراء كتلة من خيالات الحرب واوهامها الجنونية .

— آه . انى أرى رأيك يا كلايف . ان اثنتين من سفنى فى همبورج وكان المقرر ان تبحر احداهما اليوم . ولكننى ابرقت للاخرى ايضا كى تبحر فى اقرب فرصة . كذلك صدرت الاوامر لسفنى فى موانى بحر البلطيق كى تعود للتو . وقد ارحل إلى روتردام بعد ايام قلائل حيث استطيع ان ارقب الجو ، إذا لم تجر قدم هولندا إلى الحرب . ولكن . علام عولت يا كلايف؟

— ان اطيع الاوامر ياسير جورج ، فأذهب إلى المدينة غدا لأقدم نفسى وسأعمل بعد ذلك على الحصول على اجازة لبضعة ايام . اذ أود ان ارتب شؤونى مع جوان . ومعك ايضا

— حسنا يابنى . إذا رأيت انى قد استطيع مساعدتك فى اى شىء فلا تتردد فى ان تلجأ إلى.

وعاد الحبيبان بعد برهة يسيران فى الحديقة . بيد أن شبحا مظلما كثيبا كان يرفرف عليهما هذه المرة . . وقال كلايف :

— لقد أخبرت سير جورج يا حبيبتى ، انى سأسعى لمد أجازتى لبضعة أيام ، كى . . — أوه يا عزيزى . . لقد كنت فى غمرة السعادة ، ولكننى أشعر الآن انهم يوشكون أن يأخذوك منى .

وطوقت عنقه فى وجد . وتعلقت به ، حتى أحس بدقات قلبها تتتابع بعنف فوق صدره . ثم شعر بها تستجمع شجاعتها ، وسمعها تهمس قائلا :

— ان حبى سيظل معك دائما . . مهما حدث .

وفجأة ، طغت على ذهن كلايف ، تلك العرائب التى صادفها فى الأيام

القلائل السابقة ، فأوحت اليه بخطر يوشك أن يدهمه . ووجد نفسه يقول في رقة ورجاء :

— حبيبتي . . ثقي في دائما . . واركني الى . .

— حتى الممات ، يا ضابطي الحبيب !

الفصل السادس

الجاسوس « ثلاثة — ثلاثة » يرحل

كانت لندن مستلقية تحت أشعة الشمس الحارة ، صامتة وكأنما اندرها عاصفة طاغية ، فراحت تنتظر . . تنتظر الأخبار التي ستقر السلم أو . .

وبدت حدائق كامفورد ذات رداء بهيج في غمرة الشمس . وقد اطلت لوحات « الايجار » من بعض مساكنها . وكأنها تنبه المـــار الباحث عن مسكن شاغر .

ولم يكن المنزل رقم ١٦ يختار عن غيره من المساكن في شيء . كان يبدو صامتا ساكنا لمن في الخارج . . غير أن ثمة نشاطا جباراً كان يبذل في داخله .

وجلس الـكولونيل جون تامبلمـان إلى مكتبه ، وقد كاد يختنق لفرط الحر ، وبدت على أساريره أمارات الارهاق والتعب . . كان وجهه الجامد الملامح ، قناعا يختفي وراءه عقل حاد جبـار . وكان من الطبيعي أن يرهقـه العمل . اذ كان يقوم على رأس الادارة . . يمسـك بخيوطها ويراقب وينظم عشرات الرجال الشجعان المهرة ، الذين ينتظمون في خدمتها ، واذ كان اقل تأخر قد يعني ضياع رجل باسل ، وعطل لايمكن اصلاحه في سير عجلة العمل

كانت ترد اليه في ادارته كل لحظة أنباء عن تطورات جديدة . . انباء من المانيا عن حركات اكبر حشد حربي عرف من قبـــل . . وعن روح الـكراهية التي بدت في اجراءات منظمة . . وعن الجيوش التي تحركت نحو الشرق . وتلك التي تحركت نحو الغرب . . نحو الحدود البلجيكية ، التي تعد منفذا الى فرنسا .

كذلك كانت الاستعدادات البحرية تقوم على قدم وساق في قناة كيل . .

وهكذا كانت العجلة تدور أمام الكولونيل تامبلمان فى نشاط . ثم لم تلبث أن توقف أحد المصادر فجأة . اذ اختفى أحد رسل تامبلمان . وليس من يدرى مصيره .

وكان المكتب أمامه .. تتراكم عليه قصاصات الورق والرسائل والبرقيات الواردة من كل انحاء الأرض ، والتى حلت رموزها ، فى حجرة أخرى . . وعلى الرغم من كل هذه الأعمال المرهقة ، فقد ابتسم ، إذ وقعت عيناه على احدى الوريقات وقد جاء فيها :

« السبت ـ مساء اغسطس ، واحد ، قف لقد اصطادت السنارة ، قف وضع طائرى فى القفص سليما ، وسلم الى الاورطة ث . قف . أرجو ارسال البدل بكل سرعة »

كانت البرقية واردة من بروسلز ، وكان مرسلها بروت فيرهاجن ، الذى شاء ان يصوغ أخباره فى هذا الأسلوب . . الذى رمى به الى انه ، وقد دخل الألمان بلجيكا ، سلم البريك شولتز الى الاورطة الثالثة الفرنسية ، ولذا فهو يرجو سرعة ايفاد جرانميل الى بروسلز واستطاع الكولونيل ان يرى مدى اهتمام المسجل البلجيكى ، خلال ما كتبه فى هذه البرقية التى كانت أولى رسائله السرية ، ولكنه لحظ ان فيرهاجن كان رغم ذلك مايزال سليما ، فان أى رجل من الدرجة الرابعة ، فى ادارات المخابرات السرية ، يستطيع أن يدرك معنى الرسالة .

واضطجع الكولونيل فى مقعده ، ثم نادى شخصا يدعى « جودسن » فما لبث ان أجابه رجل متوسط العمر يضع نظارات على عينيه ، فقال له :

ـ بمجرد أن يصل كابتن جرانميل ، احضره الى . . ولا أود ان يزعجنى أحد ، خلال وجوده معى . . هل فهمت ؟

ـ نعم ياسيدى .

ـ هل أرسلت كل برقيات الانذار ياجودسن ؟

كلها ماعدا تلك الرسالة الى « ج ـ ٨٢ » ياسيدى ، فلسنا نعرف أين هو الآن .

— «ج — ٨٢» أخشى أن يكون قد ذهب .. يالالمسكين ! . اليك هذه الرسائل أرجو نسخها بالشفرة وارسالها فى أسرع وقت ممكن . ولكن .. ارسل تلك الخاصة ببروسلز أولا ، فهى خرجة بعض الشىء عن أسلوبنا ، إذ فيها :

« عندما ترفع البنادق . إذا وجد طائرى قادرا على الطيران ، فسيطير الى بروسلز . قف ، من المهم أن يكون طائرك سليما »

— حسنا ياسيدى .

وغادر الرجل الحجرة ، فعاد الارهاق يرتسم على وجه الكولونيل ، ثم بدا فى عينيه الألم وهو يتمتم :

— « ج — ٨٢ » أحد خيرة رجالى .

لقد تصور فى ذلك الصباح الصافى رجلا وحيدا ، يسل الروح جريئا ، يتقدم بضع خطوات فى تباطؤ نحو عمود خشبى عند مطلع الفجر ، وقد رفع اثنا عشر رجلا بنادقهم مصوبة نحوه . فوقف الرجل أمامهم فى شجاعة وهو يتمتم صلاته الأخيرة . . وعاد الكولونيل يتمتم ثانية وقد عرته رجفة :

— « ج — ٨٢ » أحد خيرة رجالى .

وارتفع صوت ناقوس حديدى ، فارسل انذارا فى الدار كلها ، وقطع على تامبلمان حبل تفكيره . وبعد لحظات . كان يتأمل منفحصا ، كلايف جرانفيل ، الذى تقدم فى بزته العسكرية فأدى التحية . ولكن تامبلمان لم يكتف بها ، بل مد يده فتصافحا فى حرارة وقال هذا :

— انى تامبلمان يا جرانفيل .. لا أظنك عرفت اسمى ؟

— لقد سمعت عنك طبعا ياسيدى . وقد التقيت منذ أيام بصديق لك يدعى مستر فيرهاجن من بروسلز .

— آه .. لعلك وجدته شخصية غريبة ؟ .. حسنا . اجلس يا جرانفيل أرجو أن لا يكون خطابى قد أزعجك أو ساءك كثيرا ... ولكننا نعيش فى وقت مضطرب . بل أخشى أن أقول اننا سائرون أخيرا الهاويا جرانفيل

واقترب جرانفيل بمقعده من المكتب ، وهو يلقى نظرة على الحجرة

المضطربة الرثة الاثاث — ككل حجرة حكومية — وعلى الاوراق التى تبدو رسمية من مظهرها ، ثم قال :

— لقد وصلنى خطابك يا سيدى فى الريف . حيث كنت فى ضيافة بعض الاصدقاء .

فقال تامبلمان ، وهو يسعى لاكتساب الوقت :

— انها اجازة طيبة ولا ريب .. أليس كذلك ؟

كان تامبلمان مضطرا الى معاملة كل نوع من الرجال ، بما يناسبهم بحكم منصبه كأحد الرؤوس المدبرة لادارة المخابرات السرية البريطانية . فأولئك الذين يملكون روحا وطنية عالية ، يمكن اكتسابهم باثارة عواطفهم الوطنية وحبهم لبلادهم . . وأما اولئك الذين من أنواع أخرى . المقامرين ، والقتلة ، والمخادعين . فقد كان أيضاً لايعجز عن معاملتهم بيد أن كل من عرف تامبلمان ، كان يذكر عنه أنه لايتوانى عن الاخلاص والاحسان الى كل من يبذل فى عمله جهوداً مخلصة ، ومن يكون أمينا على أداء واجبه . وكان ينعم بموهبة تمكنه من تمييز الرجل الذى يكون معتزما الخيانة ، أو غير أهل للعمل ، من رجاله . فكان لايوليه أقل رحمة أو شفقة كان قديراً موهوبا ، يعرف كيف ينظم أعماله ، وكيف يفاجىء مرؤوسيه ، وكيف يدفعهم الى النشاط

وما لبث أن قال فى هدوء :

— لن يدهشنى ياجرانفيل ، لو أننا وجدنا أنفسنا فى غمرة الحرب غدا .

كان يبدو أنه لم يسع لاختبار جرانفيل أو ملاحظة حركاته وفحص أساريره . بيد أنه كان قد وفق الى معرفة نوعه ومن أى الرجال هو ، فاطمأن اليه . وأومضت عيناه إذ تذكر قول فيرهاجن عن الشاب . . « انه شجاع فى غير خوف أو تردد » .. انه من اولئك الذين ينظرون الى الموت نظرة ازدراء فى سبيل الوطن

ورمق السكولويل تامبلمان الشاب بعينين حادتين وقال :

جرانفيل . . أيروقك أن تقوم بمهمة خطيرة ؟

كان صوته هادئا وهو يلقى هذا السؤال .. ولم يفطن الرجلان الى صوت سيارة ، ثم الى وقع حوافر جواد فى الميدان فى الخارج ، فقد رانت على الحجرة لحظة صمت رهيب ، وقد راح كل من الضابطين يفكر فى نداء الواجب الذى قد يسوق أحدهما الى مصير مؤلم .

وأخيرا ، تنفس كلايف بارتياح . اذ تذكر موقفه يوم ترك وحيدا فوق الشجرة ليصطاد نمراً . لأول مرة فى حياته . وتولته رعدة الحمية والتلهف . فما لبث أن قال ببساطة :

— اذا وجدتنى كفواً للمهمة ياسيدى . وكانت مما يمليه الواجب . . فليس لى الا أن أعد ببذل قصارى جهدى

وللمرة الأولى فطن الى العينين الحادتين وهما ترقبانه . ثم قال تاملمان :

— جرانفيل . انى أعتقد انك الشخص الوحيد الذى يستطيع أداء هذه المهمة . ان المهمة اختيارية طبعا . . وليس هناك أمر يحتم عليك قبولها . . أتفهمنى ؟ .

وقدم علبة لفافاته . وأخذ يرقب اليد الثابتة التى تناولت منها لفافة .دون أن يبدو الانفعال فى حركتها . . ثم عاد يتساءل بينما كان جرانفيل يشعل لفافته :

— أتجيد الالمانية ؟ .

— أجل . فقد نلت شهادة عليا فى اللغة من هايدلبيرج .

— حسنا . اسمع ياجرانفيل . سأكون صريحا معك . . ان فيرهاجن الذى قابلته منذ أيام . يميل الى اضطلاعك بمهمة أرشد عنها . . أما أين تستقر فهذا متروك للظروف . ولما تراه أنت وفيرهاجن . أما ماأقوله عن هذا . . فهو . . انك تستطيع أن تثق فيه كل الثقة .

ثم نظر الى كلايف وقال :

— ولكن أرى لزاما على أن أذكر لك انها مهمة عسيرة جافة . فلن تكون فيها أوسمة . . لا ولا الكفاح الذى تجده فى المعارك

لن يكون فيها رفاق لطاف . تمزح معهم وتشرب و.. تموت إلى جانبهم .

وإنما ستكون يدا وحيدة تعمل ضد احدى امهر ادارات المخابرات السرية فى العالم . وسيكون دائما نصب عينيك خطران . . اما أن تعيش فى جحيم . أو تتقدم كالابطال فى فجر ذات يوم . لتقف امام فرقة من الجنود . يصوبون بنادقهم إلى صدرك ، فتموت كخادم للوطن . سيكون عليك ان تطيع قانونا قد تشمئز منه لأول وهلة . إذ ينبغى عليك فى عملك هذا ان تنسى كل شعور شخصى بالشرف والامانة . . سيكون دينك الوحيد ، الوطن . . أولا . . وآخرا ودائما . ثم أنك تفهم ولا شك ياجرانفيل أن لدينا رجالا يعملون من اجلنا و . . ويموتون من اجلنا . فاذا ما ابتعت خطة حسنة ، كان بوسعك أن تصبح اداة لانقاذ أرواح لا عداد لها من ابناء وطنك . صدقنى أن ليس ثمة نهـــاية ولا حصر للطرق التى يستطيع بها أى رجل من رجالنا اداء مهمته . .

— اترمى ياسيدى إلى أنك ستطلب منى الذهاب إلى المانيا ؟

— اجل ياجرانفيل . . وأن تصبح ضابطا المانيا !

ولم ينبس كلايف بكلمة ، إذ أذهله الامر بينما قال الكولونيل :

— انك إذا عملت بحرص . استطعت أن تؤدى لنا ما تؤديه من الخدمات كتيبة تجد نفسها فى الوقت المناسب . فى المكان الملائم لكى تطلق نيرانها . .

— انظننا ياسيدى سنضطر لاعلان الحرب

— لقد اغار الالمان على بلجيكا . وا كون مخطئا إذا قلت إنهم سيبدون اتفه اهتمام للانذار الذى ارسلناه لهم . واعتقد صراحة أنه لن تأتى مثل هذه الساعه غدا إلا ونحن فى حرب مع الامبراطورية الالمانية .

— إذن ، فانا أضع نفسى ياسيدى تحت تصرفكم .

فاشرق وجه تامبلمان بالتقدير وقال فى سرور طاغ :

— اسمع بنى . . تعال غدا وتناول العداء معى فى النادى ، وسأعد أنا فى هذه الاثناء الأمور والتعليمات لك .

حسنا ياسيدى . سأتى ، باحسمالى فى الرتب فاطلعهم على تطور طروق .

فنهض تاميلمان من مقعده وهو يقول :

— لا يحسن بك هذا الآن . فمن أجل سلامتك ياجرانفيل يجب أن تتكتم هذا الأمر كل التكتم . وانى أناشدك أن تحفظ الأشياء الخطيرة عن أصدقائك ، وإلا ..

وحاول أن يبدو مرحا مازحا ، فاضاف :

— وإلا فلسوف يتشاجرون معى بعد رحيلك .

ولكن كلايف أدرك أن ثمة سببا ضروريا وراء معارضة الكولونيل له فى الاتصال التليفونى . . وفى ابتسامة عادية ، كما لو لم يحدث شىء خلال لقائهما ، تصافح الرجلان ، وغادر كلايف الدار ، وعلى الرغم مما كان يشغل ذهنه من أفكار ، فقد هدته الغريزة التى أنمتها فيه حياة الادغل فى حداثته الى أن ثمة من يتتبعه . فتوقف أمام نافذة أحد المحلات ، وإذ ذاك استطاع أن يرى فى مرآة أمامه ، صورة شخص يقف وقوفه ، على الرصيف المقابل . فلما تحرك كلايف تحرك الرجل معه . وابتسم فى نفسه . ولم يأبه ، إذ كان كل مقصده أن يذهب الى النادى ، فيختار ركنا قصيا يخلو فيه الى نفسه . ولكنه تذكر فجأة السبب الذى دفع الكولونيل الى تحذيره ، فلسوف تتعقب خطواته الجواسيس منذ اليوم ، وحتى الحديث التليفونى لن يكون أمراً مستحيا .

تطبع هذه المجلة باحبار فوريه لوريه

الشهيرة بباريس

محلات

ووكلاؤها الوحيدون بالقطر المصرى **بجافى وأبالى** بشارع أبو السباع رقم ١٤

تليفون ٤٤٢٢٩ صندوق البوستة ٢٤٩ بمصر

وعندما وقف تامبلمان وحرانفيل عند مدخل النادى فى اليوم التالى . بعد العداء . . ينتظران احدى السيارات . . كان باعة الصحف ينادون فى أصوات عالية : « بريطانيا تعلن الحرب »

كانا الرجلان قد غادرا النادى . . وقد ساد الرجال الذين كانوا فيه شعور من القلق والهياج . فقد أسرع كبار الضباط المتقاعدين فأحضروا الخرائط وراحوا يتناقشون فى مواقف ومراكز الدول التى دخلت الحرب . . وسأل أحدهم الكولونيل عن المدة التى يرى أن القتال سيستغرقها . . ولكن هذا أجابه :

— من يدرى ؟. ان جبال الثلج اذا انهار . . لاتقف أخطاره عند حد الوادى . . ان الثقات يعتقدون انه نظراً للمعدات الحديثة . . لن تطول الحرب اكثر من ستة أشهر . ولكن صدقونى ان كثيراً من المفاجآت المدهشة تبدو دائما خلال مثل هذه الظروف الرهيبة . . فتطيل من أمدها .

وأخيرا . . رأى تامبلمان سيارة اجرة فاستوقفها . . وقفز اليها مع كلايف ثم صاح متعمدا أن يسمع من يشاء :

« الى رقم ١٦ حدائق كامفورد »

وقال كلايف : بهذه المناسبة يا كولونيل . . لقد كان ثم من يتعقبنى عند عودتى الى النادى أمس

— أجل . . لقد حدست انهم لن يفقدوا لحظة فى تتبعك . . ولماذا تهتم . . انهم يؤنسون وحدتك . . انى لأشعر بالوحشة اذا لم أجد أحد اولئك الكلاب التيوتونية يتعقبنى فى أى لحظة من الليل أو النهار . . انك لاتعرف مدى نشاط هؤلاء الالمان . . ولكننا نعرف معظمهم هنا . . ولن نتوانى عن اصطيادهم متى احتجنا لذلك .

ووصلت بهما السيارة . فما ان غادراها ونفذا إلى مكتب تامبلمان حتى تلاشى كل شىء ، واكتسب وجه الكولونيل صلابته المعهودة ، وراح يلقى تعليماته فى صوت القائد فى ميدان القتال :

— عندما تغادرنى ، عد إلى النادى دون ان تحاول تضليل من يتبعك

ولاتتعجل . فاذا لقيت احد معارفك ، فقف وتحدث اليه . ولكنك بمجرد وصولك الى النادى ، استبدل بملابس ملكية ، ملابسك الرسمية . ثم غادر النادى من الباب الخلفى واتجه إلى بيكاد يللى . واذذاك يفقد الذى يتعقبك آثارك . ثم استقل سيارة الى محطة فيكتوريا ، وابتع تذكرة الى دوفر . فاذا وصلت الى هناك فاتصل بناظر المحطة . واذا لقيتك مصاعب فاذكر هذا « ج . أ . ـ ٣ ـ ٣ » فهذا رقمك الرسمى . واما عن مس هارلند فدع لى الأمر وسأرسل لها مذكرة تطمئنها .

ثم قدم اليه مظروفا رسميا وقال :

ـ والآن اذا استوعبت محتويات هذا فاعدمه وستغادر السفينة فى اوستند واذذاك ، عليك ان تتصل بقنصلنا فيقوم بالاجراءات اللازمة لايصالك الى مقصدك فى بروسلز . وهناك اقصد الى بيت فيرهاجن ، رقم ٥ لوفين جيت فاذا كان الألمان قد دخلوا بروسلز قبل وصولك ، فهناك تعليمات اخرى عن كيف تجده ، اوتتصل به. ولكننا نعود الآن الى حديثنا السابق .. فبعد ان تغادر اوستند ، سنعدك ميتا فاذا قبض عليك الألمان، فلا تنتظر أى تعرف منا عليك واذا وقعت فى بعض متاعب فلا تنتظر العون منا ، اذ لن نعرفك اذذاك وتذكر ياجرانفيل ان كل الفخر والشرف الذى تحرزه لن يكون غير الضرب والتعذيب

ثم ابرقت عيناه وهو يصافح كلايف قائلا :

ـ ولكننى انزل عن عشرة أعوام من حياتى ، كى ارحل معك ، وأشاطرك هذا .

الفصل السابع

« ثلاثة ـ ثلاثة » يبدل شخصيته .

فى البيت الهادىء القائم فى لوفين جيت ، وتحت ارشاد بروت فيرهاجن وصبره واهتمامه ، استبدل كلايف جرانفيل بشخصيته شخصية البريك فون شولتز . الشاب الالمانى الغنى ، الذى لم يعتد بعض الشىء الحياة العسكرية . .

لم ينس المسجل البلجيكى شيئا ، فقد حرص على أن لا يدع صغيرة أو كبيرة فى حياة البريك أوفى حركاته ، دون أن يلقنها لخلفه ، ويرقب اتقانه لها . وهو يقول :

— عندما تكلم الألمانية يا صديقى ، تعد تماما البريك فون شولتز . والآن ستغدو تام الشبه ، بقليل من التدرب بين مواطنيك الجدد . فمثلا ، ابتسامتك الآن أكثر حرارة من البريك ، ولكن الظروف ستعودك الحياة البروسية وسترى فى المجتمعات أن هذه الحرارة البسيطة لن تلبث أن تتلاشى .

وكان أتعب شىء ، هو تقليد توقيع شولتز . وبعد أن قضى كلايف حوالى الساعة فى التدرب عليها دون جدوى ، قرر أن يدرس أولا ، اصول الخط الألمانى ومن ثم توصل الى هدفه

لم يكن كلايف قد وجد أى صعوبة فى الوصول الى اوستند ، ولكنه اذ وجد أن الفصل محوطا بالعائلات التى كانت ترحل الى انجلترا بواسطته ، قرر أن لا يتصل به ، ورأى أن من الخير أن لا يعرف له أثر بعد وصوله الى أوستند . ولكنه لم يلبث أن اعتقل اذ اتهموه بالجاسوسية ، حتى انقذه مراسل الحرب الامريكى ، فرحلا معا الى العاصمة ، مارين بمعسكرات اللاجئين البلجيكيين الذين شردوا من مواطنهم فى البقاع التى دخلها الألمان وأسف كلايف فى نهاية الرحلة لاضطراره لفراق الأمريكى ، ثم اتصل بفيرهاجن فى الليل ، وامضى معه عشرة أيام ، كان يتدرب خلالها على القيام بدور البريك فون شولتز ، وقد تسلح فيرهاجن ازاء ذلك بالصبر والعناية والاهتمام .

كان فيرهاجن يتوقع أن تطغى امواج الاعداء على بلجيكا دون أن يستطاع لها صدا ، وقد صدق فى نبوءته اذ كان الغزاة فى ذلك الوقت عند أبواب العاصمة نفسها ، كما كانت الحكومة البلجيكية قد انتقلت ، وقررت لكى تنقذ المدينة الجميلة من أخطار التدمير ، أن تسلمها دون كفاح .

وطبقا لتعاليم بسمارك ، وللنظريات الألمانية ، راح الألمان يصلون سكان

المدن المختلة ألوان العـــذاب كى يضعفوا الروح المعنوية ، ويحملوهم على ان يسألوا الصال . ان الجيش البلجيكى لم تهن عزيمته أو تضعف ، بل أصر على المقاومة العنيفة ، وريض فى انتويرب ، خلف « اليسر » حيث دفنت بقايا ابطال الشعب ، وراح يكبد المهاجمين خسائر طائلة . ولـكن السلطات الألمانية لم تفقد الأمل فى ان يرى الشعب البلجيكى ان من الخير له أن يكف عن المقاومة .

ومع أن العرض الذى قدموه للملك البرت . مقابل تخليه لهم عن ممر ينفذون منه ، قوبل بالرفض التام ، إلا ان الذهن التيوتونى لم يشأ ان يسلم بأن الشعب البلجيكى قد وصل أخيرا الى الاعتقاد بأن هذه الحرب ليست غير كفاح بين الأحرار والعبيد الارقاء . . بل ظل الألمان يأملون ان يقبل عرضهم . وأن ترضخ أخيرا الحـكومة التى أرهقها الانتقال من مـكان الى آخر ، و . . ان تشترى بلجيكا المدافعـة نفسها ، كما تقضى سياسة اكتساب الراحة عن أى طريق .

بيد ان الأهالى ظلوا رغم ما كانوا يعانونه من متاعب وأهوال فى الأيام الأولى ، متمسكين ببقايا استقلالهم .

كان منزل فيرهاجن رحبا فسيحا ، تمتد خلفه حديقة طويلة جـــدا ، واكتشف كلايف سراعا ان هنرى الرقيق الحاشية ، كان الى جانب خبرته بكثير من الشؤون . خبيرا بالشفرة . وطرق المراسلات السرية . . أما مارى مديرة البيت . ذات النظرات الجامدة . فقد كانت شديدة الولاء لسيدها . . وكانت وهنرى صموتين لا يبديان شيئاً . حتى ان كلايف لم يستطع أن يعرف ما اذا كانا قد شعرا بالتبدل الذى حدث . اذ لم يبد أحـدهما مايتم عن شعوره بانه ليس البريك فون شولتز بل كل ما كانا يعتبرانه ، هو أن ضيف سيدهما تغيب عن البيت يومين . ثم عاد . ولما كان المانيا . . فقد كان من الواجب العمل على اخفائه عن البوليس البلجيكى . وحمايته من نقمة الشعب . فاذا نسى حادثة من الحوادث التى وقعت لفون شولتز الحقيقى . عزا هـنرى

ومارى نسيانه الى أن ذاكرته قد تأثرت بالحوادث الحاضرة .

كان كلايف يعلم ان كلا الاثنين موضع ثقة فيرهاجن . ولربما باح لهما بشيء من الامر . ولكن مسلكهما كان يجعله فى بعض الاحيان يعتقد انه أخطأ الظن . وكانا من وقت لآخر يرشدانه الى صحة ماقد يكون عازباً عن باله . حتى وجد نفسه تحت رعاية ثلاثة مدرسين . لا مدرس واحد . . فقد تكفلت مارى بتعديل ماقد يخطئه من عاداته فى تناول الطعام . وتولى هنرى تنبيهه الى عاداته فى التدخين . . حتى وجد كلايف نفسه قد تقمص شخصية البريك فون شولتز تماماً

وكان كلايف يقوم بدوره بشعور من يؤدى واجبا عليه . ، وقد رأى نفسه فى موقف يضطره الى الخوض فى مهمة خطرة تختلف كل الاختلاف عن دوره فى الجيش . وما كان يستهويه من نخوة وشجاعة . ويتوق اليه من نشوة القتال والفروسية . فقد كان هذا النوع من القتال الخفى الخداع والحياة فى الكذوبة كبيرة . أمراً جديدا بالنسبة اليه . ولكنه يجب أن يسير فيه حتى النهاية مهما كانت مريرة هذه النهاية . مادام الواجب يتطلب منه ذلك .

ولاحظ أن فيرهاجن كان نهبة لعواطف متباينة . فقد كان يجتاح نفسه مقت طاغ ضد عنصر من الناس يحاول فرض سلطانه الكاذب على بلاده دون رغبتها وأن يبث فيها مبادئه . . المبادىء التى كانت تخفى تحت اسم « الثقافة الحديثة » عوامل القوة وسفك الدماء دون رحمة أو اعتراف بقانون .

وفى صباح يوم ٢٠ اغسطس ، رأى فيرهاجن وكلايف جرانفيل ، وقد وقفا فى احدى نوافذ البيت ، فصيلة من الفرسان الالمان تتجه نحو « لوفين جيت » . وكما لو كانا يستعرضان فيلما صامتا ، رأيا عمدة بروسلز ، وقد وقف بين الجنود الذين أمرهم ضابطهم أن ينزعوا عنه وشاح منصبه ، ثم اقتيد الى المركز الرئيسى ، وما لبثت أن صدرت أوامر القائد العام بحصار المدينة وبالقيام بعدة أوامر قاسية ، كان من بينها فرض غرامة على العاصمة ، قدرها ثمانية ملايين فرنك ، لغير ما سبب ظاهر . ثم بدأ سير جيوش الاحتلال ،

بخوذاتها اللامعة . تنبعث بين كل باردة واخرى عاصفة من موسيقاهم ، كما لو كانوا يرون الناس كيف يأخذون الحرب ويتفهمونها . حتى اذا طغى عليهم السرور ، أمرهم ضباطهم بعزف ألحان كوميدية ، وبأن يسيروا فى « مشية الأوز » .. وهكذا دخل موكب النصر ليحتل احدى المدن الغنية الجميلة . بيد أن هناك أعينا كانت ترقب ، ورؤوسا كانت تدبر ، ونفوسا تواقة متحمسة للعمل والكفاح ، فقد كانت بروسلز تعلم أن الشعوب المتحمسة من أجلها تجد فى التأهب لتجدتها والانتقام للجيكا .

وما أن تلاشى وقع آخر قدم من أقدام الجنود ، وفنى صدى آخر نغم من أنغام موسيقاهم ، حتى نظر فيرهاجن وجرانفيل كل الى الآخر ، والتقت أعينهما . لم يتبادلا كلمة ، ولم ينبسا بقسم ، ولكن الاكبر منهما رأى فى أغوار نفس الاصغر « شجاعة » وعزيمة وجرأة .. وتصافحا فى صمت ، كبطلين يتأهبان الى رحلة شاقة مليئة بالاخطار .

الفصل الثامن

الفرصة الكبرى

قال فيرهاجن فى اليوم التالى :

— عليك يا هرفون شولتز ، أن تنبئ حاكم المدينة العسكرى بفرارك العجيب .

فقد تقرر عدم ضياع أية فرصة فى استغلال شخصية فون شولتز .. فأجاب كلايف فى ابتسامة جافة :

— أجل ، وسأخبره كيف ان وكيلى المقيم فى لوفين جيت أنقذنى من

غضب الجمهور وتنكيله ، وأخفاني فى بيتـه عشرة أيام ، بينما كان البوليس السرى البلجيكى يبحث عن الرعايا الالمان ، متـكتما شخصيتى ، غير عابىء بما قديتعرض له من عقاب أليم. فان مثل هذا الولاء يجب ان يعلن ياهر فيرهاجن، حتى يرفع من قدرك فى نظر السلطات الألمانية .

ـــ ان مثل هذه التوصية من عميلى الغنى البريك فون شولتز كفيلة بتدعيم أولى أسس المؤامرة الجاسوسية ، اذ ستكسبنى ثقة العدو التامة .

ـــ وأنا أيضا سأكسب هذه الثقة ، اذ أقدم سيفى توا . وأضع ممتلكاتى تحت تصرف وطنى . . المانيا . . وسنضطر بعد هذه اللحظـة ياهر فيرهاجن الى أن نترك الأقدار لمجراها الطبيعى . فهناك ثلاث فوائد تجنيها . أولا : يمنح السجل فيرهاجن ، ريشة تثبت فى قبعته جزاء انقاذه احد الرعايا الألمان . ثانيا : سيزول كل شك عندما أضع ثروتى فى خدمة الريخ ، فيمجد اسم فون شولتز . ومن ثم تخلق الأولى والثانية . الفائدة الثالثة . وهى الأكثر أهمية إذ يصبح فى استطاعتنا ـ أنا وأنت ـ أن نكون على اتصال تام دون أن نثير ريبا .

واتجه كلايف ، وفى جيبه الأوراق التى تثبت شخصية البريك فون شولتز الى شارع ارينبرج ، حيث تقوم دار الحاكم العسكرى للمدينة . وجرت فى عروقه نشوة وهو يسير فى طرقات المدينة العجيبة . فلقـد أحس بالسرور . إذ ينطلق فى حرية بعد أن ظل عشرة أيام تحت أنظار معلميه الثلاثة . ورفع عينيه الى السماء الصافية . كان صباحا جميلا . يفيض على الحياة بهجة وحبورا

ثم تخلص من هذه المشاعر . اذ رأى أن عقله منذ اليوم يجب أن يفـكر فى الموت الذى قد يكون من مصيره . فلا ينبغى عليه أن يستهين باهميـــة وخطورة الساعات القلائل التالية

وراح ذهنه يعمل فى نشاط ، إذ تذكر ان كثيرا من الأمور تتوقف على سرعة بديهته ، كما ان اموراً اكثر تتوقف على الحظ . وفى مقدمة هـذه ، بقاؤه فى بلجيكا . الأمر الذى يجب ان يعمل على تحقيقه مهما كلفه ذلك ، حتى

يكون على اتصال دائم سهل فى تلك المنطقة المحتلة ، بغيرهاجن الذكى السريع التدبير .

وشعر ان الموت يتعقب خطواته ، مذ وضع قدمه فى دار مركز الحاكم العسكرى .. وكان اهم شيء إذ ذاك ، ان يثبت شخصيته كألبريك فون شولتز بأسرع ما يمكن ، إذ أنه مما لا شك فيه ، أن أى شخص يتقدم فيما بعد ليثبت شخصيته فى مثل ظروفه ، سيكون موضع ريبة . أما الآن ، ففى وسعه انتهاز فرصة انشغال الموظفين بأعمالهم الجديدة المتراكمة ، إذ لا يجدون الوقت الكافى للتدقيق والفحص

وأمسك انفاسه وهو ينفذ إلى مكتب الحاكم العسكرى ، بعدان ظل ينتظر بضع دقائق . واستقرت عينان حادتان على ملابسه الألمانية الطراز ، التى كانت من قبل لألبريك . حين اجتاز الباب ، وبادره صوت اجش :

— ماذا تريد ؟

ادرك كلايف أن فرصته الكبرى قد حانت ، فلو أنه استطاع أن يخدع هذا الشخص المتغطرس الخشن ، لتغلب على أولى العقبات الكبرى التى تعترض طريقه . فلم يلبث أن أجاب فى صوت هادىء النبرة ، فيه صيغة الأمر :

— اريد أن تسرع ياهر ، فتخبر القائد العام انى ، البريك فون شولتز ، أصبحت حرا . بعد أن كنت تحت رحمة البلجيكيين الناقمين .

فقفز الضابط ، وراح يحدق بدهشة فى الشخص الذى يملى عليه أوامره حتى إذا لحظ نظرة الاحتقار والاستصغار الموجهة اليه تردد برهة ، ثم . . ضم كعبيه وحياه معتذرا :

— عفوا ياهر . لقد كنت مشغولا ، كما انك لم تكن فى ملابسك الرسمية انك تدرك اننا نحارب فى بلد غريب معاد لنا ، واننا مضطرون إلى سحق هؤلاء الأجانب .

وبدون ان يبدى كلايف أى علامة تنم عن ارتياحه ، راح يروى قصته وهو يقدم اوراقه الشخصية إلى الألمانى :

— هاهى ذى اوراقى ياهر هوتمان . . لقد كنت فى بروسلز انفقد

املاكى البلجيكية ، حين هجمت بلادنا المجيدة المنتصرة فجأة ، كما تعلم ، فلم اجد الفرصة للافلات ، ولـكن رجلا طيبا من اهالى المدينة اخفانى عن الجمهور والبوليس . وعلى الرغم مما كان يتهدده من عقوبات قاسية لايوائه المانيا فقد بقى مخلصا لى .

ثم اضاف اذ لاحظ ان هوبتمان قد فرغ من فحص اوراقه :

— اننى اود التوصية بهذا الرجل لدى المراكز العليا ياهر هوبتمان

— حسنا ياهر فون شولتز . سأرفع الأمر إلى القائد العـــام فى الحال ولاريب انه سيسر لنجاتك ، لاسيما وانت — كما تدل اوراقك — من رجال نفس الفرقة الرابعة ، إذ ان الجنرال سيكست فون آرمين كما تعلم ، يتولى قيادة الفرقتين الرابعة والثانية عشرة

لم يك كلايف يعرف هذا النبأ ، ولـكنه اتخذ منه انذاراً كى يحذر اذا التقى بالجنرال . . وسأله الحاكم :

— هل تتـكرم بترك عنوانك يا هر ؟

— اننى أقيم بضيافة منقذى فى لوفين جيت . ولـكننى أرجو أن تمنحنى تصريحا للاقامة فى فندق يليق بضابط بروسى أن ينزل فيه . .

فأومضت عينا الماجور ارتياحا ، واستأذن لحظة غاب خلالها فى حجرة مجاورة ثم عاد يحمل بطاقة صفراء سلمها لـكلايف

وعاد كلايف الى فيرهاجن الذى كان ينتظره فى قلق وادرك كلايف بعد أن نال التصريح ، مدى شـدة الالمان حتى انهم ليرتابوا فى نفس مواطنيهم مما جعله يعتزم أن يعتمد على نفسه وعلى ذهنه وشجاعته ، فى أن يتخلص من الشراك التى قد تعترض طريقه .

اشرق وجه فيرهاجن سرورا ، عندما حدثه كلايف عن خطوته الاولى الناجحة . فراح يطرى مهارته وهو يضحك فى ارتياح . بينما قال كلايف :

— سوف أنتقل الى الفندق هذا المساء ، اذ لا يجب أن نفقد لحظة ، اذا كان فى وسعنا أن نعمل شيئا مجديا . انهم لا يعرفون فى انجلترا عدد الفصائل الألمانية التى دخلت بروسلز

— ان الذى رأيناه فى الصباح ، لا يعد شيئا مذكورا . فلقـــد خرج هنرى اليوم الى طريق غنت وكورتراى ، حيث تتجلى حركات الجيش الحقيقية فرأى صفوفا كثيفة من الجنود . ان الجيش الانجلـزى سيجد مفاجأة غير سارة ، ولـكن .. ولـكن جون تامبمان قد علم كل شىء ، اذ أرسلت الانباء عن طريق هولندا ، وبعد يومين أو ثلاثة ، سنتلقى ردا من الـكولونيل .

فى الساعة الخامسة سار كلايف الى فنـدق (ميرتول) وبينما كان يلقى بأوامره إلى حارس الفندق ، أحس بأعصابه تتجمد ، إذ الفى نفسه أمام عينى الأميرال فون كرامان ، اللتين كانتا تحدقان فيـه . . ولـكنه استطاع بمجهود

خارق أن يتمالك نفسه فلم تتحرك شعرة واحدة من جسده ، بل وقف ينظر فى هدوء إلى الأميرال للشدوه ، بينما حمل الحارس إحدى حقائب كلايف فى يده . . ومالبث الأميرال أن غض طرفه وحول عينيه أمام نظرات كلايف الرصينة الثابتة .. كان يسير فى صالة الفندق مع أحد الضباط عندما رأى الانجليزى فوقف ينظر اليه مبهوتا مرتاعا . وما لبث أن ناداه زميله فى صبر نافد ، فتمالك نفسه وعاد اليه ، حيث نفذا من باب الفندق إلى الطريق .

ولم يستطع كلايف أن يخفى عن نفسه الصدمة التى أحسها أمام نظرات فون كرامان المذهول ، وعينى حارس الفندق الخبيثتين .

الفصل التاسع

عين المحب لاتخطىء

عندما هبط كلايف إلى صالة الفندق فى اليوم التالى ، قدم اليه الحارس رسالة وهو يقول :

— لقد أحضر هذه لك ساع من القيادة العليا ياسيدى المجر فون شولتز .

ففض كلايف الرسالة فاذا بها أمر قصير من القائد العام للقوات المعسكرة فى بروسلز ، للهوبتمان (الضابط) فون شولتز بان يذهب الى مركز القيادة فى « اوتيل دى فيل »

خفق فؤاد كلايف ، فقد وجد نفسه مسوقا الى الموقف الذى يعد اختبارا حقيقيا له ، ثم فطن الى أن عينى الحارس الخبيثتين ترقبانه ، فقال له ليخفى ما ثار فى نفسه من شكوك :

— ألديك آخر صحف برلين ؟

فرد بالايجاب فى احترام ، وهو يقدم اليه صحيفة ، تظاهر كلايف بتلهفه على الاطلاع على ما فيها ، وهو ينشرها ويسير متصنعا الاستغراق فى القراءة الى مقعد فى آخر الصالة ، متعمدا أن يترك أمر القيادة العليا على مكتب الحارس . فما لبث أن سمع كعبى حذائه يصطدمان وهو يؤدى التحية ، مقدما اليه الرسالة قائلا :

— لقد تركت هذه على مكتبي ياسيدى الهرفون شولتز

فزأر كلايف فى غضب مصطنع وتناول الرسالة ، ثم وضعها فى جيبه . بعد إذ اطمأن الى الأثر الذى تعمد أن يرسله الى نفس الحارس باطلاعه على هـذه الرسالة . وما لبث بعد ساعة ، أن ذهب الى « اوتيل دى فيل » . وكم كانت دهشته حين لاحظ أن المحتلين قد رتبوا مكاتبهم هناك فى دقة ونظام يشعران بانهم قد وضعوا الخطة لذلك من سنوات مضت .. كان كل مافى المكان يشعر بالعمل . فآلات الكتابة تدق متوالية ، وأجراس التليفونات لا تنقطع عن الرنين ، والضباط والسعاة فى ملابسهم الرسمية يروحون ويجيئون فى نشاط . واعترض طريقه عند الباب حارس عسكرى ، ثم لم يلبث أن اعتذر حين صاح فيه كلايف ذاكرا ان ثمة موعداً بينه وبين القائد نفسه. ثم دلف الى الداخل وكان من حسن حظه أن اقتيد للتو الى حجرة عمدة المدينة السابق ، التى اتخذها القائد العام مكتبا له .

ودق كلايف كعبيه مؤديا التحية ، ثم وقف معتدلا مشدود الاعصاب بينما راح الجنرال سيكست فون آرمين — الذى كان رجلا نحيفا متوسط القامة — يتفحصه بعينيه الرماديتين ، ثم قال :

— « هوبتمان » فون شولتز ؟

— أجل يا صاحب السعادة .

— آه ، أظنك قضيت مدة الخدمة فى فرقتى القديمة . فى الحادية عشرة ؟

— نعم يا صاحب السعادة . . فى مجدبيرج .

— لقد وصلتنى قصة مطاردتك وكيف نجوت .

— انى مدين بهذا الى وكيلى البلجيكى يا صاحب السعادة . فلقد طاردت سلطات الاعداء الالمانيين وأعدمتهم، ولو انهم عثروا على لكان نصيبى ونصيبه الموت .

— وما اسمه يا هر « هوبتمان » ؟

— المسجل الهر بروت فيرهاجن — رقم ٥ لوفين جيت .

وبينما كان القائد يكتب الاسم قال كلايف :

— هل لى أن التمس جميلا ياصاحب السعادة . . انى أضع سيفى للتو تحت تصرفكم . ثم انى أجيد الانجليزية ، وأحسن الفرنسية . كما ان والدى ترك لى أملاكا واسعة فى بلجيكا ، اعتقد انها تنفع الوطن كثيرا ، وانى أضعها ايضا تحت تصرف سلطاتنا من هذه اللحظة . واعتقد ياصاحب السعادة ، انى أرتاح الى تلقى ردكم فى هذا الصدد الآن .

فنظر اليه القائد فى دهشة من وطنيته واخلاصه ثم قال :

— ان شعورك نبيل يحمد ياهر « هوبتمان » . . كم يلزمك من الوقت لتستعد لارتداء ملابسك الرسمية . ؟

— ثمان واربعين ساعة ياصاحب السعادة ، فلقد أرسلت فى طلب بذلتى العسكرية .

— حسنا ، سأصدر فى الحال الأوامر بتعيينك . .

وإذ أذن له بالانصراف ، أدى كلايف التحية ثم غادر الحجرة . وبينما كان يسير مزهوا مستعرضا آثار زيارته فى نفس الجنرال فون آرمين ، كان الاميرال فون كرامان يلج فندق « ميرتول » ، ثم وقف يرمق الحارس لحظة بنظرات ذات معنى ، وأخيرا قال فى صوت غليظ :

— لقد هبط عندكم نزيل جديد بالأمس . . شخص يرتدى الملابس الملكية ، فما اسمه ؟

فتردد الرجل برهة والشك يراوده ، وإذ ذاك مال فون كرامان على أذنه فهمس بكلمات جعلت الدم يفارق وجه الرجل ، وبعثت الجزع الى عينيه ، ودفعته الى ان يقلب صفحات سجل النزلاء بأصابع مرتعشة ثم قال :

— ان اسمه ياسيدى الهر ، ألبريك فون شولتز

— ألا تعرف شيئا عنه ؟. تكلم

— لا ياسيدى الهر . . اللهم الا انه استلم أمراً بأن يقابل صاحب السعادة القائد العام نفسه هذا الصباح . وقد رأيت الأمر بعينى رأسى .

— حسنا ، و . . ؟

— وانه حضر بالأمس يحمل بطاقة تصريح من حاكم المدينة العسكرى .

— أعندك هذه البطاقة هنا ؟

— أجل ياسيدى الهر .

وبحث فى أوراقه حتى عثر عليها فقدمها اليه، فراح هذا يدقق فى فحصها ثم تحول يقول للحارس فى صوت أجش :

— فلتظل عيناك مفتوحتين أيها الكلب القذر ، وعليك أن توافينى بكل شىء .

وغادر الفندق إلى مكتب الحاكم العسكرى ، حيث سأله عما دعاه إلى السماح لالبريك فون شولتز ببطاقة اقامة .

فأجابه الحاكم :

— لقد كانت أوراقه مستوفاة البيانات

— وما قصته ؟

فراح الحاكم يقص عليه ماسبق أن رواه كلايف فى مقابلته للحاكم . . وعندما انتهى سأله الأميرال :

— وما اسم هذا البلجيكى ذى المروءة ؟

— المسجل بروت فيرهاجن

— لعلك رفعت الأمر إلى القيادة العامة ؟

واذ رد الحاكم بالايجاب اطرق الرجل لحظة ثم تمتم فى حنق :

— آه . . ان الكلب لايضيع لحظة هباء .

واسرع فون كرامان الى ادارة المخابرات السرية ، وفى نفسه بقية من الشك لم تمحها تأكيدات الحاكم . . لم يكن الأميرال اوتوفون كرامان يتجاهل كغيره كفاية الرؤوس المسيطرة على ادارة المخابرات السرية البريطانية . بل كان على العكس ، يقدرها ويحترمها لذلك كان كلما ذكر الكابتن الذى رآه فى القطار ، وتذكر ذلك الرجل فون شولتز ، يرى نفسه يتخبط فى حيرة ليس لها قرار

أهناك خدعة ؟ . ان السر فى يد المسجل فيرهاجن . فمن يكون هذا الرجل . ربما استطاع ان يجد الجواب فى برلين . وسرعان مانادى احد

مساعديه فأمره ان يطلب الاتصال تليفونيا ببرلين فى امرهام . وماان تم هذا حتى انهمك فى حديث جدى فشرح انه يسير فى اثر قد يكشف عن مؤامرة جاسوسية خطيرة ، وطلب ملف البريك فون شولتز . كما تساءل عن المعلومات التى قد توجد عن فيرهاجن ، وطلب الرد تليفونيا فى أقرب فرصة . ثم نهض فألقى ببعض التعليمات الى مساعده :

— ستصل بعض الأوراق بعد الظهر فادرسها بدقة وعناية .

— حسنا ياهر أميرال . لقد وصلت رسالة من (ب — ٩ ٠) نصها : « لقد انجاب ظل عن لندن » .

ووقف واجما يتساءل بعد انصراف المساعد . ترى أيكون الكابتن جرانفيل الانجليزى ، هذا الظل ؟. ان البحث عن مقر جرانفيل قد يستلزم بضعة أيام . كما أن لدى الانجليز كذلك جواسيس مهرة دهاة . ولكن لو تبين أن جرانفيل يقاتل فى صفوف بعض الفرق الانجليزية ، فماذا يكون ؟ وظل برهة يفكر . ثم طرأ بذهنه خاطر فجأئى ، فلمعت عيناه فى انفعال وتمتم وهو يضرب الأرض بقدمه : « ستعرف ذلك عينا الحب »

« وتناول مذكرة . ثم كتب البرقية التالية :

« البارونة جالى فهيل

قصر باتافيا — روتردام

تعالى الى بروسلز توا . لدى مفاجأة .

شيبس »

ثم استدعى مساعده وأمره أن يبادر بارسال البرقية فى الحال . . وعاد يتمتم بعد أن انصرف الرجل : ان عين الحب لا تخطىء ! .

الفصل العاشر

صفقة وأخبار !

وصلت برقية الأميرال للبارونة بعد رحيلها من روتردام لتشاهد الحفلات التى كانت تعدها برلين للابتهاج باسبوع سيدان. فقد كان الشعب المجنون بالحرب

يمجد الانتصارات الألمانيـة .. واذا كان قد خصص أسبوعا بأكمله للاحتفال بذكرى انتصار معركة « سيدان » التى وقعت خلال حرب سنـة ١٨٧٠ ، فما بالك بما تلاها من انتصارات تفوقها . لذلك راحت الصحف تطنطن زاعمة أنه لن تلبث أن تدخل الجيوش الالمانيـة باريس قبل انتهاء الشهر . بل قبل أن يفتر الحديث عن « اسبوع سيدان » لاسيما أن الحكومة الفرنسية كانت قد انتقلت اذ ذاك من باريس .

وهـكذا لم تصل البرقية الى البارونة فى وقتها المناسب ، ولم تر البارونة صديقها الأميرال الا بعـد التقهقر الذى حدث فى مأساة الماونز وبعد المعركة المروعة التى نشبت فى المارن وقذفت بالألمان المنتصرين، إلى لجةمن الاضطراب والتحطم .

وفى تلك الأثناء ، كان كلايف جرانفيل وبروت فيرهاجن يعملان دون انقطاع . وقد انتقل كلايف الى شارع رامبيك بين أسرة بلجيكية هادئة ، لم يكن يرى أفرادها الا نادراً . بيـد أنه كان يشعر بالقلق من ناحية تابعه فريتز بيرجر . فلقد كان هذا الرجل الصموت ، خادما استحضره من مقاطعة فون شولتز فى بافاريا . وكان أحـد الذين عرفوا البريك منذ حداثته ، وإن كان قد تقبل كلايف دون سؤال أو حديث .

وبعد ثلاثة أيام من مقابلة كلايف الأولى للقائد العام سيكستفون آرمين دعى ثانيـة الى « أوتيل دى فيل » ، فذهب هـذه المرة ببذلته العسـكرية الجديدة . وكان للبذلة تأثير سحرى على كلايف ، فلقد رأى القائد أمامه شابا خشنا يختلف تماما عن ذلك المدنى الأنيق الذى زاره فى المرة الأولى . . وبعد أن ألقى القائد على كلايف محاضرة عن انتصارات الوطن العظيمة ، ثم أعلن اليه أنه قد عينه وكيلا لمكتب المراقبة الحربى الثالث . . قال :

— ان واجباتك عظيمة الاهمية . وسيكون من بينها أن تراقب وتحذف كل الاخبار غير المرغوب فيها من الصحف والجرائد .

وبينما أدى كلايف التحية العسكرية وانحنى شاكرا ، قال القائد مشيرا الى ورقة على مكتبه :

— هناك أمر هام من الريخ بطلب التفصيلات الوافية عن الممتلكات التابعة للرعايا الألمان فى البلاد المحتلة . فعليك بعد خروجك أن تكتب كل ما يختص باملاكك . والآن ، يمكنك الانصراف ياهر « هوبتمان »

كانت إدارة مكتب المراقبة الحربى قسم ثالث .. تقع فى دار صغيرة فى شارع زويال . وبدا المدير العسكرى للمكتب . الماجور جوتفريد فون بيسلر أحد الأقارب البعيدين للجنرال فون بيسلر الذى كان على رأس الجيوش عند اكتساح بلجيكا ـ حزينا متألما .. ولكن كلايف لم يحاول أن يكتشف أكان ذلك يرجع الى عمله فى الجيش .. أو الى اخفاقه فى الحب . ولكن كل الذى كان كلايف يدريه .. أنه لم تمض أيام قلائل .. حتى ترك المدير كل أعماله فى يد الهوبتمان ـ الضابط ـ النشيط فون شولتز . لذلك راح كلايف يعمل حتى يبدو مركزه هاما لا غنى عنه فى الرقابة . . فالى جانب مراقبته الاخبار التى يرسلها المراسلون والتى ترد عن المتبعين للحرب فى البلاد المحايدة .. كان يعمد الى الانباء الرسمية الواردة من جبهة القتال ، فيحذف منها كل ما يسىء وينم عن هزيمة أو خوف من الهزيمة . وهكذا لاحظ كلايف سراعا ، أن خير عمل للرقابة هو تحوير الاخبار حتى تصبح دعاية قوية تثير اعجاب الجمهور الالمانى ، لما تملأ به من أخبار الانتصارات والفوز . حتى أصبح الناس لفرط توالى هذه الاخبار على وتيرة واحدة تؤمن بصدق ما كان يراد اقناعهم به

وراحت الدعاية تزعم ان النساء البلجيكيات صببن الزيت المغلى على الجنود الالمان ، واقتلعن أعين الجرحى منهم والعاجزين . وان الضباط الفرنسيين اخذوا تحت ستار من ملابس الراهبات ، التى كانوا يتنكرون فيها ، يتجسسون ويقتلون سرا ، وان الفرنسيين كانوا يصلبون اسرى الحرب . أما ألمانيا الطيبة ، فقد قدمت لقاء هذا كله ، « الحضارة » الى تلك البلاد البربرية ، وأمدت المهاجرين والمشردين من بيوتهم من جراء الحرب ، بالاطعمة ، واعتنت بأطفال الاعداء ! . غير ان هذه الدعاية لم تزد الالمان الا كراهية ومقتا ، ولم تجلب عليهم غير اشتداد عزيمة مقاوميهم فى القتال ..

كما راح مراسلو صحف الدول المحاربة يتحرون الدقة فى أخبارهم ، لا سيما الامريكيون منهم ، الذين كانوا يسعون وراء الاخبار بهمة رائعة ، ويبحثون عن الصدق والحقيقة . وان لم تكن أخبارهم فى أعين الألمان غير محض افتراء وكذب !.

وكان من اعمال كلايف ، أن يعين لمراسلى الحرب ومراقبى تطوراتها ، ضباطا يقودونهم فى الميادين ، فكان يتوسع فى اداء هذا الواجب ، فكان لا يبخل بالطائرات حتى على المراسلين القليلى الاهمية . ومع ما لاقاه من نجاح رائع فى تقمص شخصيته الجديدة . إلا أنه ظل على حذر منتبها إلى أى حركة خاطئة قد تصدر منه . أو أى كلمة قد تبدر منه دون وعى ..

اما بروت فيرهاجن ، فكان قد نسج شبكته من الجواسيس إذ استجابت لدعوته ارواح جريئة ماضية العزيمة ، فأخذ ينتقى منهم اعوانه فى حذر وعناية تشبهان ما يبذله القائد فى اختيار جنوده . فكان النظام الذى وضعه لهم مرنا غير صلب . فلم يشترط فى عملهم سوى الاخلاص والولاء ولم يزودهم بعناوين وكلائه ، بل كان يسعى إلى أن يكون كل فرد من مواطنيه ، وكيلا يعتمد عليه . ولذا ، فغالبا ما كانت تصله الأخبار على لسان بعض الأهالى اذ نشط هؤلاء لمحاربة جاسوسية العدو المحتل، واحباط اعمالها . فكان يفحص

الشفاء ! الشفاء !

هذا أول ما يجب أن تفكر فيه عند اصابتك بمرض تناسلى فلا تهمل معالجته عند

الدكتور حسنى احمد

٦٧ شارع ابراهيم باشا ت ٥٠٤١٤

ما يصله من اخبار ويمحصها . ثم يحملها لأشخاص يثق فيهم ، فيعبرون بها الحدود الهولندية ، ليبلغوها الى اعوان الحلفاء فى هولندا .

ومنذ اليوم الأول ، استطاع ان يؤسس طريقا للاتصال بتامبلمان . وبمساعدة كلايف ، استطاع أن يتأكد من أن قوة تامة العدة كبيرة العدد من جنود العدو ، تتقدم فى بلجيكا وشمال فرنسا ، وانها لا تقل عن خمس فصائل ، فأرسل النبأ الى تامبلمان . بأن العدو يستعد لموقعة حامية الوطيس فى الغرب . وهكذا حرص هو وكلايف ، على أن يوافيا تامبلمان بكل حركة من حركات المحتلين فى بلجيكا . بيد انه ما كاد دخان المدافع ينقشع عن سماء انتويرب ، حتى تلقى كلايف رسالة مستعجلة من برلين ، فرأى أن يستشير فيرهاجن فيما جاء فيها . . . .

وقال فيرهاجن متسائلا : ألديك أنباء يا هر فون شولتز ؟

— من نوع خاص . . فى برلين . فان شخصا يدعى الهر كولين ، من أصحاب مصانع السفن هناك ، ومن أعضاء الريخستاغ الالمانى ، قادم الى بروسلز ، ليتفاوض فى شراء أملاك فى انتويرب

— لشد ما يلوح لى النبأ ممتعا . فعن طريق أعضاء الريخستاغ نستطيع أن نصل إلى المعلومات ، إذ أن الحوادث المقبلة ، تتكون فى أوساطهم .

— ان علينا أن نكون مواطنين طيبين يا هر فيرهاجن . بيد أن هذا لا يمنع من أن نسعى وراء ثمن طيب لاراضى فون شولتز فى انتويرب ، ولذا أرى من الضرورى أن تحضر مقابلتى له .

— حسنا . سيكون لحضورى فائدة لو أمكن . . فمن المؤكد أننا لن نسمح لهؤلاء الجوعى الافاكين بامتلاك مثل هذه الأراضى بسهولة .

وكان أن تم الاتفاق على أن يحضر المفاوضة . وكان الهر كلين أصلع ثائر النزعة كأبناء جنسه . ولكنه لم يضيع الوقت فى حديث لايمت الى الموضوع بصلة . بل سرعان ما تساءل :

— والآن . أين أراضى الخليج التى سمعت عنها كثيرا ؟

فقبض فيرهاجن رسما تخطيطيا لميناء انتويرب . عين عليه موقع أرض

فون شولتز . فقال الرجل

أم وقد ضمت بلجيكا الينا . فاعتقد انه من الممكن ترقيـة انتويرب وتحسينها بجهود شعبنا ، حتى تصبح احدى ماسات المـانيا البراقة . ولا أظنني بحاجة الى ايضاح المنافع التى تعود على المانيا من امتلاك ميناء مثل انتويرب .

والقى على المسجل البلجيكى نظرة مرتابة تلقاها هذا بجمود . مسيطرا على عواطفه . وتردد الهر كلين لحظة . ثم أخرج من جيبه صحيفـة قدمها الى كلايف الذى القى نظرة على الصفحة التى عينهـا له . فرأى رسما كاريكاتوريا للموانى الثلاث . همبورج وانتويرب وبرمين ، وقد عقـــدت همبورج وبرمين أذرعتهما فى حب . حول عنق انتويرب التى كانت تقف بينهما . وبدت « الشقيقتان » الالمانيتان تتمتمان : « سرعان ياأختاه ماتسعدين مثلنا ، عندما تفوزين بقلب المانى »

وصاح كلايف مبديا اعجابه . ثم لم يلبث أن أعاد الصحيفة إلى كلين عندما أحس باثر الرسم فى نفس فيرهاجن . الذى قال :

— انك تضيع الوقت ياهر كلين بتتبع مواطنيك فى حربهم

— ان مواطنى أيها السيد المسجل ، يعتبرون الحرب والتجارة والصناعة كلمات واحدة ، وان اتخذت معانيها ظلالا متباينة

— ان هذه القطعة من الأرض ياهر كلين . . . هى أعظم مابقى فى الميناء من أرض ، قيمة وأهمية . . اذ تستطيع أن ترى مالهـا من صلة باخر أبنية الميناء ، كما انه من الممكن بناء أرصفة جديدة وحوض للسفن فيها . وأظن أن هذا المشروع كان يختمر فى رأس المرحوم الهرفون شولتز الكبير عندما اشتراها .

فايد قيمة موقعها . ثم وجه نظرة فاحصة الى كلايف قائلا :

— كم تريد فى هذه الصفقة ؟

فبادر بروت فيرهاجن قائلا :

— خمسمائة الف مارك .

— أمجنون أنت أيها السيد المسجل ؟ . نصف مليون من الماركات ؟ . انها ستقتضى انفاق اثنى عشر مليونا لاصلاحها وتحسينها . ثم . . انها ستكون ذات نفع كبير لوطننا و . .

— وذات نفع كبير لشركتك أيضا ياهر كلين .

فحدق الرجل برهة فى فيرهاجن ثم تحول الى كلايف قائلا :

— اسمع ياصديقى الشاب ، انى لا أريد ان أتكلم إلا معك فقط . . أتسمح أيها السيد المسجل بتركنا وحيدين ، حتى نتفاوض فى هذه المسألة الهامة . هناك بعض الأجانب الحقودين يهمهم جداً تأخير هذا العمل الوطنى الهام .

فغادر فيرهاجن الحجرة وهو يتميز غيظا ، وأن اخفى ذلك وراء ابتسامته . وإذ ذاك اقترب الهركلين من كلايف ، وربت على كتفه فى ود قائلا : ياصديقى الشاب . . ان أمامك الآن الفرصة لتقدم للوطن شيئا ذا نفع ، ولكى تحصل لنفسك فى نفس الوقت على كسب . ان حوادث جساما توشك أن تقع ياصديقى . ان ما سأذكره لك يجب أن يبقى سرا . فلقد أصبح الجنرال فون فالكينهاين — وهو من أقرب اصدقائى الى — وزيراً للحربية البروسية . وقد دعانى فى الاسبوع الماضى الى اجتماع ، بين فيه أهمية العمل للغزو التجارى عقب النصر العسكرى تواً . . ثم صرح لى ، فى حفلة عشاء خاصة أقمتها لتكريمه ، انه من الهام جداً ، اقتناص موانى القنال ، حتى يصبح الساحل من كاليه الى الهافر ملكا لنا . وقد صدرت الأوامر للقادة بهذا المعنى ، وسنربح هذه الموانى قريبا ، بل سوف يمتد ساحلنا حتى المحيط الأطلانطيكى . . تصور . . !

وتوقف برهة لينظر الى كلايف الذى ظل كما لو كان مأخوذا بأفكاره ، مستغرقا فيها . بينما كان فى الواقع يتجرع « جرعة » الأخبار المدهشة الجديدة ، التى تضمنت أسراراً اشتمل عليها طمع ذلك الرجل .

وظل كلايف برهة صامتا . . آملا أن يسمع المزيد ، بيد أن الرجل لم يزد من هذه الناحية ، بل مضى يقول :

— لو أن باليون نجح ، لأقام ولايات أوروبية متحدة . ولكننا سننجح نحن أخفق فيه . وستسود المانيا هذه الولايات الأوروبية الجديدة . كما سادت روسيا ولايات المانيا المتحدة . وفى أقل من قرن يصبح العالم ملكا لألمانيا العظيمة القادرة . واذن ، فهل ستترك ياصديقى هذا المسجل الحسود ، يقف عقبة فى سبيل هذه الأحلام المجيدة ؟

بيد أن كلايف كان مذهولا . لا يكاد يفقه شيئا من الصفقة ، فى غمار ما ولاه لما سمعه من أخبار . فلم يزد على أن قال :

— حسنا ياهر كلين . إذا شئت ان تدفع ثمنا معقولا فانى مستعد لأن أبيع أراضى لشركتك .

وإذذاك ، تجلى السرور والشكر فى عينى الرجل وصاح :

هذا ما أفخر به . . العاطفة الوطنية ممتزجة مع العمل . . فلندع ذلك المسجل للدخول اذن .

الفصل الحادى عشر

عيون الحب ترتاب !

قال فيرهاجن لكلايف وهما جالسان فى بيت الأول :

— واذن فهكذا أتقى الينا ذهب الأراضى هذا ، بأول انبائنا العظيمة؟ لقد ارسلت الاخبار الى تامبلمان ، واعتقد اننا سنتلقى منه رسالة هامة بعد يوم تقريبا .

— ومع ذلك فيجب أن تقدر التيوتونيين يامستر فيرهاجن اذ انهم سيبدؤون العمل فى احواض الميناء فى الاسبوع القادم ، وسيكون هذا اكبر عمل من نوعه فى العالم . .

— لطالما وددت لو ان سلطاتنا قامت بهذا العمل من قبل . ومع ذلك فليس لنا ان نكره هذا اذ ان الألمان لن يحملوا معهم هذه الأحواض عندما يجلون عن الأراضى التى احتلوها . وقد كان هذا أحد الاسباب التى دفعت الهر كلين الى مشروعه ، والتى اعطت لتضحيتك بالأرض اهمية فى الاوساط

الخاصة . وقد تحدث ودنيا الى المركابين . فوعد بأن يرعى مصالحه بوصفه الصداقة . . وقد ارتفع الى مرتبة كبيرة عمله كالمعتاد لضبط سموها .

ولاح لكلايف ان ثمة فكرة تراود فيرهاجن . ولكن هذا سرعان مابدا هادئا عاديا وهو يتساءل :

— امرتاح انت الى عملك فى مكتب الرقابة ؟

— اجل، فليس ثمة مايزعجنى منها . ولكننى اخشى ماوراء مقابلتى لفون كرامان .

— لقد كان هذا اللقاء ، من سوء الحظ . بيد اننى اعتقد ان فون كرامان قد قام ولابد بالاستعلامات والتحريات اللازمة ، فلم يجد مايثير ريبته والا . . لتحفز للعمل

— ولكننى لا أجد شيئا ذا قيمة يأتينا عن طريق مكتب الرقابة .

فقال فيرهاجن مشجعاً :

— لكل شىء قيمة ياصديقى ، فلا تفقد الصبر . لسوف نصل الى الاشياء الهامة لو أنتـــا فتحنا أعيننا . . ألا ترانا جديرين بالتهنئة لهذه الأنباء الأخيرة !.

— اننى أنعم لحسن الحظ بميزة تناسى الماضى . فأنا دائما جد متلهف لكشف المستقبل .

وأحس فيرهاجن بالقلق لهذه الروح المغامرة المتوثبة ، اذ خشى أن تحرج هـذه الروح مركز صديقه الشاب الانجليزى . ولذا انحنى الى الامام قائلا فى جد :

— أتعدنى ياصديقى بانك — فيما عدا مخاطرتك فى سبيل الحصول على الانباء الهامة — لن تزج بنفسك فيما لايجوز لضابط المانى أن يقدم عليه ؟. . انى أدرك أنه من الشاق أن تتحمل العنت الذى يلقاه مواطنوك من أسرى الحرب التعساء . ولكن أى تصرف قد يكون ذا أثر خطير على مركزنا المتين .

فنظر اليه كلايف بعين الشاعر بخطئه ، إذ كان منذ أيام ، قد ألقى بحزمة

من عليب السجائر بين بعض أسرى الحرب الانجليز ، اثناء تجوالهم فى بروسلز . بينما غمره فيرهاجن بنظراته القوية ، وقال :

— لايجب أن ندعر مركزنا بأى عاطفة أو شعور .. اننا لو ظللنا على مانحن عليه ، لأدينا خدمة كبيرة للوطن .. فان خطتنا ما كانت لتفضل هذه لو أننا كنا فى موقف رسمناه لأنفسنا .

فرنت فى آذان كلايف كلمات تامبلمان « دينك الوحيد هو الوطن . . . أولا . . وأخيرا .. ودائما » . وهكذا لم يغادر فيرهاجن الا بعد أن أكد له أنه لن يقدم على عمل يعرقل مساعيهما . ثم . . انهالت المشاغل والاعمال على كلايف . وكان من حسن الحظ أن جاء تحذير فيرهاجن فى وقته المناسب . اذ حدث فى اليوم التالى أن زارت البارونة جالى فهبل .. كلايف فى مكتبه دون سابق اخطار . ولقد ظل كلايف فى الأيام التالية . يعجب كيف استطاع أن يقابلها . فقد وقفت تحدق فيه بنظراتها الجميلة . وقد انفرجت شفتاها عن ابتسامة ساحرة مفعمة بالسرور . بيد أن نظرة كلايف التى تعمد أن يرمقها بها، لم تزد عن نظرة الترحيب التى يبديها أى شخص مهذب . عندما يجد نفسه فى حضرة سيدة جميلة . واذذاك ، تملكها شك بعث الى قلبها برودة قارسة مؤلمة . أهذا حقا كلايف جرانفيل ؟ . ولكن نظرة واحدة . . وميضا مما تبرق به العين دون ارادة ، لم يؤيد ظنها هذا .

وفى صوت تشوبه بعض الخشونة التى تدرب عليها . تساءل فى هدوء خالطه شىء من الانزعاج حاول أن يخفيه :

— أية خدمة أستطيع أن أؤديها لك يافراولين ؟

فندت منها شهقة خفيفة وقالت محاولة أن تبدو ضاحكة :

— معذرة ياهر « هوبمان » لما يبدو على من انفعال . فليس فى وسعك أن تتصور مااعترانى إذ رأيتك . ان لى صديقا عزيزا يشبهك كل الشبه . . وللذكريات ياهر أثرها .

فاعتذر بدوره قائلا :

— وانا الآخر أستميحك عذرا اذ كان ينبغى أن أناديك بلقب « مدام »

أرجو أن تطلبي منى أية خدمة تريدينها يا مدام .

وراحت ترقبه من تحت أهدابها الغزيرة . فى دقة وتأمل ، ولكن كلايف كان قد تخلص من اضطرابه وتمالك جأشه . فرأته فى لباسه العسكرى وقد غير النمط الذى اعتاد أن يصفف به شعره . . ووضع عوينة زجاجية (مونوكل) على احدى عينيه ، وبدا صوته خشنا . رأته شخصا آخر غير فتاها الانجليزى . وكان هو الآخر يرقبها ، فلاحظ أمارات الشك التى ارتسمت على أساريرها ، ثم ما اعترى حرارتها عند لقائه من خبو اذ تحققت انها أمام موظف غريب ينطق كل ما فيه بما يريبها فى ظنها ، فراحت تسائل غريزتها النسوية ..

وفى بطء متعمد لتطيل من مكثها ، أخرجت بعض الاوراق من حقيبتها الذهبية الصغيرة وقالت :

— انى أرغب فى الرحيل الى روتردام يا هر « هوبتمان » ، وقد ابتغت ان على ان أحصل على جواز من هذه الادارة قبل أن أرحل

ففحص أوراقها ، ثم أدرك انها كانت تكذب ، وانها لم ترسل اليه الا كطعم لاصطياده . اذ لمح العلامة السرية الصغيرة التى يضعها قلم المخابرات السرية الامبراطورى الالمانى فى بعض الاحيان ، والتى لا يدرك معناها غير القليلين من الموظفين . بيد انه لم يترك ظاهرة واحدة تنم عن ذلك ، بل قال فى هدوء :

— انى آسف ياسيدتى ، اذ أن هذا ليس من اختصاصنا ، بل ان اوراقك تامة لا تستدعى أى تأشير أو تصديق .

وكأنما أراد أن يطيل من الحديث ، حتى لايبدو متسرعا على رحيلها من أمامه ، فسألها :

— ومتى تعتزمين السفر الى روتردام ياسيدتى ؟

فقالت وهى تنظر اليه فى يأس ، ثم تتلفت الى ماحولها فى انفعال :

— غدا ، على ما أتوقع . . ولكن ، ألا تعرف ياهر (هوبتمان) ان ثمة . . تشابها كبيراً بينك وبين أحد أصدقائى الاعزاء ؟!

فانحنى مبتسما فى شكر .. وتقابلت أعينهما . كان فى عينيها تساؤل ولهفة وفى عينيه لم يبد سوى بريق التأدب .

وعادت تقول فى بساطة لاتتفق مع الانفعال الذى بدا عليها :

— أظن أن ليس لى فى هذه الأيام أن أذكر هذا . . ولكن الواقع أن صديقى كان ضابطا انجليزيا فى الجيش البريطانى . و.. أظن انه هو الآخر لايرتاح الآن الى .

بدأ كلايف يحس بالقلق ، فقد أدرك انها رغم خداعها كانت مخلصة . بيد أن الاشارة الصغيرة التى كانت على أورافها ذكرته بتحذير فيرهاجن . ولكن قلق جالى فهيل كان أعظم . اذ تناسى كلايف كل شىء عن نفسه . ولم يعد غير الضابط البريك فون شولتز ، من رجال الفرقه الرابعة فى مجدبيرج ، وقد جلس ينصت الى اعتراف امرأة غريبة جميلة . . وادرك انه لو سألها عن شىء من حديثها ، لانكشف أمره ، فاعتزم أن يتجاهل كل شىء وايقن انها موفدة من قبل فون كرامان .

وقال وقد داخله شعور من الاعجاب بجمالها :

— يخيل إلى انه لا ينظر بعدم اكتراث اليك يا سيدتى . فان معظم الرجال لايصدفون عن الجمال اينما وجد ، ولكن . . انه انجليزى يا سيدتى ؟

— انى احاول يا هر « هوبمان » . . احاول بما فى وسعى أن اقاوم

لطيفة . ظريفة . ثابتة

هى

روائح عثمان بك نورى

وتوجد بمعرض الروائح التركية

بشارع الموسكى نمرة ٢٣ بمصر

هذا الشعور الخائن ، ولـكن . . ولـكن الحب شاق صعب ياهر « هوبتمان »

وظل كلايف جامدا لا يسمح لأية عاطفة أثارها حديثهما أن تتغلب عليه فقال فى استياء :

— ولـكنه من ضباط العدو يا سيدتى ؟

فهمت ناهضـة وتناولت قفازها ، ثم رمت الشاب الجالس أمامها بنظرة ناعمة وتنهدت . بينما لمعت عيناها بتهديد إذ قابلت عيناه . . وقالت :

— أترانى أكثرت من الالحاح ياهر « هوبتمان » إذ سألتك صنيعا ؟

فدق كلايف كعبيه وانحنى فى احترام .. بينما قالت :

— انى أدعوك للعشاء معى الليلة ؟

— ألـكى تشكى الحب القاهر ؟

— لا يا هر « هوبتمان» .. أعدك أن لن تسمع شيئا من هذا .

— اذن . . فيسرنى يا سيدتى قبول دعوتك بهذا الشرط .

واذ وصلت الى الباب . . توقفت والقت نظرة مفاجئـة عليه . ولـكن خدعتها اخفقت . . اذ ظل جامدا . . لو انه كان انجليزيا . . لتقدم فى أدب نحو الباب . ولـكنه وقف يرمقها من خلال عوينته .

ففتحت الباب ، وعادت تنظر اليه فى اغراء وانذار ، ثم ذكرته بموعـد العشاء فى مطعم « بانييه دور » . ثم خرجت مخلفة اياه واقفا يرقب الباب ، وينصت الى وقع أقدامها وهى تبتعد عن الحجرة .

الفصل الثانى عشر

الجمال والـ ..

تقدمت جالى فهيل مجتازة صالة فندق « جراند سنترال » نحو المصعـد ، متجاهلة الأعين التى كانت ترمق جسدها وقوامها الرائع فى اعجاب . فقالت للعامل :

— الشقة الخامسة والعشرون من فضلك .

— الدور الثانى ياسيدتى .

وإذ وصلت ، طابت اليه أن يرشدها الى الحجرة التى تقصدها . . فأجابها بأنها الرابعة الى اليسار . فمضت اليها . وقرعت الباب فأجابها صوت متلهف خشن يأمرها بالدخول . . ووقفت تنظر الى الأميرال أوتو فون كرامان الذى كان يجلس فى الحجرة . فسألها فى صبر نافد . . وهو يصرف ضابطا شابا كان يجلس الى مكتب فى أحد الاركان . ولكنها قالت وهى تنظر حولها فى اعجاب :

— اسمح لى أن اهنئك بمكتبك الجديد ياهر أميرال .

— ألهذا جئت ؟. ما رأيك فى ذلك المخادع ؟

فأجابت وفى عينيها بريق البراءة :

— مخادع !؟ . . انى ارى أن رجلكم فون شولنز ، هو صديق الكابتن الانجليزى . . على الاقل ، هذا هو شعورى ، بعد مقابلتى الأولى له . ولكنه اذا كان حقا الكابتن جرانفيل فهو اذن ممثل ماهر . . ان التشابه تام غريب .

وأخذ فون كرامان يحدق فى عينيها فى شك ، ولكنها لم تهتز أو يبد عليها أقل اضطراب . واذ ذاك انفجر فى غلظة :

— اننا حمقى مغفلون ، اذ ننيط مثل هذه المهمة بامرأة . حتى لو أنه كان صديقك الكابتن ، فانى اعتقد ، انك كنت تسعين لاخفاء أمره . . اننا بلهاء اذ نطمئن الى امرأة تحب . اننا لا نبحث عن التشابه يابارونة ، وانما نبحث عن الحقائق . هل لا تظنين أنه الانجليزى ؟.. انى اعتقد أنه .. وابدا لم اخطىء ؟

— ان ثمة ركنا فى جهنم مخصصا للرجال الذين لا يخطئون . لقد احتفظت لنفسى ياهر اميرال ، بخط الرجعة ، اذ قلت لك انى بعد مقابلتى الأولى .. لا اعتقد أن « الهوبتمان » ، هو الكابتن جرانفيل ، ولكننى الليلة سأقنع نفسى بالرأى الأخير .. وستعرف فى صباح الغد الحقيقة . فقد دعوته الليلة ..

— آه ، اننا نساعد على بعث الحب القديم .. ان مثل هذا الحب لا يحل

له مع الدم والحديد يابارونة . .

فصاحت وصوتها يهتز غضبا :

— انني سعيدة اذ لا اقع تحت سلطتك المباشرة . لأن الشاعر الرقيقة التي أعرفها ، ميتة في نفسك ، ولعلها ذابت في ملوحة البحر . . ولأنني أفضل أن اعمل تبعاً لآرائي ووسائلي ، ولهذا دعوت الهر هوبتمان للعشاء معي

وأدرك الاميرال اخفاقه في تفهم المرأة التي بدت له لغزا غامضا . . وكان قلقا مرتابا ، فلجأ الى الخشونة والتهديد :

— انك تعرفين مايقع لمن يخدعنا . . لن يحميك منا أي . .

فهمت ناهضة وسارت نحو الباب قائلة :

— انني أفضل تهديداتك على رقتك ياهر أميرال . ولكنني أرجو أن تذكر أن هناك نساء أكثر شجاعة وحبا لأوطانهم من أن . .

— مهلا يابارونة . اجلسي من فضلك . إن علينا أن نسعى في المسألة فهي جد خطيرة . أين ستتناولان العشاء ؟

— في « بانييه دور »

— حسنا ، قد أحضر في منتصف الليل .

— أرجوك ياهر أميرال أن لاتحضر ، فاني واثقة أنك ستفسد خططي ، كما أن « بانييه دور » معروف بأنه معد لكي يؤوي كل عاشقين . . والآن أرجو أن تذكر لي كل معلوماتك وشكوكك ، لأنني أكره العمل في الظلام ، وقد ارتكبت خطأ جليا اذ أرسلتني اليوم دون تزويدي بشيء . .

فظل صامتا . . وأحست أنه لايريد بعد أن يثق بها ، فضربت المائدة بيدها ، ثم عادت تميل قائلة في حرارة :

— دعني اؤكد لك ياهر أميرال أنه حيث توجد مصلحة وطني ، تتقهقر عواطفي الى مرتبة ثانوية .

ولاحظت الشكوك وهي تتنازع الاميرال ، قبل ان يخضع لتأثير كلامها فيضع فيها ثقته . . ويسحب ملفين من أوراقه وهو يقول في تردد :

— اذا كان الأنجليز قد سعوا الى لعب هذا الدور . . فليس ثمة خير من

أن يختاروا شخصية ملائمة ليزوروا صاحبها . انى لااعرف شيئا يابارونة سوى ما توحيه الى مشاعرى . .

— اخشى ياأميرال ان يكون ذهنك قد تأثر بالخيال مذ وليت ادارة المخابرات السرية .

— اتظنين هذا ؟ . . اذن فاسمعى . لم يعثر قلم المخابرات السرية الألمانية على أثر لسكلايف جرانفيل . . كابتن الرماة . . اذ عين فى مهمة خاصة . وكل ماعرف انه زار السكولونيل تامبلمان فى لندن مرتين . وفى اليوم الذى اعلنت فيه انجلترا الحرب فقد جواسيسنا أثره . . و كان كل ما جاءنا من لندن . . هو اخطار بأن « ظلا » قد انجاب . . ان الذى جعله يختفى ولابد مشروع انجبته عقول جبارة . . انى واثق كل الثقة من اننى المس خيوط مؤامرة هائلة . وكلما تأملت الامر كلما ازددت يقينا . لقد اوضحت شكوكى للقيادة . . فضحكوا منى . . اذ ان صديقك السكابتن فى حماية من برلين وهذا كل مالدى

ثم اخرج مذكرة من ملف البريك فون شولتز وقال :

— لقد وجد البريك فون شولتز فى بلجيكا . . اذ اخفاه عند اعلان الحرب وكيل املاكه الشجاع الوفى . وعندما دخلت جيوشنا بروسلز . . تقدم وتطوع لخدمة الوطن . انه صورة محببة الى النفوس . . واضحة وضوح الشمس ولكن .. دعينى أريك الجانب الآخر منها . ان السكابتن جرانفيل يحمل شبها تاما لفون شولتز . وحتى صورة هذا تقوم دليلا على ذلك

فراحت جالى فهيل تتأمل الصورة القديمة العهد . التى قدمها اليها . . ثم قالت :

— ومع ذلك . فان رأيك لايروق لى . الا من حيث تمام الشبه بين الرجلين . ولكن . .

— ولكن دعينا نرى مايختص بالرجل الذى أنقذ فون شولتز . اننا نعرف حركات الهر فيرهاجن أكثر مما يظن . فهو منذ شهور عديدة على اتصال بالسكولونيل تامبلمان . فاذا فرضنا أنه عرف بوسيلة ما . الشبه الذى بين عميله

وبين الكابتن الانجليزى . فهل كان يجد صعوبة فى وضع أحدهما محل الآخر لاسيما وأن الكابتن يتكلم الألمانية كما تتكلمها نحن ؟ . وأى مورد للاخبار يجده الانجليز اذذاك ؟ !

— ولكن أسرته . وأقاربه ؟

فارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة وقال :

— لايجب أن نسأل عن مثل هذه الصغائر اذا تكلمنا عن رجلين كفيرهاجن وصديقك الكابتن . فهما ولا شك قد استعدا لمثل هذه الأمور وقد احتطت فارسلت اليه جنديا . كان من الخدم الذين يعملون فى بيته فى بافاريا . والذى خدمت أسرته آل شولتز أجيالا عديدة . ليكون تابعا له . . ولكننا لا ننظر الى مايؤكده من أنه هو نفس سيده . وانما نسعى لكشف الصلة بين الكابتن وفيرهاجن . . فهنا فقط المفتاح . .

فنهضت البارونة فى بطء ، وقالت فى صوت أقرب الى الهمس :

— لقد كدت تقنعنى ياهر أميرال . ولكن ، الليلة سأعرف الحقيقة . . ان الرجل قد يوفق فى اخفاء كل شىء إلا رقصه .

فصاح كرامان : آه . . انى أتساءل وأعجب لك . !

الفصل الثالث عشر

الشفرة

ترامت الى أذنى كلايف انغام الموسيقى وهو واقف فى شرفة مطعم « مانيبه دور » فى انتظار جالى فهيل ، يحدق فى لاشىء بأعين تحمل طابع التعب الذى يتبدى على ضابط مثله ، أرهقته أفكاره المضطربة . . والواقع ان ذهنه كان يبحث باهتمام عن جواب للاسئلة التى كانت تترى عليه . .

ترى هل كانت جالى فهيل عدوة لدوداً . ؟ وهل كان ماتجلى فى حديثها من غرام . . عاطفة صادقة أم مفتعلة . ؟ والى أى حد تشك فى أمره . ! وعلى الرغم من ان الخداع كان متجليا فى الدور الذى تلعبه . . فان كلايف لم يسعه إلا ان يعترف انه كان مضطرا الى قبول الدعوة . ثم تساءل فى نفسه . .

إدارة البلاد التي تحكمها على أوفق ما يرام . . عما يدعو الى مراقبة مثل هذه الجاسوسة الخطرة . . التي كانت تعمل تحت ستار من جنسيتها المولندية . . وتحت ارشاد فون كرامان . . الذي انشأ لنفسه مركزا في بروسلز . . كما علم كلايف . .

ورأى كلايف ان يبدي بعض السرور حين التقت عيناه بعينيها . . وما لبث ان قادهما الخدم بعد لحظات الى مكان منعزل . .

وقالت وهي تتلفت حولها وقد انتابها رجفة خفيفة :

الحرب . . كان ينبغي أن يكون بعيدا عن هذه البقعة بملايين ميل . .

هيا الى الصحة والقوة والشباب الدائم

لتعلم سيدات وشابات ورجال وشباب اليوم ان صحتهم وقوتهم ونشاطهم يتوقفان الى حد كبير على استعمال هذه المنتجات العظيمة الفائدة

	ص		ص
علبة مربة المفتقة بالبندق فيها ٤ ارطال	١٠	وبالبريد	١٣
علبة مربة الحلبة باللوز فيها ٤ ارطال	١٠	»	١٣
علبة مربة المحلب باللوز فيها ٢ ارطال	١٠	»	١٣
علبة مربة الشيخ للضعف التناسلي والعقم للرجال	١٠	»	١٣
علبة مغات محوج مدقوق تمرة ١	١٥	»	١٨
علبة مسحوق الهلال لازالة حب الشباب والنمش	١٠	»	١٣
اقراص نسخة احليل التمساح للرطوبة والضعف للرجال	١٠	»	١٣
علبة حبوب النباتات ١٨١٢ لشفاء السيلان	١٠	»	١٣

والتهاب المثانة ارفق بطلبك اذن

بوستة بقيمة ما تطلبه باسم **ابراهيم ابراهيم شافعي**

بوكالة أبو زيد بالحزاوي بمصر يصلك طلبك بطريقة استعماله في الحال

تليفون ٤١٨١٦

أليس كذلك يا هر « هوبتمان » ؟

— أجل .. الزينات الجميلة ، والنساء الرائعات الساحرات ، كل هاته تجعل الحرب والموت المجانى يبدوان بعيدين كل البعد .

— سواء أكانت هناك حرب أم لم تكن ، فانى جائعة ، وأود أن أستمتع بعشائى

ولكن سرورى يا بارونة ، منتقص لما سيعقبه من رحيلك غدا

— ان هذا يتوقف على الظروف يا هر « هوبتمان » .. وربما عليك الى حد ما .. فلابد انك عرفت طبعا انه لم يأت لزيارتى لك اليوم لأجل الحواز أية ضرورة .

فقال وقد أخذ ينتقى كلماته :

— لقد كنت فى تلك اللحظة اهىء نفسى برؤياك ، فلم أفطن الى هذا الا فيما بعد .. ثم خيل الى انها خطأ بسيط ، احمد الله عليه لوقوعه . ولكن ما الذى يزعجك ؟ . لقد تقابلنا ، وها نحن وحيدان .

واتبع ذلك بحركة ذات معنى .. ثم عاد يقول :

— هل تجدين الحياة ممتعة فى روتردام ؟

— على العكس فانى أمل المكث فى وطنى . فهنا ، أرانى فى حرية تامة ، أما هناك .. فعلى أن ألعب دور السيدة الكبيرة صاحبة الأملاك والقصر الفخم .

— ولكن .. ألا تستطيعين العودة والاقامة فى المانيا ؟

وبدا لها سؤاله ساذجا .. جعلها تطمئن نوعا الى أنه لم يلحظ العلامة التى على حوارها .. ولم يفطن إذذاك الا إلى انها قد حضرت الى مكتبه خطأ .. فاجابت بانها تستطيع العودة . ثم بدأت تحت تأثير الطعام والموسيقى الحالمة النغمات .. تتخلى عن تحفظها وتشجعه على رفع الكلفة بينهما ، فراح يتصرف نفس التصرفات التى كان ينتظر أن يأتيها فون شولتز فى مثل هذه الظروف مما جعلها تشعر بالخيبة . فقد تعمد ألا يبدى غير ذلك الشعور الذى يبديه شاب رشيق ، يقع تحت تأثير جمال نادر . فى جلسة خاصة جمعته بصاحبة هذا

الجمال . . واستطاع إذذاك أن يدرك أن شكوكها فى أنه ليس بضابطها الانجليزى .. قد تحولت الى يقين . . فشاء أن يتمادى ليعرف الى أى مدى ارتابت فيه .. والى أى مدى بلغت معلوماتها . فشرع يقول بعد برهة صمت سادتهما :

— لقد كنت سعيدا هذا الصباح . ولكننى بدأت أظن أن اهتمامك قد بدأ يخبو يابارونة .. حتى انى اكاد أحقد على ذلك المجهول الذى أشبهه . هل قلت انه انجليزى ؟

— ان سرورى برؤياك يرجع الى التشابه العظيم المثير للانتباه أولا . . وثانيا .

ثم خفضت صوتها إذ لحظت رجلا طويلا اشقر .. فى ملابس ملكية ، يحتل المنضدة المجاورة .

— وثانيا .. لأن قلم مخابراتنا السرية فلق كل الفلق من ناحيتك وناحية وكيل أعمالك ، و .. ثالثا .. لأننى لا أود أن يصيبك ـ كشاب بريء ـ ضرر قد يؤدى الى نهاية ألمة لك .

وأحس لقاء صراحتها هذه ، بانه قد نجح فى ازالة شكوكها فى شخصيته فاذا لم يحدث شيء يغير أفكارها ، فانها تصبح واثقة من أن الشخص الذى يجالسها ليس غير الضابط فون شولتز . ولذا تعمد أن يتساءل فى دهشة :

— اننى لا أفهم لم يهتم رجال مخابراتنا السرية بتتبع حركاتى .؟ أيهتمون بشخصية خاملة لامطامح لهـا . ؟ انى لا أصلح لأى مغامرة اذ قتلت الثروة المفرطة . . كل طموح فى نفسى منذ صغرى . فلم تعد أحلامى تتعدى . ان أنعم برحلة أجوب فيها البحار فى يخت صغير . . أو الصحارى على ظهر جمل يحملنى الى عالم مجهول . أو . . أن أحظى بجلسة حالمة مع سيدة مثالك .

فقالت فى اهتمام محذرة :

— ومع ذلك فهناك من يهتم بامرك . انك أول ضابط بروسى أراه ساذجا بسيطا غير متعجرف . .

وترامت اليهما أنغام لحن « فينا » ، فسرت فى جسده رعدة اذ تذكر

أنها الامام التي رقص على وقعها مع حلمي فهيل في كيل . وقد أمسك بها بين ذراعيه . وراحا يخطوان في خيوية شاعرية . ونهضت وعلى شفتيها ابتسامة مغرية . مدعته الى الرقص . واذذاك انتبه كلايف في مثل لمح البصر . الى ان الدعوة انما أعدت لمثل هذه اللحظة . ولذا ظل جالسا وقال في أسف :

— انني لم آسف اكثر مما أنا الآن يابارونة . اذ لا أعرف من الرقص خطوة واحدة .

ودهش لمدى دهائها الذى كاد يقع في شراكه . فلو أنه خطا معها بضع خطوات . لانكشفت شخصيته لها .

وضحكت في انفعال وهي تستعيد مقعدها قائلة :

ما أغرب هذا ياهر «هوبتمان» .. لقد ظننت أن الرقص أول شروط الاناقة لشاب مثلك .

لقد حاولت مرارا يابارونة . فلم يبد أمل في أن أفلح .

فنظرت اليه برهة مترددة . ثم نهضت فجأة قائلة :

معذرة ياهر « هوبتمان » فانا ذاهبة الى التليفون لأتصل بخادمتي فابلغها تعليماتي . اذ سأرحل الى روتردام غدا .

فنهض كلايف وانحنى لها وهي تغادر المكان . ثم جلس وقد ثبت عينيه على الباب الذى اختفت وراءه . وقد غرق في تفكير عميق . . حتى لم يكد يفطن الى حركة عند الباب . واذذاك نشط ذهنه الى التفكير . اذ عرف الرجال الثلاثة الذين نفذوا الى الحجرة في خطى خفيفة . كان اثنان منهم من رجال المخابرات السرية . أما الثالث فكان من ضباط البوليس . وما لبث أن رآهم يتجهون الى المائدة المجاورة . التي جلس اليها الرجل الاشقر .

وفجأة أحس كلايف بشيء يرتطم بحذائه . فوضع كعبه عليه لحظة . حتى اذا سمع صوت ضابط البوليس يسأل الرجل في صوت جاف عما اذا كان يدعى « هر هانس فونسنج» . انحنى فرفع الشيء الذى أحس من اللحظة الأولى انه كتاب . ثم دسه في جيبه . بينما سمع الرجل يجيب :

— اجل ياهر .. ولماذا ؟

— أن القومسير يريد التحدث اليك ، فتكرم واتبعنى .

وشعر كلايف ان الرجل يضع يده فى جيبه ، وادرك بعد لحظة أنه كان يخرج مسدسه إذ سمع صوت طلق نارى ، ثم هوى الرجل الاشقر صريعا وسط صالة الرقص . فقامت الضوضاء فى المطعم . ونهض كلايف فى هدوء ، ثم غادر الحجرة فى اللحظة التى رأى فيها جالى فهيل عائدة ، فحال بينها وبين العودة قائلا :

— اختى ياباروتة ان لا يروقك المنظر . فقد اضطر البوليس الى اطلاق النار على رجل فى الحجرة ، فخير لنا ان ننصرف ..

ودعته اذ غادرا المطعم الى الفندق الذى تقيم فيه ليتناولا القهوة . وبينما كانت ترتشف ما فى قدحها ، مضت تقول وهى تحدجه بنظرات فاحصة :

— اعترف ياهر « هوبتمان » انى مذ لقيتك ، اعانى ذكريات بعثت فى نفسى لتؤلمنى . ولذا فقد رأيت لأريح بالى ان ابادر بالرحيل غدا الى روتردام ، وان كنت قدتنازلت عن جزء من قصرى للسلطات ليكون مأوى لتبادل الاسرى الجرحى . .

ثم اردفت فى صوت رأى فيه كلايف لهجة التهديد :

— وغدا سأكتب لصديقة انجليزية من زميلات الدراسة تدعى فراولين جوان هارلند ، اسألها أن تحضر الى روتردام لتشاطرنى العمل فى سبيل الانسانية ، وفى هذه الحالة أستطيع أن اسألها عن كثير من الامور .

— انى آسف ياباروتة لامرين .. أولهما رحيلك ، وثانيهما مايبدو من أن وجودى يزعجك ، فهل لى أن أسألك السبب ؟

— لا .. فليس للهوبتمان فون شولتز أن يعرف . أما اذا كنت شخصا آخر ، فانك ستفهم ..

فنهض كلايف وانحنى فى احترام فقبل أصابعها قائلا :

— لقد كان لقاء عجيبا . وانى لأسمح لنفسى أن أقول انى مسرور للقائك كل السرور .. أسعدت مساء .

ومرة أخرى عاودها الشعور بان الرجل لم يكن الشخص البروسى الذى تعمد أن يلعب دوره ، فاتقدت عيناها فى ارتياب غامض ، وهى تتبعه بنظراتها عقب انصرافه ، ثم انصرفت الى حجرتها ، حيث كتبت للاميرال فون كرامان رسالة قصيرة جاء فيها :

« سأرحل لروتردام ، عنوانى كالمعتاد . . لقد أخفقت الليلة ولكنى أعتقد أنك تسير وراء الحقيقة »

الفصل الرابع عشر

الخطاب

— سأبحر الى فلاشنج يوم الاثنين القادم يا عزيزتى جوان . .

فأجابت جوان هارلند متسائلة :

— مرة أخرى يا أبت ؟ . . ألا تخشى خطر تلك الغواصات ؟

— ان جنودنا فى الجبهة يعانون ما هو أشد من هذا وانكى . . كل يوم . . انهم يعانون اخطارا لا تقاس بها تهديدات الغواصات خلال رحلة لا تستغرق ساعات معدودة .

كانت جوان تجلس الى جانب الموقد فى حجرة الجلوس . . مستسلمة الى افكار طاغية . . حين قدم أبوها فتبادلا هذا الحديث . . ومع انها لم تشك الى أبيها . . إلا انها كانت قلقة لهذا الصمت الغريب من كلايف . . الصمت الذى أمضها واسقم روحها . . وكانت قد علمت من طريق غير مباشر . . ان مهمة كلايف الحربية تستدعى الصمت والتكتم . . ولكنها أخيرا لم تطق هذا فثارت فى نفسها على الجيش والخدمة العسكرية . . وهى توقن ان لو لم يكن فتاها الحبيب مقيدا بعمله . . لما ارتضى لنفسه هذا الصمت الذى آلمها وأقلقها حتى لقد قررت فى نفسها أن تسعى فى أول فرصة كى تسأل أحدا من القادة أو أولى الأمر . وزاد من حزنها ان احدى صديقاتها استلمت من خطيبها خطابا افلت من الرقابة . . تحدث فيه عن مغامرات أخيه الضابط فودت هى الأخرى لو تسلمت من خطيبها رسالة ترضى نزعتها الخيالية . .

وعادت تسأل أباها :

— أذاهب أنت الى لندن أولا يا أبت ؟

— أجل فلدى موعد فى الاميرالية غدا ، حيث استعرض الاجراءات الخاصة بما تحمله الكثير من السفن الهولندية التى ستبرح روتردام فى الاسبوع المقبل . كما انني سأطالب بأن أراقب المواني الهولندية أثناء وجودى فى روتردام ، وما ينفذ خلالها ، اذ أن الهولنديين قد بدأوا يجازفون فى صفقات ثقيلة جدا ، واعتقد أن معظم ما تحمله السفن ، سنوفق الى اثبات انه من المواد المحظورة على المحايدين .

— اذن ، فاذا كنت لن تبحر الى روتردام قبل يوم الاثنين . فانك ستقضى فى المدينة ثلاثة أيام . لذلك أود أن أصحبك خلالها ياأبى ، وقد نستطيع أن نتصل بالكولونيل تامبلان . وفى وسعك أن تدعوه للعشاء أو ما أشبه ذلك ، فقد يدلى الينا بشىء من أخبار كلايف . .

فتأمل السير جورج وجه ابنته ، ولأول مرة لاحظ ما تحمله أساريرها من حزن وشوق وقلق . فلم يلبث أن أجاب :

— حسنا يا عزيزتى ، يسرنى أن تصحبينى الى لندن ، ولكننى لا أظن الاخبار سهلة المنال فى هذه الايام ، لا سيما الى جانب هذه القوائم المرعبة التى تسجل الخسائر المروعة . . على أنى آمل أن لا يكون الكولونيل أحد أولئك المتعالين المتعاظمين الذين لا يمكن الوصول اليهم . فلقد كان من السهل فيما مضى ، أن يدعو المرء قائدا الى تناول العشاء معه ، وهو واثق من قبوله . أما اليوم ، فكل من ارتدى الملابس العسكرية يبدو كما لو كان أصبح من ذوى الاهمية الخطيرة للبلاد . . تصورى ان هذا دفعنى الى أن أفكر فى أن أسأل الوزير أن يسمح لى بارتداء الملابس البحرية الرسمية .

— لن اعجب لهذا يابت . . فلقد وجهت الحكومة الشكر اليك مرتين وهذا يدل على مدى اهمية ماقدمت من مساعدات . وانى فى الواقع لاتوق ان اراك فى بذلة رسمية .

فضحك السير جورج وهو يربت على خدها ثم نادى ميلر الخادم فلم يلبث هذا

أن قدم . فقال له :

— ميلر . . ارجو ان تعد حقائبي . فانني راحل الى لندن حيث ابرحها بعد أيام قلائل الى فلاشينج

فتساءل ميلر :

— اذن فلن تعود الى « ابراج مارفين » قبل أن تبحر الى هولندا ياسير جورج ؟

واذ أجابه بالايجاب . . تحول الخادم خارجا . . وبدا فى ظلمة الحجرة التى راح يجتازها فى خطواته الخفيفة . وميض لمع فى عينيه

فى اليوم التالى . . وفى بيت سير جورج هارلند فى ميدان بيليجريف بلندن . . دخلت جوان الى حجرة ابيها الذى كان منهمكا فى الكتابة . فنظر اليها نظرة عتاب واحتجاج . . وقال :

— انني لا أميل ياعزيزتى الى الخطة التى وضعتها لسؤال الكولونيل . . فلوان كل فتاة اوعمة تساءلت عن بطلها الغائب فى الميدان لانتشرت الاسرار . .

— كن رقيقا ياأبت . . انى واثقة من أن هذا الكولونيل لن يرفض دعوة يوجهها السير جورج هارلند .

ثم جلست على مسند المقعد الذى كان يحتله أبوها . . وأحاطت عنقه بذراعيها قائلة :

— من أجلى ياأبت . . ان جوان فانك ، تتعذب .

فلم يحاول أن يحتج . . بينما تحولت جوان الى التليفون . . فطلبت الكولونيل تامبلمان ، حتى اذا أجابها عامل التليفون قالت :

— السير جورج هارلند يريد التحدث الى الكولونيل تامبلمان . . رجل هارلند صاحب السفن

ثم ناولت السماعة الى أبيها الذى قال :

— أهذا أنت ياكولونيل تامبلمان ؟ . اذا لم تكن مشغولا فيسرنى أن نتناول الغداء معا اليوم . . اوه مشغول ؟ . أجل ، انى أفهم ، اذن فلنتناول العشاء معا . . وليكن هذا فى مطعم روشيستر ، لاذ انى سأبحر الى هولندا

يوم الاثنين ، وأود أن أتحدث معك قليلا قبل ابحارى .. حسنا أشكرك . . لا ، لن أمل اذا تأخرت ، بل سأنتظرك . . سأحضر ابنتى معى ، فهل تجد اعتراضا ؟. حسنا .

وفى شعور بالفوز . وضع السماعة وهو يقول لجوان :

— لقد بادر بالقبول حين سمعنى أذكر هولندا .

أما الكولونيل تامبلمان . فقد نسى فى تلك اللحظة افرط انشغاله مابين جرانفيل وسير جورج من صلة . وكان ذكر هولندا — كما حدس سير جورج — هو الذى حمله على القبول ، اذ كانت تلك البلاد منبع الأخبار الهامة فى تلك الأيام . ثم مالبث أن تذكر أن سير جورج قد يكون ساعيا فى أثر كلايف جرانفيل . ومع ذلك فقد قرر أن يجيب الدعوة ، على أن يقتصر فى أحاديثه على هولندا ، فيتحاشى جهده موضوع كلايف .

وكانت نظرة واحدة من تامبلمان الى وجه جوان حين تقابل الثلاثة فى المطعم ، كفيلة بأن تشعره أن كلايف جرانفيل كان مبعث الأسى الذى ارتسم على ذلك الوجه . وتولته موجة من الاشفاق ، لم يلبث أن تخلص منها .

وتحدث سير جورج فى حذر عن مهمته فى هولندا ، وعن الحياة هناك . فمضت جوان تنصت الى حديثهما ، وقد تراءى لها أن كليهما يحمل عبء مصير البلاد ، وعليه أن يوقف رأسه وجهوده فى هذا السبيل . وشعر تامبلمان أن فى وسعه الاستفادة من سير جورج فقال :

— انى ياسير جورج من رجال المخابرات البرية ، رئيس القسم الحربى ولما كنت مهتما كل الاهتمام بهولندا ، فقد ظننت أنك قد تستطيع أن تؤدى زيارة عادية لشخص لدينا بعض الشك من ناحيته . . انها سيدة و . .

ولو أن السير جورج تمهل قليلا ، لكان من المحتمل تفادى بعض الآلام والأسى فى الايام التالية ، إذ لم تكن السيدة التى ذكرها تامبلمان غير البارونة جالى فهيل . .

ولكن السير جورج كان يسعى وراء معرفة سر من تامبلمان . فهو لم يأت لمساعدته . ولذا فقد أسرع يعترضه :

— ألا يمكنك يا كولونيل . قبل أن نمضي في الموضوع . أن تخبرني بشيء عن كابتن جرانفيل ؟ . لقد تسلمت رسالتك الرسمية . . ولكننا لم نسمع عنه بعد ذلك

كانت أخلاق الكولونيل تامبلمان . بعكس ماظن سير جورج . فلو أن الحديث ظل في سيره العادي . ولو أن الكولونيل تابع كلامه دون مقاطعة ثم القى السير جورج بعد ذلك سؤاله في لحظة مناسبة . لكان من الممكن أن يدلي تامبلمان بكلمة ما . في تحفظ وتكتم . ولكنه فوجيء بسؤال السير جورج . فرأى أمامه رجلا ساذجا طيب السريرة . ومعه ابنته المخطوبة الى الكابتن جرانفيل ، وكلاهما يسعى وراء أنباء الجاسوس « ثلاثة ـ ثلاثة » الذي أصبح الآن على رأس منبع فياض للجاسوسية لقسم المخابرات السرية البريطاني . وكان ينبغي أن يظل في عمله . ولذا ، كان على تامبلمان أن يحول دون هذين المهتمين بأمره . وبين أنبائه . فان الاصدقاء في مثل هذه الاحوال يكونون أخطر من الأعداء . لذلك لم يلبث أن قال وهو يكافح خجله حتى لايغلب حزمه :

— ان جرانفيل ياسير جورج . . في خير حال . . كما أعلم . . ولكنني مضطر لسلامته ولأهمية الأمور الخطيرة التي تحوطه . . أن أحصل على وعد منك . ومن مس جوان . . بأن لا تذكرا أو تسألا عن اسم جرانفيل . . فان حياته تتوقف على ذلك — واقسم لكما بشرفي ـ إذ أن ثمة جواسيس يعملون ليل نهار للوصول الى ما تسألان عنه .

— والى متى يطول هذا الصمت يا كولونيل ؟

— لقد علمت من التحريات المتباينة ياسير جورج . ان الصلة بين جرانفيل ، وبيني قد أثارت اهتمام بعض دوائر الأعداء . وسيكون من جراء تناولنا العشاء معا . . انهم سيتتبعون حركاتك أنت الآخر . . انفهمني ؟ . وعلى ذلك فاعدك أن مس جوان ستكون أول شخص أتصل به . إذا ما وجدت الفرصة تسمح بان أدلي بشيء عنه

خذوا صوركم
في ستوديو
يوسف حنين

شارع عبد العزيز
أمام سينما أوليمبيا
تليفون
٥٩٥٥٥

الذي حاز ثقة الأساتذين
محمد عبد الوهاب و محمد كريم
فعهدا إليه بتصوير وطبع جميع مناظر فيلمي
يحيا الحب و يوم سعيد

أحدث الصور الفنية

١٢ كارت بوستال ٣٠ قرش
٦ أبوتيه ٢٠ "
٦ ١ صورة ١٨×٢٤ مجانا على صور الكارت بوستال

التصوير ليلا ونهارا

فنظر سير جورج الى ابنته وهو يقول :

— انه يلوح على حق ياعزيزتى .. انى أعدك يا كولونيل أن لا أذكر اسم الشاب .

ولكن جوان ظلت صامتة وقد تولاها الأذ .. ووجد تامبلمان أن الجو غير ملائم ليمضى فى حديثه حول البارونة جالى فهيل . وبذا أفلتت منه احدى الفرص النادرة .

فى ذلك المساء جلس سير جورج يدخن سيجارة . وهو يحاول جهده التسرية عن جوان قائلا :

— سترين ياعزيزتى أنه غالبا ما يكون فى أفريقيا مناطا به عمل هام خطير ومن المحتمل أن يعود جنرالا أو بطلا عظيما .

— ولكن لماذا لم يبح لنا ذلك الرجل السمين البليد تامبلمان بشىء عن مهمته ؟. ليس من المعقول اننا كنا نتحدث بذلك الى أحد ما .

— انك تعرفين ياعزيزتى طبيعة بعض هؤلاء الرجال العسكريين فهم اذا ما اؤتمنوا على سر بسيط . . خيل اليهم انهم يكتمون أسرار الخليقة كلها وعلى كل حال . . فان تامبلمان لم يصدنى فى جفاء . .

فتسللت الى أحضانه كما كانت تفعل وهى طفلة . . ثم قالت فى صوت باك هامس .. وقد أشرقت عيناها بالدموع :

— لقد وعدته يا ابت ان انتظر واطمئن .. ولسوف انتظر فى أمل .

وهكذا حاولت بعد قرارها هذا . . أن تبدو مرحة طروبا . حتى كان صباح يوم الأحد . . وقد جلست تفض حزمة من الرسائل . . حولت اليها من القصر الريفى « ابراج مارفين » .. فاذا بها ترى خطابا صغيرا . . يحمل خاتم هولندا .. ففضته فى لهفة ومضت تقرأه . ولكنها لم تفقه لأول وهلة ماجاء فيه . فعادت تطالعه من جديد . . وكان من البارونة جالى فهيل . . وقد جاء فيه :

« عزيزتى جوان .

« انك دون صديقاتى أجمعين . . تستطيعين ان تدركى مدى العزلة التى

يحسبها قلبي فى هذه الحرب . ولعله مما يسرك ياجوان ان تعرفى انى اعترف ان وطنى « المانيا » على خطأ فى صراعه الرهيب الحالى . ولكن . . من العسير اقرار هذا . وإن كانت كل مشاعرى تثور حتى انى لم أعد أعتبر نفسى المانية اذا أصبحت قلبا وقالبا . . أمت الى وطن المرحوم زوجى . . هولندا . . التى أصبحت أفخر بأن اتخذها وطنا لى . .

«لهذا ترين ياعزيزتى جوان انى محايدة . ولكن نفسى المتوثبة تتوق لمساعدة أولئك البائسين من الجرحى والعجزة من اسرى الحرب . ولذا وضعت شطرا كبيرا من قصرى ، تحت تصرف المكتب الدولى لأسرى الحرب الجرحى ، حيث يستبدل بجرحى الحلفاء . . جرحى الألمان .

« ان العمل جد مرهق ، ولكنه يستحق كل مجهود ، وقد اضطلعت بدورهام فيه . .

«لقد سمعت أن والدك زار روتردام عدة مرات ، فلماذا لم يأت لزيارتى ؟ الأنه نسى تلك الفتاة الوحيدة — وان كانت سعيدة — التى كثيرا ما قضت اوقاتا سارة فى « ابراج مارفين » والتى تفخر بأن تعد جوان هارلند احدى اعز صديقاتها ؟ . .

«لقد طرأت لى فكرة خلال كتابتى . . ترى الا تستطيعين اذا ابحر سير جورج مرة اخرى الى روتردام ، أن ترافقيه ؟ . . كم أنا مشوقة الى الحديث معك ، وكم لدى من أخبار ! . . فلقد زرت بروسلز منذ مدة ، بصفتى عضوا فى هذا المكتب الدولى وحدث عند عودتى الى روتردام ، ان اضطررت إلى التأشير على جواز سفرى ، ولكن . . تصورى مدى دهشتى حين وجدت الضابط الذى قابلنى فى الادارة المختصة هو الكابتن كلايف جرانفيل . . أو ما ظننته اباه لاول وهلة . ثم لم البث أن ضحكت لهذا الطارىء الخيالى . كما ضحك الضابط حين أخبرته . . »

تسارعت دقات جوان حين قرأت هذه الفقرة وارتجفت الورقة فى يدها وهى توالى القراءة :

« إن مشابهته لصديقك ياعزيزتى جوان ، تتعدى كل حد ممكن للعقل أن

بصدقه فأرجو أن تطمئني هواجسي اذا كنت تعرفين شيئا عن الكابتن جرانفيل ، فانني أخال نفسي أحيانا في حلم ..

« كذلك أهمس في أذنك أن المكتب الدولي، قد دعاني لأن أكون احد أعضاء الهيئة التي ستزور انجلترا . .

جالي فهيل »

وعندما أبحرت السفينة في صباح يوم الاثنين من هارويك ، كانت جوان هارلند في رفقة أبيها ، على ظهرها .

الفصل الخامس عشر

فون كرامان ينشط ..

عندما عاد كلايف الى حجرته في شارع رميك ، مضى يفحص الكتاب الذي التقطه في المطعم . . كان الكتاب مصابا ببعض التلف ، من جراء ابتلاله بماء مالح كماء البحر ، وقد بدا على غلافه في أحرف ذهبية متلاشية ، اسم « الجيش الامبراطوري الالماني » .

وقلب كلايف الصفحات ، فاذا بالكتابة التي احتوتها مرسومة برموز الشفرة ، التي لم يستطع أن يتوصل الى حلها ، اذ كانت معظمها عسيرة عليه ، لاسيما وقد كان ذهنه مليئا بحوادث اليوم . ولذا رأى أن يلجأ الى البيت القائم في لوفين جيت ، حيث توقع أن يستطيع الخبير هنري — سكرتير فيرهاجن . أن يعطيه فكرة عن الكتاب ، وحيث كان عليه ، أن يبحث مع فيرهاجن تطورات الامور ، لاسيما بعد زيارة جالي فهيل .

وأرهقه التفكير ، فرأى أن يتخلص منه بالاستسلام للنوم . ولكنه ما كان لينعم بسنة منه لو انه علم ما كان يدور في مطعم « بانييه دور » في تلك الاثناء ، اذ مضى رجلا البوليس السري ، يعاونهما فئة من رجال البوليس يقلبون المطعم رأسا على عقب، منقبين كل ركن فيه ، وراح ضابط البوليس يرهق كبير الخدم بالأسئلة ، بيد أن هذا كان يؤكد له في اضطراب ، أنه لا يعلم شيئا عن الرجل الأشقر ، ولا عن الضابط الذي كان يجلس إلى المائدة

المجاورة لمائدته ، مع احدى السيدات . كما أقر بان هذين الاثنين ، واكد انهما لم يتبادلا كلمة واحدة مع ذلك الأشقر الذى تبين انه « اسكندناوى » الجنس كما ذكر أن السيدة قد اتصلت تليفونيا بفندق سيسل ، ولكن الخادم الذى كان يقف لدى التليفون لم يستطع أن يذكر لهما شيئا عن الشخص الذى اتصلت به ، فقد كان فى تلك اللحظة مشغولا ببعض العملاء .

وفى الساعة السابعة والنصف تماما من الصباح التالى ، دخل الحجرة فريتز بيرجر ، تابع كلايف ، يحمل ملابس الضابط ، وقد اعتنى بكيها وتنظيفها . كان فريتز صموتا ، ينتمى الى بافاريا ويكره كل ماهو بروسى . . اللهم الا مخدومه الهر « هوبتمان »

وقد أدرك كلايف ان هذا يرجع الى أن فريتز عانى عذابا ثقيلا من جاويش بروسى فظ . حتى أنقذ بقرار إلحاقه بخدمة سيده السابق . . وكان — كما عرف كلايف فيما بعد — يقوم برعاية السيد الصغير البريك . كلما هبطت الاسرة فى مقاطعتها ببفاريا . وعلم كلايف أيضاً . بشىء من الدهاء . أن ثمة تفاهما قام بين البريك وخادمه فريتز . نما حتى صار صداقة . ولذا كان كلايف يعتذر كلما تجلى جهله بهذه الذكريات . . بأنه قد نسيها من جراء المعاملة القاسية التى لقيها على أيدى البلجيكيين حتى فر واضطر الى الاختفاء منهم فى بيت فيرهاجن . وكان فريتز يتقبل اعذاره صامتا . ويسعى الى اخفاء أى شك قد يساوره نحوها . . كان كل من السيد والخادم قانعا بزميله . راضيا به .

ارتدى كلايف ملابسه . ثم تناول الكتيب ثانية فراح يتفحصه فى اهتمام . ولكن فريتز دخل فى تلك اللحظة ، فدس كلايف الكتاب فى جيبه

كان كلايف يحمل مفاتيح لبيت فيرهاجن . ولكنه اتفق معه على ألا يستعملها الا فى الحالات الماسة . وعندما اقترب من البيت عقب فراغه من الافطار ، لاحظ أن الستائر مسدلة على النوافذ علامة على خلو الجو . . فدق الجرس دقة واحدة . ودهشته لاحظ أن الذى فتح له الباب . كان هنرى

نفسه الذى قاد كلايف الى حجرة الجلوس . حتى اذا سأله عن فيرهاجن . اجاب :

— لقد رحل مع مارى رئيسة الخدم الى منزله الريفى فى « ا كلو » وقد امرنى ان ابلغك أنه قد يغيب . حتى مابعد الغد . . فان مهمته تبدو عسيرة . . اذ عليه ان يبحث عن ممر على الحدود . فى الوقت الذى تعرف فيه ان الحدود قد احيطت بالاسلاك الشائكة وانهم يعتزمون ارسال تيار كهربائى فى هذه الاسلاك .

فقال كلايف فى استياء . . وهو يقدم لهنرى الكتيب الصغير :

— حسنا يامسيو هنرى . ليس ثمة شىء ذو بال سوى هذا . . اذ أود ان يفحصه لأنه فوق قدرتى

فأبرقت عيناه بوميض من التلهف . وقال وهو يقلب صفحات الكتاب :

— آه ! اننى اظن انك وقعت على احدى الشفرات الألمانيـــة .. ياهر « هوبتمان » أتسمح لى بأن اخلو اليه بضع ساعات ؟

— اجل ياهنرى . . وارجو أن تخطرنى فى المساء اذا وجدته ذا أهمية خاصة . سوف اغادر مكتب الرقابة مبكرا . . فى وسعك زيارتى فى شارع رمبيك .

وفى الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر غادر كلايف مكتب الرقابة . فأسرع الى مسكنه فى شارع رمبيك . . وقد بلغه نبأ التفتيش الذى اجرى فى « بانبيه دور » فعزاه الى ذلك الكتيب . وما ان استقر كلايف فى حجرته . حتى اقبل خادمه فريتز يسأله عما اذا كان فى حاجة الى شىء فصرفه كلايف . . ثم خلا الى نفسه . .

وعلى الرغم من أن غياب فيرهاجن أزعجه . إلا أنه أدرك أن لابد من شىء هام دعاه الى الرحيل الى بيته الريفى فقد كان يستعمل هـذا البيت كمركز لتلقى الانباء القادمة من اقليم الفلاندرز . والتى كانت تلقى اهتماما من الكولونيل تامبلان

وراح كلايف يعجب بنظام فيرهاجن الذى ما كان ليسمح لاسم أى من

أعوانه أن يتعدى شفتيه . فقد كان يدرك أن بروسلز مليئة بجواسيس الحلفاء وكان فيرهاجن يخشى أن يستطيع رجال المخابرات السرية الالمانية . اذا ما اعتقلوا أحدهم .. أن يضطروه الى الحديث عما يعلم . ولذا كان يرى أنه من الخير أن تقل معلوماته حتى لا يحصلوا منه على شيء . ولكن الشاب الانجليزى علم فى ذلك اليوم بأنه حركة فى الجبهة الروسية . . حركة انتقال الفرق الألمانية من الشرق الى الغرب .. مما يدل على هجوم منتظر على فرنسا أو ما بقى من بلجيكا .. وخطر بباله الكتيب الصغير .. ولكنه رأى أن يقصيه عن أفكاره . وأن ينتظر رأى فيرهاجن .

وانتقل تفكيره الى جوان . فتولاه حنين وألم طاغيان ؟ وداهمته ذكريات اللحظة التى تلقاها فيها بين ذراعيه .. وطبع أولى قبلاته على شفتيها الشهيتين . بينما كانت عيناها تفيضان غراما وتدللا . لقد حرم منها الآن . وانشغل عنها بواجبه الذى لا يدرى نهايته . . وتذكر كلمات تامبلان : « ان رصاصة قد تكفى للقضاء على هذه الحياة . . فتقتل كلب مسعور » ترى ايلقى هذا المصير وهى به جاهلة ؟. وهل تعذره إذا عرفت ؟

وجلس كلايف جامدا ثم صاح يبعد عنه أفكاره السوداء :

— ويحى !. ان أعصابى بدأت تثور كما لو كنت فتاة صغيرة .

وتناول كتابا ، ولكنه أخفق فى أن يقرأ منه حرفا . كان ثمة صوت انجليزى مرح ، أو نظرة لذلك الوجه الذى طبع فى قلبه ، كافية لكى تهدىء آلام روحه .

وفجأة ، عكر صفو الهدوء صوت أجش ارتفع فى الردهة الخارجية ، تلته خطوات تقدمت نحو باب حجرته ، وطرقة قويه ، ثم فتح الباب دون استئذان ، ووقف فى مدخله الاميرال فون كرامان ، يرمق الشاب الانجليزى وقد صوب نحوه مسدسه . ثم قال :

— كابتن كلايف جرانفيل ، لقد انتهت مؤامرتك .

الفصل السادس عشر

شفرة سوداء .. وجريمة سوداء !

كاد قلب كلايف أن يكف عن الحركة ، وكما لو كان يحفظ توازنه فوق سفينة هائجة ، وقف الاميرال فى منتصف الحجرة شاهرا مسدسه . ولحسن الحظ ، كان كلايف حين جلس ليقرأ ، قد أولى الضوء ظهره ، ولذا كان وجهه فى غمرة الظلال ، فأسرع يبحث عن عوينته الزجاجية فثبتها فوق عينه ، وتحول يرمق فون كرامان فى دهشة ممتزجة بغضب مصطنعين . وخيل اليه فى تلك اللحظة ان تعمد الهدوء وتمالك النفس لايجديان .. ولكنه لم يلبث ان أدرك ان نجاته فى اتيان ما كان يأتيه البريك فون شولتز فى مثل موقفه . فقد كان ـ كالبريك ـ يعيش كضابط خامل الذهن . . لاينفعل سريعا لمثل هذه المفاجأة . . بل يظل ساكنا صامتا . . ولكنه رأى ان الصمت هنا اعتراف باقرار عدوه فتحول صائحا :

— من أنت . ؟ من أنت حتى تدخل هنا لتهدد سيدا روسيا .

ووقف كلايف .. فوضع كتابه بيد مرتعشة . فوق المنضدة . . بينما قال كرامان متهكما :

— سيد روسى .؟ سننتزع منك سريعا هذه السيادة . . ونرى مايبقى من روسيتك ياهر كابتن جرانفيل .

— انه لفار من مستشفى للمجاذيب . . من أنت أيها المجنون . ؟

ثم صاح فى صوت حاد : فريتز .. فريتز .. تعال للتو فانى مهاجم .

وسمعت أقدام الخادم .. فقال كلايف :

— ضع هذا المسدس أيها المجنون وإلا انطلق

وأتقن تمثيل انفعال المعتاد على استعمال الأسلحة . . ولكنه لم يعتد أن يراها فى يد غيره . فاضطر فون كرامان أن يخفض المسدس فى حركة ساخرة .. بينما بدا وجه فريتز لدى الباب ..

فقال فون كرامان : اصرف الخادم .. ودع الأمر لا يتعدى كلينا ..

وتردد كلايف برهة ، متعمدا أن يظل فى انفعاله ، ثم أشار بيده صارفا الخادم ، ثم راح ينظر الى الرجل فى عناء ، واخيرا قال بعد أن سعل :

— والآن ياهر ، هل لك أن تسمح بشرح هذا الدور الجنونى ؟

— لقد قدمت لاعتقالك ياهر كابتن جرانفيل .

فصاح كلايف فى انفعال وهو مايزال يقوم بدوره ليكسب الوقت :

— اعتقالى ؟. أى شيطان أنت ؟

وطرأ على ذهنه سؤال .. ترى أكان الاميرال يقوم بخدعة ؟ . إن مجيئه وحيداً دليل على أنه لايتذرع ببرهان معين .. وعلى كل حال ، فقد كانت خير وسيلة لكشف ذلك ، أن يظل كلايف قائما بدور البريك حتى النهاية المؤلمة ، فقد تحين خلال ذلك لحظة مناسبة .

ونظر الالمانى الى الساعة ثم قال :

— بعد خمس دقائق سيصل اثنان من رجالى . ولكننى فى هذه الاثناء سأطالبك بحديث خطير ياهر كابتن ، لن تفضى فيه بكل شىء .. ولكن لدينا من الوسائل مايمكننا من انتزاعه .. أيها الانجليزى القذر الحقير .

فتجاهل كلايف الاهانة ، وقال فى صوت المذهول :

— هل تسمح بان تخبرنى من أنت ، ومن تظننى ؟

— أجلس ، ولكن تذكر ان أى حركة لتناول مسدسك ستكون سببا فى أن أرديك بمسدسى .

— أعدك بذلك . فلست أود أن أصارع مجنونا يحمل سلاحا .

ثم تهالك على المقعد ببطء .. بينما جلس الاميرال على حافة مقعد آخر ، وراح يقول وهو يراقب كلايف فى حرص :

— اننى كما تعرف جيدا ، الاميرال فون كرامان ، ولسوء حظ خططك ياهر كابتن ، سبق لنا أن تقابلنا فى القطار ، حيث قدمت لك نصيحة مخلصة . ثم تقابلنا بعد ذلك ، ولكن فى ظروف أخرى ، فمنذ لقائنا فى القطار ، كنا قد حصلنا على كل المعلومات عن الهر كابتن الحاذق . . بل لقد عرفنا يوم رحيلك من لندن ، ويوم فقد رجال مباحثنا السرية آثارك . كما علمنا بالمهمة

التى أوفدك فيها الثعلب الماكر الهر كولونيل تامبلمان

وغاص قلب كلايف لذكر اسم تامبلمان ، بينما تابع الآخر حديثه . . فى صوت انخفض حتى صار همسا خشنا :

— كذلك عرفنا اليوم الذى استبدلت فيه شخصيتك بشخصية / الهر البريك فون شولتز . وكل ماأود أن اسألك الآن هو هل تقتصر على هذا ؟ . انى ارغب فى اقتناص بقية خيوط شراكك الجاسوسية . . بيدى هاتين . . وأعرض عليك مقابل هذا أن أدعك تغادر هذه البلاد سالما . .

وأحس كلايف بشعور انذره أن الغرض الحقيقى لزيارة الاميرال لم يأت بعد . . فمضى يتأمله بعينين ضيقتين . . وهو صامت راجيا أن يحمل صمته الرجل على المضى فى الحديث . وما لبث هذا أن قال فى تردد :

— ان الانكار لن يجدى ياهر كابتن ! . ان فى حوزتى اعترافا صريحا من زميلك العجوز الخائب . . المسجل .

فاغتصب كلايف ضحكة وهو يقول :

— انى ، فيما عدا اعتقادى بأنك تخطىء الظن فى أنى شخص آخر . لم أفقه شيئا من حديثك . فهو يبدو لى كالغاز وأحاج

وقوى لديه الشك فى أن الأميرال يسعى الى خداعه . فهو واثق أن فيرهاجن مهما لقى لن يقدم على الاعتراف . وعاوده اذذاك ذلك الشعور الذى تعوده فى الادغال وهو صغير . فمنعه هذا من أن يصيح مطريا فيرهاجن وأمانته .

كان الالمانى يسير وراء الأثر الصحيح ، ولكنه حتى اللحظة لم يصل الى دليل حاسم . ولذا فعليه أن يخشى أن تذيله أقل هفوة هذا الدليل . لا سيما وأن الأميرال يسعى الى حمله على ارتكاب هذه الهفوة وهو واثق أن الذى أمامه ليس غير الكابتن الانجليزى كلايف جرانفيل

وفى اللحظة التالية . عرف كلايف السبب الذى حدا بفون كرامان الى زيارته . ومدى الخوف الذى يتملك الألمانى .

— لقد تناولت عشاءك فى الليلة الماضية مع البارونة جالى فهيل . التى

تأكدت بدورها من شخصيتك الحقيقية . ولقد سلمت اليك فى المطعم أسرار احدى الشعرات . فاستطعت أن تخفيها دون أن تفطن اليك البارونة . انها شفرة لا يحق ياهر كابتن أن تمسها يدا شخص غير المانى . ثم يظل على قيد الحياة . هل رأيت ما أصاب الخائن بالأمس ؟ ان رجال البوليس الحمق لم يتصلوا بى الا بعد ظهر اليوم . فعرفت .. ولا بد انك فى هذه الساعات القلائل قد وفقت الى كشف أسرار كتاب الموت هذا . والآن أيها الانجليزى . أسلمنى هذه الشفرة فى الدقيقة الباقية وأقسم لك أن تغادر هذه البلاد سالما . فاذا رفضت فسأقوم بنفسى بتنفيذ القانون . وأقتلك كالكلب .

ومضى ذهن كلايف يعمل فى نشاط .. لقد ارتاب فيما ذكره عن رأى البارونة ، ولكنه لم يتردد فى أن يكذب ما قيل عن فيرهاجن . فقد اخطأ فون كرامان باللجوء الى مثل هذه الكذبة . ولكن . . ترى هل يجرؤ الأميرال على المضى فى خطته والقبض على الرجل الذى يظنه جاسوسا انجليزيا ؟ أى دليل حاسم يستند اليه ؟ .. إنه ولا بد يلعب خدعته فى جهاد اليائس لاسترداد الشفرة قبل أن تتداولها الايدى . واذ ذاك ، رأى كلايف أن اللحظة قد حانت للتخلص من خداع الألمانى

واعتصر قلبه خوف بارد ، اذ ذكر أن هنرى قد يصل فى أية لحظة تالية ، لا سيما وان الستائر مسدلة دلالة على ان الجو خال لها . ان عليه أن يعطى اشارة الانذار لهنرى الذى يحمل كتاب الموت ، مهما كلفه هذا من ثمن . لذلك قام من مكانه بهدوء فتمطى وقال فى استخفاف :

— حسنا ياهر اميرال ، لسوف اصحبك الى القوميسير ، ولكن . .

ولمعت عيناه فى غضب .. وتحركت يده مهددة :

— ولكننى احذرك ياهر أميرال من انى سوف اجعلك اضحوكة برلين . سوف أنشر حماقتك هذه فى الصحف الهزلية .. ان لدى آذان الصحافة . . وسأجعلك موضع هزء الجيش الألمانى . . والوطن بأسره ..

كان كلايف يدرى أن الألمانى قد يصمد لأى فضيحة ولكنه لا يصمد لما

يحقره ويحط من شأنه ويجعله اضحوكة . . لذلك امتقع وجه الاميرال وان ظلت عيناه تتبعان حركات كلايف فى كراهية وشك . . وتزايد شكه هذا حين رأى كلايف يقف الى جوار النافذة . . ويشرع فى ترتيب الستائر واحس كلايف بنوع من الدهشة اذ رأى هنرى فى الطريق . . يقفل عائدا. متجها نحو ميدان بوتانيك . لقد كان كلايف متأخرا فى اعطاء الاشارة . . فمنذا الذى حذر هنرى ؟

ولحظ فون كرامان فى سرعة ما اعترى كلايف . . فصوب عينيه الى الطريق . . وابصر هنرى فتحول الى النافذة قائلا :

— آه . . انه أحد أعوان فيرهاجن .

وفتح فون كرامان الباب فى عجلة وعنف . . ثم اسرع مندفعا وراء هنرى الغافل عما حدث . . وكانت حركة الألمانى مفاجأة سريعة . . تركت كلايف لحظة فى وجوم وجمود . حتى اذا مد يده الى جراب مسدسه وحزامه . . راح ينادى فريتز . . ولكنه ما لبث أن تذكر أن الليلة موعد ذهاب فريتز الى مخازن الجيش لاحضار المؤونة المقررة . . وفى حركة آلية وجد نفسه يقرر تتبع هنرى وفون كرامان . . اذ كان الانتظار وما يصحبه من قلق . . أمرا لا طاقة له باحتماله .

وهبط الظلام عندما تراءى لكلايف مبانى لوفين حيث العالية . ولكنه ما لبث ان أمسك نفسه عن التقدم . . اذ لاحظ أربعة من رجال البوليس السرى يراقبون البيت من كل نواحيه . . فتحول الى مقهى هادىء مقابل للبيت . . وطلب محبرة وقلما وورقا . .

وبينما كان يتصنع الانهماك فى كتابة رسالته ، راح يرقب النوافذ . كان يأمل أن يرى شبح هنرى فيطمئن . ترى هل استطاع اخفاء الشفرة الرهيبة ؟ لقد كان كلايف يعلم انه ليس ثمة ما يخشى منه غيرها ، فقد كان فيرهاجن حريصا على أن يعدم كل الرسائل بمجرد أن يستوعبها ، ثم يعتمد على ذاكرته الجبارة .

وشعر كلايف بارتياح اذ تأكد ان الاميرال انما كان يحاول خديعته .

وما لبث أن رأى باب المنزل يفتح ، وثلاثة أشخاص يغادرونه . فراح يدقق النظر اليهم ، ولكنه لم ير بينهم هنرى ، وانما رأى فون كرامان يصرف ثلاثة من رجال البوليس السرى ويأمر الرابع أن يظل فى حراسة الباب الامامى . فأدرك ان فون كرامان قد اغتصب هذا الباب عنوة ، وان أحدا من رجال البوليس لم يكن فى الداخل . والا لما ترك فون كرامان هذا الرجل للحراسة فى الخارج . لذلك أسرع فأخرج مصباحه الكهربائى الجيبى . وراح يفحص تحت المنضدة ، مسدسه الاتوماتيكى . وما لبث أن استدعى خادم المقهى فنقده أجره وانصرف .

وفى جولة قصيرة ، أصبح كلايف عند الباب الخلفى للبيت ، وقد رأى من واجبه مهما كانت الاحوال ، أن يقوم بتفتيش البيت ، وبانقاذ هنرى . ففتح بمفتاحه البـاب ، الذى أفضى به الى ردهة غير مكشوفة تمتد على أحد جانبى حديقة واسعة . وكان خبيرا بهذا الجزء من منزل فيرهاجن ، فمضى فى طريقه حتى وصل الى باب المطبخ الذى فتح لأول ضغطة منه ، فدخل كلايف فى حذر واجتاز المطبخ ، ولـكنه لم يكد يصل الى باب يفضى الى الصالة ، حتى تعثر فى مقعد مقلوب ، فتتابعت دقات قلبه ووقف ينصت ممسكا انفاسه ولـكنه لم يسمع حركة واحدة تنم عن وجود أحد .

فتحول فى حـذر نحو الصالة .. وراح يجتازها فى احتراس . لم يبد له أى صوت أو بصيص من ضوء خلال أحد الابواب .. ولأول مرة أضاء مصباحه الجيبى وفتح باب حجرة الجلوس .. فاذا بالأثاث مبعـثر . . وقد مزقت كسوة المقاعد .. وحطمت الصور وقطع الاثاث .. والقيت كلها فى وسط الحجرة . حتى ورق الحائط كان منتزعا من مكانه .

وتحول كلايف وقد ضغط على شفتيه غيظا . . فاتجه نحو حجرة مكتب فيرهاجن وفتح بابها فى بطء .. فاذا بها أتعس من سابقتها حظا .. وقد بعثرت الملفات والوثائق . ثم . وقعت عيناه على جثة هنرى .. فبدت من بين أسنانه المطبقة صيحة خافتـة . بيد أن ملامح التعس لم تبد شيئا مما لقيـه فى لحظاته الأخيرة . فقد كانت عيناه مغمضتين . وارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة .

وكان الجزء الأعلى من جسمه عاريا .. وقد القيت عليه سترة ما أن رفعها كلايف حتى تبين ندبا ممتقعة . . تنم عن أنه جلد فى وحشية فظيعة . . كما كانت ساقا السروال ممزقتين ، وقد ارتسم على الساقين نفس العلامات القاسية . وكأنما اشفقوا عليه أخيرا . إذ اكتشف كلايف تحت السترة ثقبا أحدثته رصاصة وجهت الى القلب . وفى تلك اللحظة سمع صوت سيارة تقف لدى الباب الخارجى فأطفأ مصباحه وأشهر مسدسه .. وقد خيل اليه أن القتلة قد عادوا للتمثيل بجثة هنرى . فوقف فى الصالة معتزما قتلهم . . ولكنه تمثل عينى فيرهاجن القويتين تتراءيان له فى الظلام .. وتناهت الى أذنيه اصداء صوته وهو يقول : « لا يجب أن ندع أى عاطفة أو شعور يطغى فيهدد مركزنا . . حتى الاحاسيس الشخصية . . حتى عواطفنا الخاصة . . حتى الشرف . »

وعلى الرغم منه اطاع الصدى فتقهقر الى المطبخ عندما سمع اصوات القادمين تنفذ من خلال الباب الخارجى . . وقد ادرك انهم سيدفنون الجثة . فلا يسمع عن صاحبها احد بعد ذلك . وكم دهش حين عاد الى مسكنه فوجد متاعه ممثلا به كما مثل بمتاع فيرهاجن . فلم يشأ ان يدعو فريتز . . وتهالك فى مقعد محاولا ان يفكر . . ولكن عاطفة جارفة من الثورة نحو الجنس البشرى ونحو مركزه المروع . . اجتاحته

لقد وجد نفسه وحيدا . . مضطراً الى اتباع كل الطرق . . مهما كانت غير شريفة . بل ان يتناسى كل عوامل الشرف . . وان يتخذ شخصية غيره تم . . ان يتغلب مع ذلك على مايعترضه من عقبات . . وهو الذى خلق وفى نفسه طبيعة المحارب الذى لايرهبه القتال ، والذى اعتاد ان يصارع عيانا دون حاجة الى الاختفاء . وفجأة سمع كلايف طرقة خفيفة على الباب . . حتى اذا لم يجب .. دخل فريتز فوضع على المنضدة حزمة بيضاء .. وذكر له ان اثنين من رجال البوليس اقتحما الحجرة . قبل قدومه فلم يغادرها الامنذ دقائق . فراح يتطلع الى عينى خادمه الذى مالبث ان قال وهو يحول بعينيه فى الحجرة :

— لقد عاد البحار الروسى . . الاميرال . . ثانية فأخذ يلقى بعض الاسئلة

ثم فتش هذه الحجرة . . ذاكراً أنه يبحث عن كتيب صغير . . ولكنه لم يجده . . ولقد حدث هذا المساء حين ذهبت لاحضار المؤونة ان وجدت سكرتير مسجلك البلجيكى فحذرته من الحضور هنا لوجود ذلك البروسى الكلب . ولكنه قال لى انه كان يريدك ليسلمك هذه الحزمة الصغيرة . . ورجانى ان اقدمها اليك عقب مغادرة البروسى البحار وحذرنى ان اسلمهـــا لغيرك ذاكرا انها تعادل حياتك قيمة . .

وفك كلايف فى لهفة الحزمة واخرج كتاب الشفرة المروع ثم بحث فى قلق تحت الغلاف . فاذا بتحذير كتبه هنرى بخط دقيق

« كن حذرا ! . . ان الموت سيتبع هذا الكتاب . انه آخر شفرة وضعت للبحرية الأمبراطورية الألمانية »

لقد كان هذا الكتاب كفيلا اذا ماوصل الى أيدى البحرية البريطانية . . بأن يلقى ضوءا على الحركات الألمانية فى البحار .

وتحول كلايف فقال محذرا :

— فريتز بيرجر . لقد سمعت كلماتك . . وراقبت شفتيك . أما عن هذا فلم أر أو اسمع شيئا . وكذلك يجب ان تكون أنت الآخر قد نسيت الآن كل شىء عنه . أليس كذلك ؟

— هر « هوبمان » ان عينى لم ترياً وان أذنى لم تسمعا شيئا . . لقـــد نسيت كل شىء . .

الفصل السابع عشر

السيد يهاجم . . ! !

رأى كلايف بعد عمان واربعين ساعة . . ان يذهب الى البيت رقم ٥ ف لوفين جيت . . كان فى تلك الاثناء قد بدأ يرقب باهتمام وشك حركات الاميرال الذى راح يرسل رجاله فى أثره أينما ذهب . ولكنه كان يعرف ان أوراق تحويل ملكية أملاك فون شولنز فى انتورب لابد أن تكون قد وصلت من برلين . ولذا . . فقد كان الجواب حاضرا . . اذا ماعن لأحد ان يسأله . .

عما يدعوه لزيارة فيرهاجن . .

وقاده بروت فيرهاجن فى صمت الى حجرة مكتبه . . كان البيت قد استعاد شيئا من نظامه . . وتهالك كلايف فى مقعد بينما راحت عينا فيرهاجن المتسائلتان تبحثان عن عينيه . فلم يلبث كلايف ان شرع يقص عليه الحقيقة المحضة . . فهز بروت يديه فى يأس قائلا :

— ليس لنا أن نلوم اوغاداً كهؤلاء . . ان العقول والأيدى التى تضع وتقدم على مثل هذا العمل . . موبوءة بوباء مزمن لاشفاء منه . ان الانسان لايجب ان يعده عملا فوضويا فقط . . وانما هو يدل على بعدهم عن المدنية والثقافة

انك لاتستطيع أن تعلل أعمال وغد متهوس . ولكن الامر الذى يستدعى الاشفاق حقا ياصديقى ، هو اننا نقاتل ضد شعب بأسره من متهوسى الحرب يؤازرهم جيش ضخم . وليس أمامنا لكى نلتقى واياهم سوى طريقة واحدة . أن نصمد فى قتالنا . نقابل وحشيتهم بالشجاعة . وهمجيتهم بالعزم والاصرار ودهائهم بدهاء لاينقل عنه .

ثم رفع رأسه الى كلايف قائلا :

— اننا اذا تهورنا فى كفاحنا . من أجل هنرى التعس . نلقى بأنفسنا الى يدى فون كرامان الوغد .

وأخلد فيرهاجن الى صمت عميق . كما لو أيقظ ذكر تابعه الأمين ذكريات عزيزة فى نفسه . ورأى كلايف امارات التأثر العميق على وجه الرجل فادرك وهو يتأمل وجهه فى غمرة الضوء الشاحب أن ثمة تغيراً قد اعتور نفسه وملامحه . فلم تعد تلوح على أساريره أمارات الطيبة والاشفاق بل غدا وجهه منذ تلك الساعة . جامدا كقناع من صخر . تتمثل عليه علامات الجبروت والقوة التى لاتعرف رحمة أو اشفاقا . كما أصبح يبدو فى عينيه — كلما تكلم عن خططه فيما بعد . لمقاومة العدو الغاصب — لون الدماء القانى .

وقال فيرهاجن أخيرا فى صوت رهيب :

— إن هذا الأثيم فون كرامان . يجب أن يزاح عن طريقنا

فتردد صوته فى الحجرة . وسرت أصداؤه الى أعماق كلايف فارتجف وقال معارضا : انني لن أمد يدى الى مثل هذه الجريمة ياهر فيرهاجن

— انني لن آمر بالقتل الا . . اذا وجدت أن لاملجأ لنا سواه . فان القضاء على موظف كبير قد يجلب المتاعب . وغالبا على رؤوس الابرياء . . سوف أحاول تجربة طرق اخرى .

وسادت فترة صمت . ثم قال كلايف وهو لا يكاد يسمع صوته :

— انى لا أفهم السر الذى دفع فون كرامان الى ذكر الكولونيل تامبلمان . والذى أوحى اليه بالوقت الحقيقى الذى تم فيه استبدال شخصية فون شولتز بشخصيتى

— ان فون كرامان يعرف كل دقيقة عن تامبلمان من جواسيسه فى لندن . أما عنك . . فانه مقتنع كل الاقتناع بأنك الكابتن جرانفيل . . وهو بتوفيقه بين مالديه من معلومات عنك . لم ير أكثر ملاءمة من ذلك الوقت لاتمام هذا الاستبدال .

فهز كلايف رأسه . . كان يعرف كل هذا . ولكنه سرا ذ وفق الى تحويل فيرهاجن عن أفكاره الاولى . وعاد هذا يقول :

— ان فون كرامان كما تقول ياصديقى . أقرب مايكون الى الحقيقة . وتكفى حادثة تافهة بسيطة . كى توصله الى مفتاح السر واذ ذاك يغدو خطراً داهما .

— انه يعتقد انى سعيت للحصول على الشفرة ، ولذا مضى يلوم البارونة إذ لم تفطن الى عندما حصلت على الكتيب

— آه . . وأين البارونة ؟ . هل رحلت ؟

— أجل ، سافرت الى روتردام منذ أيام ، وقد صرفت اهتمامها الى استبدال الأسرى . .

— أى ستار تختفى وراءه . . سوف نسمع عنها الكثير .

وصمت فيرهاجن برهة ثم عاد يقول :

— والآن ياصديقى ، قبل أن أمضى فى الخطة التى رسمتها للتخلص من فون كرامان يجب أن أذكر لك انى تسلمت رسالات هامة من الكولونيل تامبلمان يذكر فيها أن ثمة دسائس ومؤامرات خطيرة تدبر فى انجلترا ، ويرى أننا قد نستطيع مساعدته فى اماطة اللثام عنها . وقد بادرت فعرضت عليه مساعدتنا ، وهأنذا فى انتظار أنباء جديدة منه .. أما عن فون كرامان ، فاننا يجب أن نتخذ معه خطة هجومية ، يتم تنفيذها عن طريقك ياصديقى .

ونظر كلايف فى اصغاء واهتمام ، بينما مضى المسجل يشرح خطته :

— ستذهب الى القائد العام فتخبره بكل ماحدث ، للهم الا مايختص بهنرى ، فيجب أن تحذف من حديثك نبأ عثورك عليه ، من أجل سلامتك ولكن . . ينبغى أن تذكر كل شىء عن اهانة فون كرامان لك ، مدعيا أنك فى أول الأمر تسامحت لأن الاتهام كان زائفا ووجه اليك عن خطأ ، ولكن تماديه فى اهانتك جعلك ترى أن الامر قد تطور . وأن شرفك قد مس أو جرح ، مما دفعك الى أن تتقدم بشكواك الى قائدك ، ثم تطلب منه بعد ذلك أن يسمح لك بغسل الاهانة بدعوة فون كرامان الى المبارزة . ولا شك أن الجنرال سيرفض ، إذ أن السلطات العليا تحرم بشدة تسوية الخلافات بين الضباط بالمبارزة . وإذ ذاك تعلن اليه أنك ترضى لرد شرفك ، بما يفعله قائدك لحمايتك . من طلب التحقيق مع الاميرال لاعتدائه المباغت . وهذا مالن يرفضه الجنرال . كما سأعمد من ناحيتى فى نفس الوقت . بالاحتجاج فى شدة عن الحالة التى وجدت فيها بيتى ، وسأطلب التحرى عن مصير سكرتيرى هنرى . وطبعا ، ستتجاهل السلطات احتجاجى ، ولكن سرعان ماترتبط شكواى بشكواك إذا ماطلب قائدك التحقيق ، وإذ ذاك ترى السلطات انه قام بعمله هذا على غير أساس حاسم يستند اليه . أتفهمنى ؟

فأشرق وجه كلايف وقد راعته قوة خطة فيرهاجن . بينما عاد هذا يقول :

— أما عن الشفرة ، فان ايصالها دون امهال الى يد وزارة البحرية البريطانية ، كفيل بمضاعفة اضطراب البحرية الالمانية . ولكن ينبغى أن

تعاد الينا الشفرة فى الحال ، بعد عمل نسخة منها ، إذ أن السلطات الالمانية لن تتوانى إذا ما أحست أن الشفرة قد وقعت فى أيد أجنبية ، عن تغييرها مهما كلفها ذلك من خسائر باهظة . أما اذا أعيدت الينا الشفرة ، فسنعمل على أن نجعلهم يعثرون عليها فى مكان برىء لاتنتابه الشكوك ، بينما يغدو فى وسع بحريتكم ان تتبع التعليمات التى يسير بمقتضاها الاسطول الالمانى . كما لو كانت تقرأها فى كتاب مفتوح .. فى الوقت الذى يطمئن فيه الجميع هنا .. الى أن أحداً لم يكشف اسرارهم . لهذا .. لايجب الا نضيع لحظه واحدة . ومع اننا بعملنا هذا سنتعرض لخطر كبير .. الا انه لامناص لنا من ذلك . ولدى بين اعوانى شخص عداء يدعى جان فان كاندلير . . من البعدين عن الاوطان لأسباب خاصة . . سأعهد اليه بالشفرة . . وانا واثق من نجاحه .

استطاع كلايف ان يحظى بمقابلة خاصة مع الجنرال سيكست فون آرمين بعد أن كتب اليه شكوى طلب فيها أن يسمح له بمبارزة فون كرامان . فاهتم الجنرال بالموضوع . ورفض موافقة كلايف على تسوية النزاع بالمبارزة ذاكرا أن السلطات العليا تحرم المبارزة بين الضباط .

وطلب الجنرال فون آرمين تحقيقا دقيقا ، فما لبث ان تبين ان الاميرال لايستند الى شيء يقوى شبهاته اكثر من الشبه التام بين رجلين ككلايف والبريك . واذذاك اوقف فون كرامان عن اداء واجبات منصبه حتى تظهر نتيجة التحقيق .

كذلك سئل كلايف اسئلة دقيقة ، ولكنه استطاع ان يفلت من الموظف الذى قام بالتحقيق . اذ ذكر انه لايعرف شيئا عن الاميرال ، ولا ما دعا الى اثارة شكوكه .

ولكن انتصار كلايف كان اكبر مما تصور اذ أن فيرهاجن اعتمد كل الاعتماد على نقطة من نقط الضعف لدى الالمان . وكان رغم ماقد يعرضهما له التحقيق من خطر رهيب .. يعتمد على هذا الضعف الذى ينحصر فى مدى شعور رجال الجيش ازاء رجال البحرية فى المانيا . اذ ادرك من اول وهلة ان فون كرامان سيدان فى التحقيق . لما يعرفه من ان ضباط الجيش ينظرون

الى ضباط البحرية فى تشكك وريب . . وقد سعت السلطات العليا نفسها . . الى ارضاء رجال الجيش . . اذ رأت انه سيكبدها كثيرا ان تغضب هؤلاء الذين حازوا لهـا النصر وقاموا بالفتوحات . . من اجل رجال البحرية الذين يكادون يعتبرون عديمى الاهمية . . والذين ما كانوا الا جماعة من صائدى الأسماك تحت قيادة ضباط جهلة . . لايعادلون فى شىء رجال الجيش العظام . ثم كانت هناك الفكرة التى تؤكد ان الجيش المنتصر ما كان بحاجة الى القتال البحرى . . اذ يكفيه ما كان يحرزه من نصر فى البر . !

وكان ان استدعى الاميرال فون كرامان الى برلين . وشاء القدر الساخر ان يضطره الى الوقوف امام كلايف ليحصل على تأشيره بالسماح بالسفر . . فبدا مكفهرّ الوجه . يعض شفتيه غيظا . حتى اذا هم بمغادرة مكتب كلايف رفع يده الى السماء مهددا وهو يتمتم ببضع لعنات . . ثم قال منذرا فى صوت خافت :

— سوف نرى . . وسوف تسمع عنى ثانية أيها الكلب الانجليزى القذر !

ثم تحول . . فلم ير النظرة القاتلة التى انبعثت من عينى كلايف . .

وازددات رعاية الجنرال سيكست فون آرمين للضابط الشاب البريك فون شولتز . . لا سيما لاهتمام بعض ذوى النفوذ من المدنيين — الهركولين — به وما لبث أن وجد الفرصة تسنح لاظهار هذه الرعاية . . اذ ما وافى آخر فبراير سنة ١٩١٥ . حتى اصيب الماجورفون بيسلر — مدير الرقابة العام — بمرض خطير فنقل الى احدى مصحات برلين . وكان أن رقى الهوبتمان البريك فون شولتز — وكيل الرقابة — الى منصب المدير لمكتب الرقابة . . وما لبث أن عين فى رتبة « ماجور » .

الفصل الثامن عشر

البروفسور هانس كيرتمان

قادت خادم عريضة الوجه ضيقة العينين . . سيرجورج هارلنـد وابنته جوان الى حجرة الجلوس فى قصر باتافيـا . . واعتـذرت لهما بأن البارونة

تأخرت عن موعدها معها بضع لحظات فى المستشفى .

كان القصر واسع الارجاء . . يقع على مسافة خارج المدينة . . ويطل على ضفاف نهر الرين . وكان الجناح الذى اقتصرت البارونة الآن على الاقامة فيه مؤثثا رياش ثمين . . تجلت فيه الاناقة وحسن الذوق . .

وكان سير جورج متعبا الى أقصى حد . فقد قضى يوما صاخبا مرهقا عند أحواض ميناء روتردام . . ينتقل من مكتب الى آخر ويستمع الى الشكوى المرة . إذ كان مديرو « الخط الهولندى » يعترضون ويحتجون على القيود الشديدة التى تأخذهم بريطانيا بها . . والتى يرون انها تعطل الأعمال التجارية البسيطة التى بقيت لهم . . بيد انهم خلال هذه الشكايات ما كانو ليستطيعوا أن يخفوا عن رجل محنك كسير جورج مدى ارتياحهم الى تلك الارباح الطائلة التى يجنونها من الحمولات التى تنقلها السفن عن طريق الموانى الهولندية . . والتى كانوا يبيعونها رغم رقابة بريطانيا الشديدة . الى ألمانيا . .

وظل مدة — بعد ذلك — يذكر تلك الحركة المسرحية التى أقبلت بها صاحبة القصر الى الحجرة . فقد انتشرت الانوار فجأة تبدد ظلام الحجرة ثم أقبلت من باب ، تبين فيما بعد انه يفضى الى المكتبة ، وقد تجلى جمالها فى ملابس المساء ، وأخذت تقترب فى خطوات خفيفة ، ثم وقفت برهة ترقب جوان وقد غدا وجهها مرآة لعواطف متزاحمة .

وتبين السير جورج انها لم تعد تلك « التلميذة » الصغيرة التى عهدها بل أصبحت امرأة خبرت الدنيا وعرفت كل شؤون النساء ، حتى لقد كانت كل دقيقة فى زينتها ، تنبىء عن مدى درايتها بالتجميل .

وبينما كان يتوق الى سماع الكلمات التى ستتدفق من الشفتين العذبتين . سرى فى نفسه شعور من الريب تغلغل فى كل جسمه . ومع ذلك فقد طغى على نظراته التى كان يغمرها بها . . اعجاب اكتسح الدهشة التى ارتسمت على وجهه . . وكان له ان يعجب اذ يرى مثل هذا الوجه النضير . . بعد أن قضى يوما بأكمله فى جو مكاتب الشركات الخانق . . لم ير خلاله سوى وجوه المديرين المكفهرة التى يتمثل فيها الجشع والطمع . .

وأحست جالى فهيل الأثر الذى أحدثته عنـد دخولها فى نفس الرجل لاول وهلة فسرها هذا بينما أمسكت بيدى جوان . . وراحت تقبل وجناتها فى شوق وهى تعبر عن سرورها لرؤياها فى انجلترية تشوبها لـكنة خفيفة . ثم حولت عينيها الى سير جورج . . وتقـدمت تصافحه فى حرارة قائلة وهى تضحك :

ـــ أظن انك تلاحظ تغيرا كبيرا اعترانى . .

ـــ هذا نفس ما كنت اسائل نفسى عنه . . أهذه نفس التلميذة الصغيرة التى عرفتها منذ مدة قصيرة ؟

فأسدلت اهدابها الطويلة على عينيها وابتسمت . . بينما ظل هو برهة طويلة لايكاد يصدق انها الفتاة التى مكثت زمنا فى بيته « ابراج مارفين » لقد كان كل مافيها يكذب ذلك . .

وأحست جوان ـ فى غمرة سرورها بتلك الحفـاوة التى تلقتهما بها مضيفتهما ـ ان جالى فهيل تلعب دورا ما . فقد قالت :

ـــ انى آملة ـ لو استطاع السير جورج أن يسمح لك بمفارقته ـــ ان تمكثى معى هنا أطول مدة يمكنك مكثها . واذا شئت ياسير جورج بقيت هنا بضعة أيام . . فلدى سيارة أضعها تحت تصرفك لتحملك الى روتردام متى شئت . . وفى أى وقت ترغب . .

فأجابها : كلا . . شكرا لك . فان لدى مشاغل هامة مع أصحاب السفن وقد اتعبك اذا أقمت هنا . .

واقبلت الخادم تملن أعداد العشاء فتقدمت جوان مع جالى فهيل . وسار خلفهما السير جورج .

وراحت المرأتان تتذاكران تلك الاوقات الهانئة . وتلك الامسيات التى قضتاها معا تحت سماء انجلترا . . حين كانت قلوب الرجال هادئة . . وحين كان العالم يسير فى سلام . ثم مضت جالى تتحدث فى اسى عن زوجها البارون مطربة كرمه . . ونبله الهولندى . كما تحدثت فى حزن عن الخطأ الذى تعتقد أن الماسيا كانت تدفع العـالم اليـه وراحت فى دهاء تدخل فى روع

سامعيها أنها تميل بكل عواطفها نحو الحلفاء . ثم مضى السير جورج يحدثها عن مهمته فى هولندا وعما توصل اليه من ابحاث وبدا خلال الحديث كما لو كان الجميع قد اتفقوا على أن يتحاشوا اسم كلايف جرانفيل .. ودهشت جوان فى أول الامر . وخيل اليها أن لجالى فهيل غرضا من وراء هذا فلم يذكر الاسم الا بعد أن انتقلوا جميعاً الى المكتبة . وجلسوا أمام المدفئة . وقد تعمدت جالى فهيل أن تكون جلسة ضيفيها بحيث تبدو ملامحهما على ضوء نيران الوقد . ثم تهالكت فى المقعد متهدة فى أسى . وكانت جوان هى البادئة بالحديث اذ قالت لضيفتها مبتسمة :

— أعرف انه كان ينبغى على ان أكتب اليك قبل هـذا ياعزيزتى ولكن الامور كانت تجرى فى تطور مفاجىء . ففى اليوم السابق لرحيل كلايف . الى لندن ، تمت خطوبتنا

فظلت جالى فهيل جامدة فى مقعدها . . وقد اكتسح وجهها شحوب دونه شحوب الموتى . ولكنها تعمدت أن تمالك نفسها وصاحت :

— أوه . كم أنا مسرورة لسماع هذا ياعزيزتى جوان ، اننى أعتقد ان الكابتن كلايف من الشبان الراقين الكاملين

فقال السير جورج وقد سره أن يجد فرصة للحديث :

— ولكنه لم يلبث أن غادرنا فى ظروف غامضة . ثم لم نسمع عنه بعد ذلك فيما عدا مذكرة مقتضبة أرسلتها الينا وزارة الحربية ذاكرة أنه قد أرسل فى مهمة خاصة .. لقد حاولنا أن نستفهم من كولونيل فى لندن . . ولكن الظاهر أن هؤلاء الضباط متشابهون فى تكتمهم وصمتهم المتعمدين

ثم أضاف حين لحظ ان إحداهما لم تحاول الكلام:

— اننى أعتقد اننا سنعثر عليه يلهى بمداعبة الخيول فى جنوب فرنسا . أو يقوم بمهمة غامضة مع زنوج أفريقيا .

فقالت جالى فهيل متسائلة فى رقة :

— ولكن . ألم يكن رحيله هكذا غريبا . وقد يكون وراء المهام الخاصة أمور . .

فاجابت جوان : ان والدى أجهل منى بشؤون الجيش .

وأحست جوان بان جالى فهيل مضطربة . وان ثمة شعوراً من الانزعاج قد داخلها مذ ذكر اسم كلايف جرانفيل لأول مرة . كما انتبهت الى انها تحاول اخفاء شيء من ثورة العواطف القائمة فى نفسها ، وفطنت الى ما بدا فى كلماتها من مرارة ، عندما فوجئت بمدى ما وصل اليه الحب بين الفتاة الانجليزية الجميلة ، وكلايف جرانفيل .

وطغى على جوان شعور رهيب أوحى اليها ان ثمة خطراً داهما . وان ثمة قوى خفية مروعة تعمل ضد حبيبها ، فقررت أن تمكث فى قصر باتافيا لم تكن جالى فهيل حتى الآن قد ذكرت كلمة عن لقائها للضابط الالمانى فى بروسلز، ولذا سعت جوان بنفسها إلى التساؤل قائلة :

— ألم تقولى يا عزيزتى انك رأيت .. أظن انك كتبت الى انك قابلت شخصا يشبه كلايف فى بروسلز ؟

فأجابت جالى فهيل :

— أوه ! . أجل . لقد ألهانى السرور برؤيا كما عن هذا .

ثم أرسلت ضحكة منفعلة ، جعلت الفتاة الانجليزية تشعر انها تكذب وأحست جوان ان جالى فهيل انما سعت الى اللقاء ، من أجل هذه اللحظة فقط .. وعادت البارونة تقول :

— أجل يا عزيزتى . لقد وجدته فى مكتب باحدى الادارات ، فما كدت أراه حتى أيقنت انه الكابتن جرانفيل ، ولكننى لم ألبث ان فطنت الى استحالة هذا اليقين .

ثم تحولت لهجتها الى انذار . على الرغم منها :

— لقد حملتنى الاخطار الرهيبة التى قد يتعرض لها . . على ان اطرح هذه الفكرة من ذهنى . بل لقد حدثت الضابط عنها . . وضحك معى لهذا الخطأ الذى كدت اقع فيه . . بيد أن الشيء الذى لم استطع أن انتزعه من رأسى . . هو أن الكابتن جرانفيل والضابط الألمانى كانا شخصا واحدا .

واسرعت جوان تخفى مشاعرها عندما فطنت الى هذا الانذار وحذت

حذو ابيها الذى قال فى دهشة وهو يضحك :

— ماذا . . ! أيعمل شاب ككلايف جرانفيل جاسوسا . . وهو الذى وهب النيل منذ اللحظة الأولى من حياته .

فضحكت جوان بدورها اذ بدا لها سخف الفكرة وتساءلت فى سخرية:

— مما يؤسف له ياعزيزتى ان رجلك الغريب الذى استثار اهتمامك ، فى بروسلز . . وهى بالنسبة لنا بعيدة بعد الصحراء الكبرى . . والامكان يسرنى ان اتحدث اليه

وخطرت ببال جالى فهيل فكرة . . جعلت وجهها لبضع ثوان مسرحا لشعور خبيث خفى . . وطغت عليه اسارير الغيرة القاتلة . . ولكنها فى اللحظة التالية استعادت ابتسامتها . . وقالت فى عدم اكتراث :

— أوه . . ليس كما يتوهم المرء . ومن السهل تحقيق ذلك .

فدعاها السيرجورج الى ترك هذا الحديث الذى بدا كما لو كان من أوهام امرأة خيالية حالمة . بينما استقر رأى جوان على البقاء فى قصر باتافيا ، لتقدم المساعدة فى القسم الانجليزى من المستشفى و . . لتراقب تطور هذا السر الذى يدور حول حبيبها . . أما سير جورج ، فكان رغم مشاغله ، يسعى إلى التردد على القصر خلال الأسبوع الأول حيث كانت جالى فهيل تسعى بدورها الى أن تنفرد به .

وكان عليه أن يعود الى انجلترا فى نهاية الأسبوع . ولما كانت السفينة لن ترحل الا قبيل الغسق ، لذلك أعدت جالى فهيل وليمة عشاء صغيرة جلسوا بعدها فى المكتبة يحتسون القهوة . وفيما هم يتجاذبون الحديث طرقت الخادم الباب ، معلنة قدوم « البروفسور هانس كيرتمان » فبدا على البارونة الانزعاج والتردد، ثم لم تلبث أن تمالكت نفسها وطلبت الى الخادم أن تقوده الى الحجرة

ووقف الجميع لمدخل رجل بدين الوجه تولت جالى فهيل تقديمه إلى ضيفيها قائلة :

— البروفسور هانس كيرتمان ، من السادة الدانمركيين ، ووكيل الرئيس لجمعيتنا

ومالبث سير جورج أن انصرف واعدا جوان وجالى فهيل أن يعود بعد أسبوع . وبقيت جوان مع البارونة جالى فهيل . والبروفسور هانس كيرتمان المعروف فى ادارة المخابرات السرية الأمبراطورية باسم الأميرال . . أوتو فون كرامان !

الفصل التاسع عشر

اشارة الأصبع

كان الاثنان جالسين فى المكتبة وقد اقتربت رأساهما وراحا يتهامسان فى تآمر . وصوت « البروفسور » يرتفع من لحظة لاخرى كلما اشتد انفعاله فى لهفة مهددة .. حتى اذا وقعت عيناه على وجه البارونة الجميلة . . عاودته رقته ولطفه .

وقال « البروفسور » وهو يفرك يديه فى سرور :

— ان لدى انباء سارة هذا الصباح يابارونة . . اتذكرين تلك المخاوف التى انتابتنا لضياع كتاب الشفرة ؟ . لقد وجد الكتاب ، إذ عثر عليه فى احدى سيارات الاجرة فى بروسلز والظاهر انه ضاع عرضا . . وقد عثر عليه السائق بين مسند المقعد وظهر السيارة ، فقدمه إلى البوليس فى الحال وهذا أرسله الى مكتب المخابرات السرية . وقد بدا السائق نبيها اذ تذكر اثناء التحقيق ـ أنه أقل رجلا غريبا طويل القامة أشقر .. إلى مطعم «بانييه دور» ذات ليلة منذ أسابيع . بل لقد تذكر أن الرجل كان يتحدث فى لكنة غريبة ايضا .

وامسك برهة . . اذلمح فى الشرفة الممتدة خارج المكتبة شبحا ابيض رشيقا . . يمر فى سرعة . . فألقى على البارونة نظرة . . وقال :

— يبدو أن صديقتك الأنجليزية قد استمرأت أن تعد نفسها كما لو كانت فى بيتها . . وان تخصص معظم وقتها فى العمل بين الجرحى مواطنيها . .

فلاحت على وجه جالى فهيل سحابة غائمة وقالت :

— يلوح لى فى بعض الأحيان انها لم تعد صريحة معى كما كانت . واصبح

يبدو لى انها تتطلع وترقب . ولكن المرء فى مثل هذا العمل يتعود الشك حتى فى نفسه . . انى واهمة ولاريب .

— ولكن المرء ذا العينين يستطيع ان يرى . . ياعزيزتى البارونة . وان المرء ليرى ان ثمة شأنا بينك وبين السيد الأنجليزى سير جورج حتى أنه ليعيش من اجل عينيك وفى دفء ابتسامتك . اليست هذه الزيارة الرابعة له؟

ولكنها لم تجب توا . . بل راحت ترمقه فى حنق ثم قالت :

— ان مثل هذا الشأن — كما تسميه — يا هر أميرال ، يكون أحيانا فوزاً شخصيا . أما اذا حاول الغير المساهمة فى نصيب منه، ومن أجل الاغراض التى تسعى اليها . فانه يغدو سما قاتلا فى فمى .

— هل أتممت الاجراءات الخاصة بجواز سفرك ؟ . ان ثمة أموراً هامة فى انجلترا تتوق الى معرفتها ، وقد أصبح من العسير الآن الحصول على الاخبار والمعلومات ، اذ يبدو أن رجالنا المهرة لم يعودوا يجدون الفرص السانحة . ولكن أمامك أنت يا بارونة فرصة سانحة ، ويمكننى أن أقول لك ان مركزك الآن قد أصبح مرموقا باهتمام كبير فى الدوائر العليا ، حتى .. من الامبراطور نفسه ، الذى ..

ولكنها شهقت فى عنف ، وقاطعته محتجة :

— لا ، لا .. انى لن أضع قدمى فى انجلترا من أجل هذه الاغراض .. لقد أوشكت أن أموت خوفا منها ، ففى كل يوم يزداد قلقى ، رغم انى هنا فما بالك اذا كنت فى انجلترا ، حيث يختفى أمهر رجالك فجأة ..

فاجابها فى جفاء وبرود :

— انتا أبناء الوطن وصنيعته ، وانى اذكرك ثانية يا بارونة بأن كل ما تملكين .. هذا القصر الجميل ، تلك السيارات ، أولئك الخدم .. هذه الملابس الانيقة والحلى الغالية ، انما . .

ولكنها صاحت فى عنف :

— كفى كفى ! . أتريدنى أن أظل أبدا اذكر ان كل شىء لم يكن غير

مكافأة عن خيانتى وكذبى . وحياتى الدنيئة كجاسوسة عادية ؟ أيطلب سادتك أن تقرع سمعى كل يوم بهذا ؟.

— ان سادتى هم سادتك أيضا يا بارونة . ولسوف تطيعين . والا فان كلة واحدة تصل الى آذان البوليس الهولندى . كفيلة باعادتك الى بلادك . حيث تعرفين نوع المعاملة التى يلقاها الخائنون وضعاف النفوس .

ولبث برهة والشرر يتطاير من عينيه . ثم عاد يقول فى تلطف :

— لقد علمت الكثير مما يفيدنا من « السير » الانجليزى ، ولكن اللحظة قد حانت يابارونة ، كى تنشرى شراكك فى نطاق أكثر اتساعا .. إن سادتك يعدونك لعمل أهم ، وعليك ان تكونى متأهبة . بل ان عليك أن تصدعى بالأمر !

ثم انحنى على أذنيها ، فهمس ببضع كلمات ، صاحت بعدها :

— لا . لا . انى لن اجرأ على هذا قط .

— هناك الكثيرات من مواطناتك يابارونة ، يتمنون لو تتاح لهن هذه الفرصة فيتشبثن بها فى فرح ، وهن فخورات بان يبذلن مافى وسعهن ليساعدن على نصرة الوطن .

— لقد أصبحت أكره نفسى ، ولو لم تكن تلك ..

ثم أمسكت ، إذ أبصرت بعينى فون كرامان تنفذان الى أعماقها فتقرءان مابنفسها . وقال الاميرال بلطف :

— لعلنى أستطيع مساعدتك يابارونة !. انى أعرف سرك ، وأستطيع أن أدعوه ضعفا . ان الرجل فى بروسلز . . والآنسة الانجليزية . . هنا . . فى أيدينا . .

ثم خفض صوته حتى صار همسا ومضى يقول :

— أنا وحدى أعرف أن الرجل هو الكابتن جرانفيل الجاسوس الانجليزى . ولكنك لاتصدقين ذلك .. إذن ، فبمساعدتك وباضطرار الفتاة الانجليزية أستطيع أن اوقعه . ولكنى أهبك حياته . وأسلمه اليك .

وتوقف عن الحديث ، فتطلعت اليه مأخوذة ، بينما اخفى ذلك الخداع

الذى كان يبدو فى نظراته وعاد يقول فى حقد طاغ :

— ان الانجليزى اليوم فى مركز حصين .. كم هم حمقى اولئك الذين يتولون الأمر فى برلين . انهم يهيلون على رأسى العار . ويضعون عليه الفخار بينما يلعب بهم كما لو كانوا ألاعيب فى يد طفل . لقد فقدوا ثقتهم فى ، بينما رفعوا درجته ، إذ عرف العداء بين الجيش والبحرية فعمل على استغلاله .. لقد أهنت .. ونفيت الى هذه الحفرة .. ونسيت . ولكننى سأكشف هذه المؤامرة الهائلة .. سوف أساعدك يابارونة وعليك بدورك أن تساعدينى .

فارتجفت البارونة للنظرة المقيتة التى تجلت فى عينيه .

— إن الأوغاد فى برلين يشعرون بان ثمة تلاعبا خطيراً فى المعلومات فى بلجيكا .. وحيثما رتبت خططنا الحربية فى الغرب .. نفاجأ بعكسها .. ان أخطر أسرارنا تكشف بسهولة . وأنا وحدى الذى يعرف مبعث هذا التلاعب .. ان الأصبع تشير الى بروسلز .

وأمسك اذ انبعثت من البيانو القائم فى حجرة الجلوس ، أنغام لحن غرامى انجليزى قديم ، فرفعت حالى فهيل اصبعها إلى شفتيها .. وظلا برهة ينتظران ، ثم ارتفع صوت ناعم واضح عذب .. كانت جوان تغنى قطعة تناجى بها حبيبها الغائب .

وانبعثت من عينيه ثانية ، نظرة شريرة وهو يتأمل حالى فهيل . ثم تلاقت اعينهما .. وتبادلا نظرة تفاهم .. قصر على أسنانه .. حتى اذا انتهت الاغنية .. اشار الى حجرة الجلوس قائلا فى همس :

— وان الاصبع لتشير هناك .. فلو تمكنا من حملها على اجتياز الحدود . لكشفنا عش الدسائس والجاسوسية ..

الفصل العشرون

تحذير الكولونيل تامبلمان

بدأ النصر الذى كان يتملك الطغاة ويداعب احلامهم خلال الشهور الستة الأولى من الحرب .. يتبخر من رؤوسهم .. وأصبح بعد أن كاد العام

أن ينصرم .. ابعد مما كانوا تصورون . .

ومضى العلماء يذكرون للشعب أن الحرب ليست غير صراع للعزائم والقوى . وأن العزيمة التيوتونية هى أصلب العزائم .. وقد خص بها الله — الذى ما ظهر الا ليعمل من أجل الجنس النيوتونى !! — الألمانيين . . ليقيموا بها امبراطوريتهم القوية ! . .

ولكن الأهالى بدأوا يفطنون الى ما فى كل هذا من مبالغة . فلقد بدأت مخازن المؤن تخوى . . وأخذت الذخائر تقل رغم الكميات الهائلة التى كانت معدة منها . ولم يزد غير الجواسيس الاجانب الذين راحت السلطات، ولا سيما فى المناطق المحتلة ، تحدد أثمانا لرؤوسهم ، حتى أصبح اصطياد الجواسيس مهنة . أو لعبة مسلية . ولكن الحياة فى بروسلز ، كانت تبدو للالمان بهيجة . فقد غادرت ملاهى الليل برلين . لينعم بها المحتلون فى بروسلز . واندفع الضباط فى غرامياتهم ، وأكثروا من إقامة الحفلات لجنودهم ، وكانما كان الهدف الذى يسعى اليه الألمان ليشتهر أمرهم ، لا يتسنى الا باظهار بذخهم وترفهم فى بروسلز

واتسعت ادارة كلايف كما ازدادت أعماله ، ونقل مركز ادارته الى فندق « ريبيك » حيث خصص لسكناه — بصفته الماجور المدير لادارة الرقابة — ثلاث حجر فى أعلى الفندق . وكانت الدعاية والرقابة تسيران فى ذلك الوقت جنبا الى جنب مع سياسة السماح للزائرين الذين يسعون لمشاهدة البلاد المفتوحة جديدا . فكان هذا لصالح الدور الذى يلعبه كلايف . فاقبل يؤديه فى مجهود رائع . وكان يقابل من الصحف بالارتياح لما يمدها به من أخبار . كما كان يرضى القيادة العليا . إذ كان يسعى الى ابعاد الأخبار التى قد تقلل من قيمة هجوم جديد ، أو تقضى على الأمل فى الفوز فى غزوة قادمة . وفى نفس الوقت راح يوافى فيرهاجن « الجاسوس رقم ١ » بانباء كانت تبدو كأحاج والغاز . ولكنه كان يثق من أن تامبلمان لن يلبث أن يحلها .

أما فى أوقات الفراغ . فقد عمد كلايف الى دراسة قواعد اللغة الالمانية ولهجاتها المتعددة المتباينة

وتلقى كلايف فى تلك الأثناء أوامر لتشديد الرقابة على الزائرين . فقد بدأ المراسلون الامريكيون يشاهدون أشياء كثيرة كان يجب أن تخفى عنهم . بعد أنباء تلك الانتصارات التى كانت تسير فى ركاب الألمان أينما ذهبوا . والتى كانت تحمل الدول المحايدة على الاعجاب والتقدير . ولكن فيرهاجن ظل يتلقى التقارير من كلايف عن حركات الجيوش الالمانية فى الشرق والغرب . وتخفيف الضغط الذى كان قائما على الحدود الروسية ، وحشد قوات المدفعية فى الميدان الفرنسى ، فكانت هذه المعلومات تعبر الحدود سريعا الى تامبلمان الذى أصبح فى وسعه أن يتتبع وهو جالس الى مكتبه فى حدائق كامفورد ، حركات الجيوش الألمانية . بنفس الدقة التى كانت تتاح لأى ضابط تحت ادارة الجنرال سيكست فون آرمين

وكان كل أسف كلايف فى هذا الوقت ، يرجع الى عدم استطاعته معرفة نتيجة عمله هذا . والاطمئنان الى وصول الأنباء والتحذيرات فى موعدها المناسب . وكل ما كان يصله لم يكن يتعدى كلمة تقدير من تامبلمان من وقت الى آخر . يدرك منها نجاح احدى الضربات التى قامت على بعض أنباء يكون قد أرسلها من أسابيع سابقة . وفى أحيان أخرى . كان الكولونيل يحذر بروت فيرهاجن وكلايف من ان ثمة تلاعبا أو دسائس وقعت فى انجلترا . . وهو يعتقد ان مفتاح سرها عندهما . . وفيما عدا هذه أو تلك . . لم يكن فى وسعهما ان يعلما شيئا آخر من الكولونيل .

كانت خطط فيرهاجن واحتجاجات كلايف لدى الجنرال . . قد انتهت بنقل فون كرامان . . فاختفى نهائيا من بلجيكا . وفى نفس الوقت كانت البحرية البريطانية تتبع حركات السفن الألمانية . . وتطلع على الأوامر والتعليمات الموجهة الى كبار أعوان المانيا المنبثين فى انحاء العالم . . وتحيط علما بالأوامر الصادرة الى الغواصات فى انحاء البحار . . كل ذلك كان سهل المنال . . فى كتاب الشفرة . . الذى وفق فيرهاجن وكلايف فى ارساله الى انجلترا . .

ثم اكفهرت السماء فجأة استعداداً للصاعقة . . فأسرع فيرهاجن يدعو

كلايف الى منزله . . حيث استقبله بوجه مكفهر وقاده فى صمت الى حجرة مكتبه . . حيث بادره فى سخط :

— أخشى ان يكون كل عملنا . . وكل مابذلناه من جهود . . معرضا للخطر . . وقد يتحطم على الصخرة التى أقامها افتتان رجل أحمق بحسناء مغامرة جريئة . .

ثم قدم الى كلايف وريقة تحمل رسالة من الكولونيل تامبلمان كتبها فى حنق وغضب . وقد حل فيرهاجن رموزها . . ليتسنى لكلايف ان يقرأ ماجاء فيها :

« أى عمل شيطانى يفعله سير ج . ه . وابنته جوان فى روتردام ؟ انه يبدو مفتونا بمن تدعى البارونة جالى فهيل . . ويسعى جهده لتمكينها من الحضور الى انجلترا فى زيارة . فمن هى . ؟ ان رجالنا الحمق فى روتردام يزعمون انها تؤدى عملا جليلا لجرحانا وأسرانا . وأخشى بعد ان أفلتت من ج . ه . الى الاعداء بعض المعلومات الهامة . . ان يكون فى الأمر خدعة . حذر « ٣٣ » من ان الاميرال ف . ك . هناك متخف تحت شخصية البروفسور هانس كيرمان . واعملا ما فى وسعكما من ناحيتكما »

وأخلد كلايف الى ذهول ملك عليه حسه . . إذ علم ان جوان هارلند فى روتردام . . إذن فقد نفذت البارونة وعيدها . ولكن . . ترى ماذا تكون حركتها التالية ؟ ان جوان هارلند بريئة لاتشعر بخبث جالى فهيل وطبيعة نفسها . . وحقيقة الصلة التى بينها وبين البروفسور المزعوم .

وصاح كلايف :

— يجب ان نحذر تامبلمان فى الحال . . كى يحذر أصحابنا فى روتردام . .

— ان سير جورج وابنته لن يصدقا أى اتهام يرمى به اصدقاؤهما . . ان لك أن تحذر تامبلمان . . ولكن . .

وجلس فيرهاجن مستغرقا فى التفكير ، ثم نظر أخيرا إلى كلايف وتساءل :

— هل لك فى أن تدع لى هذه المسألة ياصديقى ؟

فأطرق كلايف ، وقد دار بخلده أن فيرهاجن ولا بد قد أعد العدة لضربة جديدة ، ولكن . . كيف ومتى ؟ . . حتى اذا تطلع الى ملامحه . . لم يلبث أن داخله الاطمئنان . .

الفصل الحادى والعشرون

خيانة ! . .

قالت جالى فهيل لجوان فى صوت حاولت أن يبدو طبيعيا هادئا :

— لقد كلفتنى الجمعية يا عزيزتى جوان . . بالقيام برحلة إلى بروسلز .

— وهل ستغيبين فى رحلتك ؟

— كلا يا عزيزتى . . انها زيارة قصيرة لن تتعدى الثلاثة أيام . .

ثم أرسلت نظرة ماكرة نحو الفتاة الانجليزيه واسترسلت :

— وسيسرنى ان ازور صديقى الغريب . .

فتغلبت جوان على عواطفها ولكن نظراتها كانت تفيض بما فى نفسها . . حين قالت :

— ولكن . . أى مشقة تعترض المرء عند اجتياز الحدود ؟

— مشقة ؟ . . انها ليست كما تظنين يا عزيزتى . . فان الناس يجتازون الحدود قادمين أو ذاهبين الى المانيا ومستعمرتها الجديدة . . أكثر من قبل . . دون أن يتعرضوا الا لرقابة خفيفة . . اذ ليس لدى الالمان — كما يقولون — شىء يخفونه عن الزائر العادى . .

— اوه ! . . اذن من الممكن ان اصحبك ؟ .

وتملكت جوان الرغبة فى أن تزور البلاد المحتلة . . وفى أن تنتهز الفرصة لترى ذلك الضابط الذى استثار اهتمام جالى فهيل . . والذى لم تكن هى أقل اهتماما بأمره . فلقد كان اختفاء كلايف الفجائى وتحذير تامبلمان وتكتمه الغريبان . . وتلك التلميحات الغامضة التى كانت تبديها جالى فهيل احيانا . . كل هذه كانت تضطرب فى نفسها . . وتجعلها فى حالة قاسية من الحيرة والشك الأليم .

فلما فاتحتها البارونة بالرحلة .. فطنت الى أنها تسعى لغاية فى نفسها .. الى أن تحملها على مواجهة ذلك الضابط الغريب فى وجودها .. أى وجود جالى فهيل .. ولكنها كانت قد ورثت روح المخاطرة والمجازفة عن أبيها .. لذلك لم تعبأ بما كانت تعرفه عن العقوبات القاسية التى يطبقها الالمان على من لا يحملون جوازات سفر صحيحة فى أرضهم .

وأجابت جالى فهيل أخيرا . فى صوت استطاعت أن تبعثه هادئا :

— طبعا ياعزيزتى .. من الممكن أن أصحبك معى . ان أباك لو حافظ على موعده لن يصل قبل يوم الاربعاء القادم .. فلدينا اذن حوالى الاسبوع . وهو وقت كاف لنذهب الى بروسلز .. فنرى ذلك الشبيه الغريب .. ونزور اثنين أو ثلاثة من المستشفيات فى مناطق القتال .. ثم نعود قبل وصول السير جورج .

— وماذا تفعلين فى أوراق وجواز السفر الذى يلزمنى ؟

فتظاهرت جالى فهيل بالاستغراق فى التفكير بضع لحظات ثم قالت :

— إن خير وسيلة ياعزيزتى .. هو أن تظهرى فى مظهر طالبة طب امريكية .. تهتم بنظام مستشفيات ميادين القتال الألمانية المنظمة .. أحسن تنظيم .. كذلك قد ينفعنا أن نثق بالبروفسور كيرتمان فقد نستطيع بواسطته أن نحصل على توصية من احدى الشخصيات الهامة .. التى تستمتع بثقة الدوائر الألمانية .. أما جواز السفر فاتركى أمره لى .

وتساءلت جوان ضاحكة عن موعد السفر فاجابت جالى فهيل :

— اننى أستطيع الحصول على الجواز .. بعد ظهر اليوم .. وإذ ذاك نعد العدة للرحيل غدا .. ومن المستحسن أن يظل اسمك هو . جوان هارلند .. طالبة طب .. من مواليد مدينة بوستن .. بالولايات المتحدة .

جلست جوان فى تلك الليلة . فى حجرة نومها المطلة على احدى الحدائق الغناء الممتدة على ضفاف الرين .. مخلدة الى التفكير .. كان تحلم بحبيبها كلايف وتستعيد ذكرياها معه فى «ابراج مارفين» . وعاودها حنين جعلها تعتزم العودة إلى قصرها .. عقب رجوعها من الرحلة .. كى تبذل جهودها فى وطنها

لانشاء مستشفى انجليزى .و.. كى تنتظر فى صبر وشجاعة .. كما يفعل أولئك الجنود الاسرى الجرحى .. الذين يستثيرون عطفها .. حتى يعود خطيبها .

وتحولت جوان تفكر فى رحلة الغد المشوقة ، فما لبثت أن تملكها الهواجس .. حتى اضطرتها الى التخلص من التفكير فى هذه الرحلة باللجوء إلى النوم .

ولكنها ما لبثت أن استيقظت فى ساعة متأخرة من الليل .. ففتحت عينيها لترى الظلام يحوطها .. وعجبت فى نفسها .. ما الذى طرد النوم عن جفنيها ..

كانت قد اغلقت النافذة بالليل .. اذ شعرت برطوبة الجو . ولكنها الآن تحس بنسمة باردة تهب من ناحية النافذة .. فنظرت اليها فى حذر .. ورغم أن الفجر لم يك بعد قد تبدى .. الا أنها أدركت أن عينيها تمتدان فى الفضاء كانت النافذ مفتوحة على مصراعيها ! ..

وسرت فى جسمها قشعريرة مروعة ، اذ أحست بانفاس تقترب من فراشها .. فراحت تتكمش كلما ازداد اقترابها . ثم كتمت صرخة كادت تفلت منها .. وتساءلت فى صوت تعمدت أن يكون هادئا قدر امكانها :

— من هناك ؟. ماذا تريد ؟

فأجابها صوت هامس مألوف لسمعها :

— صه !. صه يافراولين .. أرجوك .. لاتضيئى النور ولا تخافى فأنا هيلجا .

وأدركت جوان أن الصوت لهيلجا . الخادم ذات الوجه الممتلىء والعينين الضيقتين . وتولاها العجب .. فقد كان الخدم منذ اقتصر سكن البارونة على جناح واحد من القصر .. ينامون فى بناء خاص فى طرف الحديقة منفصل تماما عن بناء القصر . كانت نافذة حجرة جوان مرتفعة عن الشرفة .. فلا يمكن تسلقها بسهولة .

وأحست جوان يد تقبض على ذراعها فى رقة .. ثم همست هيلجا :

— يجب أن تتكلم فى حذر وخفوت يافراولين .. فان سيدتى البارونة

تنام فى الحجرة المجاورة .

— وماذا يدفعك ياهيلجا إلى أن تسعى لمثل هذا الحديث ؟

— ان الفراولين مقبلة فى الغد على رحلة خطرة .. اليس كذلك ؟

— ولم ترينها خطرة ياهيلجا ؟

— لانها يافراولين محفوفة باخطار مهلكة .. وخير لكل من يحب الفراولين . أن تحملها مكانته عندها على أن تعتذر غدا .. ولو بادعاء المرض ..

— أعتذر .. ولم ياهيلجا ؟. ماعده المعميات ؟ . وكيف تسنى لك أن تعرفى أنا سنرحل ؟

— ان المرء لايجهل مثل هذه الأشياء . . ولكن يجب أن تدركى يافراولين أن دخول بلاد البلجيك بهذا الجواز الزائف يعرضك للموت . لاسيما وأنت من رعايا العدو . . صدقينى اذا قلت إن الألمان فى بلجيكا كالنمر المتحفز للافتراس . فاذا ما اكتشفوا أمرك فسوف يعدونك جاسوسة خطرة . وهم فى مثل هذه الحال لايعرفون للرحمة معنى .

— ولكن .. اذا كنت تعرفين سببا حقيقيا يدعوك الى عدم الرحيل فلماذا لاتصارحينى به ؟

— فراولين .. انى بتحذيرى لك انما أصدع باوامر ألقيت الىّ .. ولا يجب أن يعلم أحد غيرك بهذا . لست أعرف السبب الذى عنه تسألين . ولكننى أكتفى بان اذكر لك أن أحدا لو رآنى هنا . لفقدت كل أمل فى الحياة . فهل فهمت ما أعنى ؟

— انى أشكرك ياهيلجا .. ولكن ماقلته لن يثنينى عن السفر . وان كنت لن أنسى كلماتك . بل إن تحذيرك يزيدنى اصرارا

وسمعت جوان شهقة تندو عن هيلجا . التى بدت مشدوهة مذهولة . وإن كانت فى الواقع تتذكر بقية رسالتها .. وتساءلت جوان:

— ولكنك المانية ؟ . ألست كذلك ؟

— لايهمك يافراولين من أكون وما قد تكون جنسيتى . ولكننى

أمرت بان أبلغك هذا .

وشدت قبضتها على ذراع جوان وهى تتابع حديثها :

— يجب أن تكتمى هذا . وإذا كنت لا أستطيع منعك من الرحيل ، فارجو أن تذكرى وتكتمى أيضا اسم من تستطيعين الاعتماد عليه .. لاتثقى بغير ذلك الذى يتقدم اليك ويذكر الرقم «٣٣» الذى ينطق هكذا . « ثلاثة — ثلاثة » فاذا سمعت الرقم . فافعلى ماعلى عليك دون تردد أو سؤال . . إن الفراولين تستطيع أن تفهم انى أفعل ذلك من أجلها ومن أجل من تحب . ولذا فلا ينبغى أن تذكر حرفا للبارونة

— أعدك أننى سأنسى كل هذا أمام سيدتك

— فلتحرسك العذراء

وفى صمت تحول شبح الوصيفة مختفيا

وفى الصباح أعدت هيلجا طعام الافطار . دون أن يبدو عليها شىء ينم عما حدث فى الليلة الماضية

وقالت البارونة فى عدم اكتراث متعمد :

— سنذهب اليوم الى روتردام ياهيلجا . . ثم نغادرها الى الهاى . . وقد نذهب الى امستردام أيضا . ولذا فلا ينتظر أن نعود قبل بضعة ايام

— حسنا ياسيدتى

واذ انصرفت الوصيفة . قالت جالى فهيل :

— انك فى هذه المغامرة امريكية من بوستن . تدرس نظم المستشفيات الاقتصادية .. وتنزل خلال رحلتها فى اوربا على مستشفاى هنا . ولابد من أن تتوق الى زيارة مستشفيات الميادين الالمانية . وقد أعددت ساعتين لهذا الغرض .

فهزت جوان رأسها مبتسمة وهى تفحص ذلك الجواز الزائف . . الذى لم تذكر جالى فهيل أن فون كرامان قد أمضى ثلاثة ايام فى اعداده . والذى أودع كل سطر فيه كراهية مقيتة . اذ حرص على ان لاتستفيد به جوان فى بروسار اكثر من بضع ساعات . ثم . . تبدأ بعد ذلك خططه

التى وضعها فى مكر ودهاء . والتى كتمها عن البارونة . . اذ ما كان ليثق فى النساء .

واقل القطار المرأتين الشابتين الى قرية « ايستن » على الحدود البلجيكية حيث امر المسافرون بالهبوط لفحص جوازاتهم . . فى كوخ خشبى كبير اعد لحرس الحدود الألمانى .

ولاحظت الفتاة الأنجليزية ما كان يبدو من جمود على وجوه الألمان من عسكريين ومدنيين . كما راحت ترقب البارونة وتلاحظ مابدا عليها من طمأنينة وثقة بنفسها . واخذ احد الضباط يفحص جوازيهما فى دقة ثم مالبث أن دعاهما الى حجرة داخلية . . حيث تولى ضابط آخر سؤال جوان فى تدقيق . وفى انجليزية ركيكة . اتاحت لجالى فهيل ان تتدخل فى التحقيق حتى اذا انتهى الضابط اعاد الجوازين الى فهيل فى احترام بالغ . . ثم ضم كعبيه وانحنى للمسافرتين اللتين عادتا الى القطار . ولبث هذا بعد فترة انتظار طويلة . ان تحرك متخذا طريقه فى المنطقة الممنوعة . فقالت البارونة :

— لاتتكلمى بالأنجليزية ياعزيزتى . . حتى يستطيع كل شخص ان يفهم حديثنا . فان الألمانيين فى منطقة الحدود شديدو الشك . ولذا لاينبغى أن نظهر مايثير شبهاتهم . . سأوجه اليك الحديث بالألمانية ، فاذا تعذرت عليك الاجابة . . فلتكتفى بالاشارة .

ووصلتا أخيرا الى بروسلز . وأفلحتا فى الخروج من المحطة المراقبة . حتى اذا وصلتا الى الطريق . تنهدت جالى فهيل فى ارتياح . وتحولت الى جوان قائلة فى انجليزية :

— انى مسرورة اذ تخلصنا من هذه العقبات

وكانت حريصة . اذ تكلمت فى صوت منخفض لم يصل الى أذنى شاب فى ملابس ضباط الصف . كان يقف قريبا من الرصيف . وقد لحظت جوان النظرات المتشككة المرتابة التى كان يرمق بها جالى فهيل . حتى اذا تقدمت هذه مع جوان الى مركبة الترام عند قدومها . بدا على ضابط الصف كما لو كان هو الآخر ينتظر نفس الترام . فجلس قريبا منهما . وراح ينصت فى اهتمام .

حين قالت :

— علينا الآن أن نزور ادارة الحاكم العام . لنحصل على تصريح لك بالنزول فى الفندق

واذ وقف الترام فى شارع اربنبرج . هبطت الاثنتان . وقبل أن تصلا إلى أبواب الادارة . اقترب منهما سابط الصف . الذى هبط فى أثرهما . وطلب الى جالى فهيل أن تطلعه على جوازها . ولما كانت تعرف ان لا جدوى من الاحتجاج . اكتفت بأن رمقته بنظرة مقيتة . وقدمت اليه الجواز . ففحصه فى اهتمام وسط الطريق . ثم أعاده اليها وهو ينحنى معتذرا : معذرة ياسيدتى البارونة فقد سمعتك تتحدثين بالانجليزية ولعل الفراولين . . .

وتحول الى جوان . فقالت البارونة فى حدة :

— ان الفراولين أمريكية ياهر . . وهى تقوم بزيارة لمصحاتنا

فانحنى وحياهما . ثم انصرف . بينما تقدمت الاثنتان الى مكتب حاكم المدينة العسكرى . الذى كان لطيفا معهما . فسمح لهما بشقة كاملة فى فندق « جراند سنترال » . فما أن استقرتا فى حجراتهما . حتى تنفستا فى ارتياح وهناء . بيد أن جالى فهيل كانت قلقة تفكر . إذ كان عليها أن تذهب الى مكتب المخابرات السرية حيث لايجوز لها أن تصحب الفتاة الانجليزية

لذلك لم تلبث أن قالت لجوان انها ستذهب لزيارة احدى صديقاتها وتساءلت عما اذا كان يضيرها أن تنتظر فى الفندق . فاجابتها جوان بانها تفضل البقاء اذ أنها فى حاجة الى الراحة .

وأحست جوان بارتياح لانصراف جالى فهيل . فقد بدأت تشعر أن ثمة وهنا يصيب صداقتهما . الصداقة التى نشأت بدافع من الشعور بالاعتراف بالجميل من جالى فهيل . ومن العطف والمروءة نحو فتاة أجنبية وحيدة . من ناحية جوان . خلال أيام دراستهما .. وأحست جوان أثناء اقامتها فى باتافيا بيقين راح يزداد يوما بعد يوم . فى ان البارونة لا تقيم فى هولندا . الا لسبب قاهر . والا لتقوم بدور يرمى الى غرض خفى بعيد .

ومر أكثر من ساعتين قبل أن تعود جالى فهيل من مكتب المخابرات

السرية . فما أن ولجت الحجرات ، حتى أدهشها أن تتحقق من أنها خالية . وان جوان هارلند قد خرجت ! .

وجلست تعانى حمى القلق . ثم أرسلت تسأل حارس الفندق . ولكن الجواب أتاها بان أحدا من الخدم لم ير « الفراولين » . وظلت تنتظر حتى هبط الليل . فلم تفطن للظلام الذى أحاطها وهى جالسة تنتظر فى قلق . وقد اكفهر وجهها . ولكن جوان هارلند لم تعد . كانت الانجليزية قد اختفت تماما ! .

ومضت تتساءل .. هل نفذ فون كرامان خطته قبل الموعد المحدد ؟.. وأخذ قلقها يزداد كلما مضى الوقت . لقد كانت ترغب فى أن تستبق الفتاة الانجليزية حتى تحقق خططها . ولكنها لم تأبه لسلامة جوان . وعادت تتساءل . . أيكون فون كرامان قد فقد ثقته فى زميلته فى المؤامرة ولكنها نحت عنها هذه الفكرة . فقد كانت على دراية بطرقه . ولو انه فعل ذلك لكان ينبغى أن تجد على ابواب الشقة التى احتلتاها . اثنين من رجال البوليس السرى يقومان بالحراسة حتى ينتهى التحقيق .

وعاودتها هواجسها . ايكون البريك فون شولتز مدير الرقابة . هو حقا الكابتن كلايف جرانفيل ؟ ان الانجليز مهرة أذكياء . فهل يكون قد فطن الى الخيانة والخديعة اللتين تدبران لجوان هارلند ؟ . وهل استطاع فى الفترة التى قضتها فى الخارج . أن يبعد الانجليزية فى سلام ؟ ولكن .. كيف تسنى له ؟ .. كيف ؟ .

وسرت فى جسدها قشعريرة باردة اذ تمثلت فى الظلام عينى فون كرامان الملتهبتين بنيران الحقد والمقت .. ثم قامت تتخبط فى الظلام نحو الباب فما بلغته حتى تهالكت بين ذراعى ضابط ألمانى . وقد كاد يغمى عليها

ورفعت عينيها الى وجه ذلك القادم .. وعلى خيوط النور الضئيلة المتسربة من الردهة . . التقت عيناها بعينى مدير الرقابة . . المفعمتين بالتساؤل .

وفى مجهود . . هدأ كلايف جرانفيل من روعه . . بينما كانت عيناها تطوفان بالحجرة . . تبحثان فى لهفة عن . . حبيبته جوان .

الفصل الثانى والعشرون

ضربة خاطئة .

اعتاد كلايف مساء كل يوم . ان يتصل تليفونيا بالهوبتمان مانفريد ستيبر . . حاكم بروسلز العسكرى . . ليتلقى منه تقريرا عن حوادث اليوم فكان الهوبتمان ستيبر ينتهز هذه الفرصة ليتبادل وكلايف بعض الحديث فقد قامت بين الاثنين . . منذ اليوم الذى تقدم فيه كلايف نفسه كسيد وضابط المانى . . الى السلطات الالمانية . . صداقة متينة . . راح كلايف يرعاها ويزيد من توطدها . . لما كانت تمده به من معلومات وتعليقات كثيرا ما كان الماجور الالمانى يفضى بها دون حذر أو قصد .

وكان على الزائرين لبروسلز أن يتصلوا عند قدومهم بمكتب حاكم المدينة العسكرى . . كى يحصلوا على بطاقات يسمح لهم بمقتضاها بالاقامة . فاذا شاءوا أن يتوغلوا فى البلاد المحتلة . . كان عليهم أن يحصلوا على تصريح من مدير الرقابة . الذى كان بحكم عمله يشرف على مراقبة الجاسوسية فى البلاد . وكانت النظم الجديدة . . تضع المحايدين تحت مراقبة شديدة . . وتقيم فى وجوههم العراقيل . ولكن . . كان يسمح لهم بالسفر داخل البلاد ، فى حالة تعاملهم فى شؤون تجارية أو عملية مع بعض المواطنين ، أو اذا كانوا من القائمين بجهود انسانية للتخفيف من ويلات الحرب . وكان من مهام حاكم المدينة العسكرى أن يقدم لكلايف كل مساء اسماء هؤلاء القادمين من الخارج ، وان يعين من يحتمل منهم ان يواصلوا سفرهم فى المناطق المحتلة.

فى اليوم الذى وصلت فيه البارونة وجوان هارلند الى بوستن . . مضى الحاكم العسكرى يملى على كلايف تقريره اليه عن الوافدين فى ذلك اليوم . . ضاحكا بين الفترة والاخرى كلما سنحت المناسبة ليرسل احدى نكاته . حتى قال أخيرا :

— هل هناك أشخاص آخرون سأضطر لاستقبالهم غدا

— . . وسترورك غدا سيدتان قدمتا من هولندا وسمحت لهما بشقة كاملة

فى فندق « جراند سنترال » وعليك أن تعين لها خير مستشفياتنا فى البادين لانهما مهتمان بدراسة نظم مستشفياتنا . وتحمل كلتا هما توصيات . . ولكن صدقنى أنهما لم تكونا بحاجة اليها . . اذ أن جمالهما كفيل بأن يفتح الطريق أمامهما . . واحداهما البارونة جالى فهيل . . التى عرفناها من قبل . . ولكننى أكثر اعجابا بالأخرى . . انها فتاة امريكية . .

وفى اللحظة التالية . . احس كلايف بقلبه يقفز من صدره وهو يسمع أسمها :

— . . من النوع الذى احبه واعجب به . . أما اسمها . . فهو جوان هارلند ، من بوستن بالولايات المتحدة .

وأسرع كلايف يعتذر عن الاستماع لبقية التقرير . . بأن بعض مرؤوسيه قد نفذوا الى مكتبه لبعض الاعمال . . ووضع « السماعة » وقد أوشكت يده . . لفرط اضطرابه . . أن تعجز عن حملها . ثم ألقى بعض الاوامر الى موظفى مكتبه . واختطف خوذته . . واندفع خارجا الى فندق « جراند سنترال » . .

فلما أضاءت جالى فهيل الانوار . . رآها كلايف ترتجف . فراحت عيناه تنفذان الى أعماقها . . وإن تعمد أن يبدو هادئا . . وأن يسيطر على ملامحه حتى لاتنم عما بنفسه . وقال وهو ينحنى على يدها يقبلها :

— كم سررت ياسيدتى البارونة . . حين ذكر صديقى حاكم المدينة انك قد شرفتنا بزيارة ثانية . . فلم اشأ ان أضيع لحظة . . دون الاستمتاع بصحبتك .

ولاحظ انها — لسبب ما — فى أقصى حالات الاضطراب . . فشاء ان يترك لها فرصة كى تتمالك نفسها . . وحول عينيه بحثا عن حبيبته . . بيد انه لم ير لجوان هارلند أثرا . فعاد يقول :

— لقد أخبرنى الماجور الحاكم انك قد اصطحبت فى زيارتك صديقة لك . . فأحببنا ان ندعوكما لتناول العشاء معى .

فارتسمت على شفتى البارونة ابتسامة باهتة وقالت :

— أجل . . انها أمريكية . . لاتكاد تستقر . . فقد خرجت لشراء بعض الاشياء . ان الانسان ليعجب لتصرفات هؤلاء الامريكيين .

— ولكن . . لقد أغلقت المحال منذ وقت طويل . . كما فات الوقت الذى يسمح فيه للاهالى بالمرور فى الطرقات . . ولابد من أن تستوقفها داوريات العسس .

وراحت جالى فهيل تفكر فى عجلة للتخلص من هذا الزائر . . إذ خشيت أن تعود الفتاة فى أية لحظة . . فيتحرج موقفها لتلاقى الاثنين . . لاسيما اذا كانت شخصية الضابط . . هى تلك التى يعتقدها الاميرال .

وتراءى لها وجه فون كرامان الحقود . . فأرسل فى نفسها شيئا من التشجيع اليائس . فقالت :

— انى أتوقع أن تصل سالمة ياهر ماجور . . ولسوف يكون لنا الحظ غدا فى زيارتك . أما الليلة . . فأنا متعبة مرهقة . .

ومضى يفكر . . هل ثمة نفع يستطيع استغلاله من لقاء جوان هنا ؟ . وهل هذا هو ما أدركته جالى فهيل فحاولت أن تحمله على الانصراف من أجله؟

ولكنه لم يجد حجة للبقاء بعد حديث البارونة ، فقرر أن ينصرف على أن يبقى فى ردهة الفندق يرتقب عودة جوان . ولكنه اذ هم بذلك . . سمع وقع أقدام . . وارتسمت على وجه البارونة أمارات الفزع والرعب ، بينما تعالى صوت طرقات على الباب حتى اذا دعت البارونة الطارق الى الدخول ظهر فى المدخل رجلان أدرك كلايف انهما من رجال البوليس السرى . . وتقدما فاديا له التحية . ثم تحولا الى البارونة . . وطرأت على ذهن كلايف وجالى فهيل فكرة واحدة . . بينما تقدم احد الرجلين . . فأخرج من جيبه وريقة وقال :

— هل أنت ياسيدتى البارونة جالى فهيل ؟

— أجل ياهر .

— اذن . فلست أنت ياسيدتى من أردنا لقاءها . بل هى الفراولين التى

صحبتك فى رحلتك . واسمها . الفراولين جوان هارلند . فاننا موفدان لاصطحابها الى مكتب القوميسير . اذ أن ثمة شبهات حول جواز سفرها

— انى آسفة ياهر . لقد خرجت الفراولين بعد الغروب . ولم تعد حتى الآن . مما جعلنى — أنا كذلك — أشعر بالقلق

فرفع الرجلان أعينهما دهشة . ودق أحدهما الأرض بقدمه بينما قال الآخر : لعل احدى الداوريات اعتقلتها .

فهزت جالى فهيل رأسها وقالت :

— لا أظن ياهر . والا لاتصل البوليس بى لأتعرف عليها

ولكن الرجلين لم يقنعا . بل راحا يستكملان أداء واجبهما . فألقيا عليها بضعة أسئلة . أجابت عنها فى صدق أدركه كلايف فشعر بمدى قلقها واستيائها بدورها لاختفاء جوان . وما لبث كلايف ان استأذن منصرفا . وهو يعتزم الانتظار فى ردهة الفندق .. على أمل ان تعود جوان بمعجزة من المعجزات

وتبعه الرجل الذى تولى سؤال البارونة . . فلحق به فى الردهة وقال معتذرا :

— معذرة ياهر ماجور . . إذ أزعجناك . ولكنه الواجب . . فان لدينا أنباء سيئة عن الفراولين . وقد تلقينا من هولندا انذاراً من أجلها . إذ أن هناك شبهات قوية فى أنها جاسوسة انجليزية خطيرة . . تحمل جواز زائفا

الفصل الثالث والعشرون

خيبة المتآمرين !

ظلت جالى فهيل طيلة الليل قلقة تنتابها الهواجس إذ لم يصلها خبر من البوليس السرى .. ولم يستقبل سجن المانى جوان هارلند . مما جعل البارونة تعتقد أنها ولا بد قد وقعت فى أيدى بعض الاصدقاء الذين حذروها . وعملوا على انقاذها

ولكن .. كيف تم هذا ؟ . وأين فى مثل هذه البلاد المحتلة . المراقبة .. التى فرض المحتلون عليها حراسة قوية . تجد الفتاة الانجليزية ملجأ ؟ ..

لقد تحققت جالى فهيل أن مدير الرقابة لاعلاقة له باختفاء رفيقتها . ولو صح أنها تجيد قراءة الافكار . فانها لم تخرج من محاولة قراءة أفكاره . إلا بانه هو الآخر مثلها يتخبط فى دياجير الظلام . ولكنها لم ترتح رغم هذه الخواطر . إذ آلمها أن تحس بالخيبة لنجاة جوان هارلند

ولم تجد خلال افكارها المتتالية ، خيراً من ان تعود فتستشير فون كرامان فما لم تتلق حتى الصباح التالى نبأ عن الفتاة ، قررت ان تسافر الى روتردام وان كانت ستتعرض لغضب زميلها فى المؤامرة . فاستقلت القطار فى الحال ، مهملة موعدها لزيارة ادارة الرقابة ، وعادت الى قصر باتافيا . بيد انها مابلغته ، حتى فارقتها شجاعتها ، ورأت أن تؤجل مقابلة فون كرامان حتى تتمالك نفسها . وتجمع أطراف شجاعتها ، ولذا أمرت هيلجا بأن لاتدع أحدا يزعج راحتها .

كان فون كرامان هو الآخر قلقا يتلهف على الاخبار . فلما لم يصله من جالى فهيل شىء . اتصل تليفونيا بالقصر وسأل الخادم عما اذا كانت قد تلقت شيئا من أنباء سيدتها . فاجابته هذه بانها عادت ، ولكنها مريضة ولا تستطيع أن تتحدث الى أحد . أو أن تستقبل زائرا . بيد أنه وجد نفسه مطية للشك اذ تلقى رسالة غامضة من بروسلز تقول إن التحذير الذى أرسله من أجل الجاسوسة الانجليزية لم يجد شيئا ، إذ اختفت الفتاة فجأة كما لو كانت قد تبخرت فى الهواء ، وأن البارونة عادت الى هولندا وحدها ، فهاجت ثائرته ومضى يسائل نفسه . هل خدعته البارونة ؟ . ماذا حدث ؟. وأين ذهبت الفتاة الانجليزية ؟. ثم أسرع الى القصر وأصر على مقابلة البارونة . بيد أن هيلجا منعته فى حزم حتى تشفى سيدتها

وفى اليوم التالى ، ذهب الى القصر وهو مايزال فى سورة الغضب فاقتيد الى حجرة المكتبة ، حيث قابلته جالى فهيل بوجه شاحب ، فاجابت نظرته الصامتة المنذرة ، بنظرة خوف واستكانة . ثم مالبث أن قال فى صوت أجش:

— حسنا .. ماذا فعلت ؟

فاجابته بصوت خافت ، وإن بدا فى عينيها التحدى ، إذ لاحظت أصابعه

تتحرك فى عصبية وتشنج ، كما لو كانت تسعى الى الضغط على رقبتها :

— لست أدرى ماحدث

ولاحظت أن الغضب يوشك أن يفضى به الى الجنون ، فقد تحطمت أحلامه فى الانتقام ، فراح يرمقها فى سخط وهو يصر على أسنانه ، بينما كانت ذقناه ترتجفان لفرط الانفعال ، وازداد تشنج أصابعه وكأنما كانت تمتد الى حلقها ، فصاحت فى رعب . ولكنه قام نحوها وأمسك برسغيها قائلا :

— والآن .. الى بالحقيقة .. والا فسأنتزعها من حلقك غصبا .

وجمدت فى مقعدها وهى ترتجف . . وحاولت عبثا أن تجمع أفكارها ، وان تستعيد جلدها ، وأخيرا قالت متلعثمة :

— سأخبرك بكل شىء ، فهدىء روعك .. سأخبرك بكل ما أعلم

— دون أى مراوغة أو محاولة من محاولاتك النسائية الكاذبة

— لقد تركت الفراولين الانجليزية فى الفندق ، ريثما ذهبت لاقدم تقريرى لمكتب رقم ٤ . ولما عدت .. لم أجدها . واقسم أن أحدا غير حاكم المدينة العسكرى لم يعلم بوصولنا .

— والانجليزى . . ذلك الجاسوس الخبيث القذر ؟

— اذا كنت تعنى الماجور فون شولتز مدير الرقابة ، فهو لم يعلم شيئا . ولكننى رأيته بعد عودتى من مكتب رقم ٤ مباشرة . . فاقتنعت بانه كان مثلى فى حيرة وذهول لا يعرف شيئا .

وتهالك فون كرمان فى مقعده وقد انحنى رأسه حتى مس ذقنه صدره . . كان يعلم أن جالى فهيل انما ذكرت الحقيقة . ولكنها ما كانت لتدرك العذاب الذى راحت روحه تصلاه ، فقد كان يضع كل آماله فى تلك الخطة ، بل كان يعلق عليها كل جهوده لاستعادة مركزه السابق . اذ كان يسعى للانتقام بعد هزيمته أمام كلايف ولذا قرر أن يوقع بالفتاة الأنجليزية فى خطر يحمل الأنجليزى على أن يمديده لانقاذها . وإذذاك تسنح له الفرصة كى يكشف حقيقته ، ويستعيد مركزه .

ورفع رأسه ، فأرسل تنهدة حارة ، ثم ساءل نفسه . . وما العمل الآن ؟

واجابته الوصيفة هيلجا ، إذقرعت باب المكتبة ، فدعتها جالى فهيل للدخول . ولكنها عندما دخلت نظرت فى صمت إلى فون كرامان . بيد أن سيدتها أمرتها بالكلام وإذذاك قالت :

— هناك من يطلبك فى التليفون ياسيدتى .

— من هو ياهيلجا؟

ولكنها لم تنتظر الجواب ، فقد دفعتها لهجة الوصيفة إلى أن تتجه نحو الباب حتى اذا اقتربت من الوصيفة ، تمتمت هذه باسم المتكلم . . ولكن أذن فون كرامان التقطته ، فلم يستطع أن يكبح دهشته اوان يمنع نفسه من من يقفز عن مقعده ،ويتبع جالى فهيل ، الق اشارت اليه تحذره ان يتكلم واذ رفعت السماعة الى اذنها وانصرفت الخادمة ، سألها فون كرامان هامسا :

— اهى الفتاة الانجليزية ؟

فهزت جالى فهيل رأسها مجيبة .

الفصل الرابع والعشرون

فرار . .

عندما غادرت جالى فهيل فندق « جراند سنترال » استلقت جوان فوق اريكة وثيرة ، وراحت تفكر فى حوادث اليوم ، وقد خف عنها، اذ وجدت نفسها وحيدة آمنة بين جدران اربعة ـ بعض الضيق الذى كان يتملكها . لقد داخلها الشك الملح عدة مرات خلال سفرها . وتملكتها . احاسيس حارت فى وصفها . ولكنها رغم ذلك كانت مأخوذة بشئ من الشوق وحب المغامرة

كانت تشعر مذ غادرت لندن قبل ذلك ببضعة اسابيع قلائل ، انها تسبح فى دنيا غامضة ، من الدسائس . وقد كان لعملها فى المستشفى القائمة فى قصر البارونة جالى فهيل اثر فى تحويل افكارها عن البارونة . . وتغييرها .

وغاصت فى مكانها ، ثم مضت تحلل مشاعرها .. ترى ما الذى ستتكشف عنه زيارة الغد ؟ .. هل يتكشف الضابط الذى اثار اهتمام جالى فهيل ، عن شخصية حبيبها كلايف جرانفيل ؟ ..

وراحت وهى شبه حالمة تغالب النعاس ، تذكره فى ذلك اليوم من ايام الصيف فى قصر « ابراج مارفين » . .

وفجأة . وثبت واقفة وقد رأت امامها شخصا غجيلا ، فأخذت تفرك عينها ، كما لو كانت تخال نفسها فى حلم بينما قال الرجل :

— ارجو أن تصفحى عنى يامس هارلند ، فقد طرقت الباب مرتين وأدهشتها لهجته الانجليزية الراقية ، فتساءلت :

— ماذا تريد من فضلك ؟

— انى هنا فى مسألة موت أو حياة يامس هارلد .. حياتك وربما . . لا ، بل وبكل تأكيد حياة شخص تعزينه وتحبينه . ان اسمى .. فيرهاجن .

فأخذت جوان تحدق فى ذلك الوجه النحيل ذى العينين الحادتين القويتى التأثير ، واللتين طغت عليهما نظرة رقيقة وهما تتأملان الانجليزية الجميلة ، الجالسة فى غمرة الحيرة والذهول . وقالت جوان أخيرا متلعثمة :

— إنها طريقة غريبة يامستر فيرهاجن .. أن تقتحم حجرتى .

— عذرى الوحيد هو خوفى على سلامتك يامس هارلند .. ارجو أن لا تنزعجى ، ولكنى مضطر إلى الكلام بصراحة قاسية ، إذ أن الوقت ضيق .. وكل دقيقة تبقينها هنا تزيد من الخطر المحدق .. أى ثانية قد يتلوها اعتقالك فتتم المؤامرة .

ثم اقترب منها وخفض صوته بينما أومضت عيناه وهو يقول :

— انك ستكونين ضحية خيانة . . ضحية خطة محكمة . انصتى الى يامس هارلند .. لقد نصحتك الوصيفة هيلجا بأن لا تثقى الا فى الشخص الذى يذكر لك « كلمة السر » ، وهأنذا أذكرها . . « ثلاثة — ثلاثة » . . ان هيلجا من أعوانى الذين أثق بهم ، وانى أهيب بك الآن أن تضعى فى كل ثقتك .

— ولكن .. ماذا تريدنى أن أفعل يا مستر فيرهاجن ؟

— اننا لا نستطيع أن نتحدث هنا يا مس هارلند فقد تعود رفيقتك فى أية لحظة ، واذ ذاك أكون مضطرا تحت حكم الضرورة ، الى اتخاذ وسائل

نهاية .. تعالى معى وأعدك انى اذا أخفقت فى اقناعك بأغراضى ، فسوف أعيدك الى داخل هذه الجدران الاربعة فى ظرف ساعة واحدة ..

فقالت جوان بعد شىء من التردد :

— أظننى أستطيع أن أضع ثقتى فيك يا مستر فير هاجن .. فماذا تبغى أن أفعل؟

— شكرا يا مس هارلند ، فلن تندمى على ثقتك . والآن .. سأخرج أنا أولا ثم تتبعيننى بعد بضع ثوان، فلا تستعملى المصعد، بل اهبطى على قدميك درجات السلم ، حتى إذا بلغت مدخل الفندق ، فاتخذى طريقك الى الخارج ، ولا أظن ان أحدا من الخدم سينتبه اليك ، اذ ان هذه الساعة من أكثر ساعاتهم ازدحاما بالاعمال .. فاذا خرجت ، تحولى الى يسارك ، وعند أول منعطف يصادفك ، على حوالى الخمسين ياردة من مدخل الفندق ، سترين عربة مقفلة فاصعدى اليها فى حركة طبيعية ، دون أن تلتفق يمنة أو يسرة ، وسوف أكون فى داخلها

ولم تسمح جوان لنفسها بالتفكير ، بل تناولت حقيبة يدها ، وقفازيها ثم تبعت تعليمات زائرها ، حتى اذا نفذت الى الطريق سارت فى غير تسرع حتى المنعطف . حيث وجدت العربة ، فصعدت اليها فى حركة طبيعية . كما لو كانت صاحبتها . واذ ذاك ألهب السائق جواده ، فانطلقت العربة .

بيد أن جوان لحظت بطرف عينها ، خلال سيرها من الفندق إلى العربة فصلا مضحكا . . فقد رأت شخصا فى ملابس مدنية يهم بأن يتقدم نحوها . . ولكن جنديا المانيا ظهر فى تلك اللحظة عند منعطف الطريق ، فاصطدم بالرجل الطويل ، الذى كاد يهوى لعنف الصدمة حتى اذا تمالك نفسه . كانت العربة قد اوشكت أن تغيب عن عينيه فمضى يصب جام غضبه على الجندى الذى لم يكن غير فريتز بيرجر والذى لم يأبه لما حدث ، بل واصل سيره . .

وراح فيرهاجن يتطلع من النافذة الخلفية للعربة ، الى الطريق ، فلما اطمأن إلى أن أحدا لم يتبع جوان ، تنهد فى ارتياح . . حتى إذا وصلا الى

بيته فى « لوفين جيت » أصدر اليها تعليماته قائلا :

— والآن . . ستهبطين أنت أولا . والى اليمين ، ستجدين الباب رقم ٥ فهاك المفتاح . . وادخلى كما لو كان بيتك ، وسوف الحق بك بعد لحظات . .

وعندما استقرا فى البيت قال فيرهاجن :

— انى سأبدأ بأسوأ ما فى الأمر يا مس هارلند . لا لكى ازعجك . . فقد وجدت أن شجاعتك فوق هذا ، ولكن لكى لا نضيع الوقت سدى . ان لدى رجلا موثوقا به سيذهب الليلة الى الحدود ، وسيجتاز الاسلاك . ولذا فليس لدينا طويل وقت لنتفق على نجاتك .

فقالت جوان فى ذهول :

— نجاتى . . باجتياز الاسلاك ؟ . . ماذا تعنى يا مستر فيرهاجن ؟

— سأحدثك فى صراحة يا مس هارلند ، رغم ما فى الصراحة من قسوة . لقد خدعت حتى حضرت الى بروساز لتتعرضى لخطر مروع . فلو انك اعتقلت بواسطة البوليس الالمانى ، فلن يعتبروك غير جاسوسة خطرة . وسيكون للسلطات العذر ، نظرا لجنسيتك الانجليزية ، ولأوراقك غير المستوفاة . والألمان قوم لا يقدرون احترام الجنس . . فلقد اعد جوازك الاميرال اوتو فون كرامان ، الذى يتستر فى روتردام تحت اسم البروفسور كيرمان . وهو جاسوس المانى . يعد من أخطر الجواسيس ، وما قصر باتافيا غير مركز لجمع الاخبار لحساب المانيا . وكان المقرر ان تعتقلى غدا ، فيقبض رجال البوليس السرى عليك أثناء زيارتك للماجور فون شولتز مدير الرقابة ، إذ تكونين فى تلك اللحظة متلبسة بأفظع الجرائم ، وهى سعيك للحصول على جواز بطريق الغش ، لزيارة المناطق الممنوعة المحرم زيارتها دون تصريح ، وازيارة ميادين القتال ، التى يحرص الألمان كل الحرص على رقابتها .

فشحب وجه جوان ، بينما تابع فيرهاجن حديثه :

— ولسوف تتساءلين الآن ، كيف تسنى لى ان أعرف كل هذا . ولكن ما أخبرك به ، لن أجرأ يوما أن أذكره لأحد ، بل إننى لا أجرؤ ان أهمس

به بيني وبين نفسي . . انني أعمـــل لحساب بريطانيا ، وأقوم بدور حيوى — على ماأعتقد — فى جاسوسية الحلفاء . والآن ، إننى أسألك يامس هارلند أن تصدقيني ، وأن تثقى فى ثقة عمياء .

— ليست بك حاجة الى ذلك يامستر فيرهاجن . فلقد وضحت لى الآن أشياء كثيرة .

والواقع أنها تبينت مؤامرة فون كرامان الرهيبة ، وصداقته الزائفة ، وخداعه الخبيث . ولكنه على كل حال ، كان يؤدى مهام منصبه وواجبه نحو أمته ، ولكن الذى أدهش جوان ، هو موقف البارونة جالى فهيـــل وقد بدت عارية . . وراحت تسائل نفسها ما الذى يدعوها لذلك ؟ وقطع عليها فيرهاجن تفكيرها قائلا :

— هناك كلمة أخرى يامس هارلند . . اذا ما وجدت نفسك مرة فى حيرة ازاء أمر ، فلا تصدقى عينيك ، لا ولا أذنيك ، وانما ثقى فى غريزتك النسوية فقط .

والآن يامس جوان ، ينبغى أن أعتمد على طيبة نفسك وكرمك ، وعلى شجاعتك وذكائك . يجب أن تعودى الى قصر باتافيا كأنما لم يحدث شىء ، وقد دبرت طريقة اجتيازك للاسلاك عند قرية لا كلينج ، ومن هناك ستقادين الى فلاشينج ، ثم تعودين الى روتردام بعد أن تكون نجاتك قد أصبحت لاتعدو فى نظرك أكثر من مغامرة مشوقة . فاذا سألتك البارونة ، فلتقولى انك خرجت من الفندق للترويح عن نفسك ولكنك وقعت فى أيدى احدى الداوريات فى شارع هادىء . فلم تستطيعى — طبعاً — أن تجيبى على أسئلتهم ، لولا أن شخصا تظنين أنه أمريكى ، خف لنجدتك ، وقام بمهمة المترجم بينك وبين رجال الداورية ، ثم أوصلك إلى الفندق . ولكنك فى سياق الحديث ، بحت له عفواً بسرك . بانك نفذت الى المنطقة المحرمة بجواز زائف ، فذهل وأخبرك انك معرضة اذا اكتشف أمرك لعقوبات قاسية ، لاتقتصر عليك فقط ، وانما تصيب البارونة أيضاً ، فتولاك خوف عظيم ، لاحرصا على سلامتـــك فقط ، ولكن على سلامتها هي الأخرى . . واذذاك

عرض عليك أن يساعدك على اجتياز الحدود بسلام . فتأمن ويأمن كل من له صلة بك أى أذى . فوافقته على ذلك

ثم أسلمها الى عناية مديرة بيته ، مارى ، وغادر البيت لبعض شؤونه .

الفصل الخامس والعشرون

. . ونجاة !

بعد ساعة ، أقبلت مارى الصامتة ، حاملة رداء امرأة قروية فأشارت الى جوان ان ترتديه . ولحسن الحظ ، كان ملائما لها كل الملاءمة ، فوقفت تتأمل نفسها فيه ، وهى تبتسم للخادم . وإذ ذاك قدم فيرهاجن — «الجاسوس رقم ١ » — الى الحجرة فقال فى تعجل :

— مس جوان ، ينبغى ان ألقى عليك بعض التعليمات ، وشيئا من الايضاح ، فليس ثمة وقت لديك ، إذ يجب أن تكونى فى « ديلبيك » قبل فوات الفرصة . واذا استوقفتك بعض الداوريات فى الطريق ، فهاك تذكرة اثبات شخصية زائفة ، ودعى لمارى الاجابة على أسئلتهم ، إذ سترافقك حتى « ديلبيك » فى نفس العربة المقفلة التى احضرتنا هنا . وفى ديلبيك ، يوجد مخزن المانى كبير للنقل ، ومن السهل رشوة معظم السائقين ، لنقل المسافرين الذين لايستطيعون الحصول بسرعة على جوازات من السلطات . ولهذا ، فستكونين منذ اللحظة الآنسة لوسى برين — الخادمة — التى تريد رؤية قريب لها محتضر فى سانت نيكولا . ولسوف ترحل الليلة سيارة نقل من ديلبيك الى سانت نيكولا . ولذا فستتركك مارى فى ديلبيك لرعاية شخص أثق فيه كل الثقة ، يدعى جان فان كاندليار ، كان من كبار المهربين ، ثم تحول فصار من كبار المواطنين . . وسيصحبك الى لا كلينج حاملا بعض الرسائل الهامة

وغادرت المرأتان البيت بعد برهة فاسرعت بهما العربة . حتى وقفت خارج ديلبيك ، عند بيت منعزل ، أقيم فى أحد أجزائه مقهى صغير ، دخلتاه . .

وتلقتهما امرأة عجوز ، قادتهما ، بعد ان تبادلت نظرة صامتة مع مارى ،

الى مائدة منعزلة فى الداخل . فانتظرتا فى الظلام حتى انتصف الليـــل ، وإذ ذاك سمعتـا ضجيج سـيارة نقل كبيرة . . مالبثت أن وقفت أمام الباب . وهبط السائق فدخل المشرب ، وقد بدا تململا يتمايل حتى وقف أمام مارى وأخـذ يتحدث اليها فاخبرته أن الفتاة تريد زيارة قريب لها على حافـة الموت . وفجـأة دخل الحجرة شخص له هيئـة الفرسان ، ذو شارب كث ويرتدى ثيابا خشنة رديئـة الحياكة فتولى مساومـة السائق بدلا من مارى وما لبثت كؤوس الشراب وقطع النقود أن ألانت عريكة السائق فصعـدت جوان الى جوف السيارة التى تحركت مواصلة سيرها .

وعندما بدأ الفجر يغزو عالم الظلام ، وصلت السيارة الى سانت نيكولا ، فصاح جان بالسائق فاوقفها فى جانب من الطريق ، ثم أشار البلجيكى لجوان فهبطت .

وانتظر حتى غابت السيارة عن نظره ، ثم مضيا يضربان فى الحقول الممتـدة حتى لاح لابصار الفتاة المكدودة قصر صغير يقبع فى غابة كثيفة ، لاحظت عندما اقتربا منه ، أنه قـديم البناء .. وأمسك جان بيدها عندما توغـلا فى الغابة ، فراح يقودها ، وهو يذكر لها فى فرنسية ركيكة ، انهما سيقضيان النهار فى ذلك القصر ، ثم يستأنفان رحيلهـا فى المساء .

ولما وصلا الى القصر قامت خادمة شابة باعداد القهوة والفطائر لهما . ثم قادت الفتاة المتعبة المرهقة ، الى حجرة نوم نظيفة . فما لبثت جوان أن راحت فى سبات عميق لم تستيقظ منه الا عند الغروب .

لم تذكر جوان فى أيام العمر التالية ، سوى القليل عن الجزء الأول من هـذه الرحلة الذى انتهى بها الى هذا المكان . بيـد أن الجزء الآخر ، ظل مطبوعا فى ذاكرتها لما رأته من جان .

لم تلق الفتـاة الانجليزية مثل هـذا التغير يعتور مخلوقا . فما أن بدآ فى استئناف رحلتهما حتى أخذ جسمه يرتعد فى لهفة نمر كاسر يبحث عن فريسة وقد ازدادت حاسة السمع لديه ، وبدا كما لوكان يملك أعينا أخرى الى جانب عينيه . وانطلق فى طريقه انطلاق الخبير به . العارف بنواحيه ، فلم يتوقف

مرة ليتأكد منه . وكثيرا ما كان يخفى حوان فى دغل كثيف يقابلهما . ثم يدور يستوثق إذا ما اشتم ما يريبه . ففى تلك البقاع كان للحراس الألمان أن يشتبهوا فى أى شخص يرونه . وان يطلقوا النار عليه إذا أبى أن يصدع بأمرهم اذا استوقفوه .

ووصلا أخيراً إلى غابة صغيرة ، ما ان توغلا فيها حتى أمسكت جوان انفاسها فى دهشة ، وقد تراءت امامها الاسلاك الشائكة المكهربة . وعندما قطعا من الغابة حوالى الثلاثمائة ياردة قادها الدليل إلى مجرى جاف يفضى إلى نفق ضيق تحت الارض

فتقدم الى فتحة النفق وهى تتبعه ، وراحا يزحفان حتى بدت لعينى جوان السماء .. واذ ذاك تنهدت فى ارتياح ، وراحت تملأ رئتيها بهواء الليل العليل .

واشار اليها انهما قد أصبحا على أراض هولندية .

واستطاعا أخيرا أن يصلا إلى طريق عريض ، حرص جان أن يسيرا على جانبه فى حذر ، إلى أن وصلا الى قاعدة من الاسمنت اعدت للاضواء الكشافة المستعملة فى رقابة الحدود ، واذ ذاك ، وقف جان وسمح للفتاة أن تجلس على مقربة من حافة الطريق ، ثم ارسل زفرة عميقة ، وجلس بجانبها ينتظر ، وقد أخرج غليونه فملأه بالطباق واسلمه الى شفتيه دون أن يشعله . وأدركت جوان أنهما قد تعديا منطقة الخطر . .

ومرت حوالى العشر دقائق ، ثم اقبل رجلان فى ملابس مدنية يسيران فى الطريق ، فأشعل جان غليونه ، وعندئذ اقترب أحدهما فسأل جان فى فرنسيه سليمة ، وفى لهجة متأدبة .. اذا كان يسمح فيدله عما اذا كانت هذه هى الطريق المؤدية الى مكتب رقابة الحدود الهولندية .. فأجابه جان وهو يرمقه بعين حذرة . . انهما نفس الطريق ثم تتابعت الاسئلة والاجابات فى سرعة اوحت الى جوان بأن الحديث كله ليس الا اختبارا أو تحقيقا دقيقا ولاح لها جان على استعداد لكى يقفز كالنمر المفترس .. اذا ما اوقعه الرجل . بيد ان هذا ما لبث أن قال « الحرية . ياصديقى » فقال جان ضاحكا وهو يشد

على يد الرجل « الحرية . ياصديق ! » ثم تساءل وهو يتناول بعض الاوراق من جيبه :

— من اين أنت ياصديق ؟

— من المخابرات السرية الفرنسية

فاسلمه جان الرسائل التى حملها من بلجيكا .. فقدم اليه الغريب فى مقابلها رسائل اخرى قائلا : وهذه لرئيسك .

— عليك أيضا أن تدل الآنسة على فندق حسن فى فلاشينج .

وانطلقت جوان مع دليليها الجديدين حتى وصلوا الى سيارة ذات ثلاثة مقاعد ، حملتهم فى غمرة الليل الى رصيف « شيلد » حيث وجدوا قاربا بخاريا فى انتظارهم ، فهبطت اليه جان والرجل الذى استلم الرسائل برفقتها ، وخلفا زميله على الشاطىء .. وعند ابتلاق الفجر ، أبحر القارب الى فلاشينج ، فنفذ الرجل الفرنسى أوامر جان بدقة ، إذ قادها الى فندق هادىء . ولم ينصرف حتى حجزت حجرتها . وإذ ذاك تحول عائداً . بينما لجأت هى الى الحجرة . فنامت لبضع ساعات ثم اغتسلت وتناولت إفطارها . واستقلت القطار بعد ذلك الى روتردام . وهناك قصدت الى الفندق الذى اعتاد أبوها أن ينزل فيه فارتاحت إذ علمت أنه لن يصل قبل يومين ، واطمأنت الى أنه لذلك لم يعلم بنبأ اختفائها . ثم قررت أن تظل هناك فلا تعود الى قصر باتافيا قبل عودته . ورأت طبقا لتعليمات فيرهاجن . أن تبادر أولا الى الاتصال تليفونيا بقصر باتافيا . وأن تتحدث الى البارونة . فراحت تفكر فيما تقول لها

الفصل السادس والعشرون

« ثلاثة — ثلاثة » يتأهب

ترامى صوت جالى فهيل عذبا . وهى تجيب فى التليفون :

— الى اين ذهبت ياجوان ياعزيزتى ؟ . لقد مرضت لقلقى عليك .

كانت جوان مفعمة الروح بالاخلاص والولاء . . فكانت تغمر بهما أصدقاءها . دون أن تطلب فى مقابلهما . سوى نصيب ضئيل من وفائهم

وكان الخداع أمرا يغاير فطرتها وأخلاقها . بيد انها وجدت نفسها مساقة الى تمثيل الدور بعد تلك « الحقنة » الغريبة من آراء فيرهاجن . وبعد مغامرتها فى اجتياز الاسلاك القائمة عند الحدود . كان دورا تأباه نفسها . ومع ذلك فهو قد يساعد من تحبهم . وقد ينفع وطنها . لذلك بدأت ترى أن الخداع أمر لابد منه . لتصد مايضمر لها فون كرامان وجالى فهيل .

وشعرت جوان بوجهها يتضرج بحمرة الخجل وهى تقص عليها قصة نجاتها الكاذبة . فأيقنت انها ما كانت لتستطيع التمادى فيها لو ان جالى فهيل أمامها وجها لوجه . ولكنها وهى تتحدث الى آلة التليفون السمراء الصامتة الجامدة . راحت تحيك الاكذوبة فى مهارة . لتقنع البارونة أنها مافعلت ذلك إلا لتجنبها ماقد يواتيها من متاعب من السلطات الالمانية لوجودهما معاً . بيد أن جوان لم تر — بالطبع — مابدا فى عينى البارونة من شك وغيرة متقدين

واخيرا قالت جالى فهيل وهى تتنهد فى ارتياح حقيقى :

— حسنا ياعزيزتى ، فلنحمد الأقدار اذ انتهت المغامرة بسلام . . متى تفكرين فى العودة الى القصر لأرسل اليك السيارة ؟

فاجابت جوان بانها تفضل البقاء فى الفندق لتستقبل أباها ، اذ كان من المنتظر أن تصل الباخرة فى مساء اليوم التالى . والواقع أنها كانت تهاب اللقاء المنتظر فى القصر . وتخشى أسئلة جالى فهيل ، لو أنها التقت بها تواً .

أما فون كرامان ، فان دهشته لم تلبث أن حدت به الى التسليم . لم تكن تهمه التفاصيل ، ولكن كل ماعناه ، هو . لقد اختفت الفتاة الانجليزية من بروسلز ، وهاهى ذى الآن فى روتردام ، وقد . . نجت ! .

وعندما عاد التآمران الى حجرة المكتبة ، مضى يتطلع الى البارونة الذاهلة ، فما لبثت هذه أن تساءلت :

— لست أدرى ، أترى هذه القطة الانجليزية تقول الحق ؟

— لا . بالطبع . فهى كاذبة . دون ريب . فقبل أن تضعا أقدامكما فى بروسلز . كانت خططنا معروفة .

ثم تلفت حوله فى خوف ، ماعتم أن اختفى حين لاحظ البارونة تنظر اليه

فى فضول وقال :

— وحتى إذا لم يكن لفتاك الانجليزى ، ذلك الجاسوس الداهيـة ، أى يد فى الموضوع ، فلا بد أن ثمة يدا لذلك المسجل العجوز ، ولـكن هذا أمر لايهم يابارونة ، وانما المهم أنها هنا ثانية . هنا حيث سنحتاج اليها فيما بعـد . فيجب أن نقبل قصتها على علاتها ، وأن نحمد الاقدار على انها — رغم كذبها — ماتزال على اخلاصها لك .

— ماذا تعنى ؟ .

— لقد صدرت الأوامر بضرورة إيقاع « السير » الانجليزى فى الشرك وقد نصحت لبرلين بان تتيح لك فرصة رائعة ، تساعدك على أن تصبحى سيدة قصر « أبراج مارفين » ، فمن الضرورى لاتمام حلقـــة مشروعنا فى انجلترا ، أن يكون لنا هناك شخص مثلك . ووجودك هناك كسيدة « أبراج مارفين » يسهل لك الاختـلاط بالمجتمع الانجليزى الراقى ، والحصول على معلومات ليس بوسعنا الآن الحصول عليها . ولذا فسأعمل منذ وصول السير جورج على الابتعاد عنك . وعليك أن تظهرى فى مظهر الحاقدة على الألمان وأن تبدى أمام الفتاة الانجليزية كما لو كان بنفسك بعض الشك فى أننى الذى وشيت بها لتعتقل فى بروسلز . وبهذا تقتلين كل شبهة توجه اليك ياعزيزتى البارونة .

— والابنة ؟ . الفراولين جوان ؟ قد يكفى الاغراء والاغواء لأحمل الرجل على أن يغمض عينيه . ولـكن الشك والغيرة سيضاعفان من دهاء الابنة ومن ريبتها . فهل ترانى ، بل هل ترى أى مخلوق ،يسـتطيع خداعها يوما بعد يوم ، وساعة بعد ساعة ؟ لقد نسيت الفراولين فى خطتـــك . فماذا أعددت لها ؟

— الفراولين ؟ . ان ماأعددته لها يابارونة ، هنا . . هنا فى رأسى ، ولا يعلم به سواى . وأؤكد لك أن أحداً لن يشترك معى فى تحطيمها وتحطيم فتاها

وصمت اذ سمع طرقة على الباب ، ثم قال فى صوت خافت :

— عنـدما تبحرين إلى انجلترا كعروس للنبيل الانجليزى ، سيكون

كلا كما فى ملابس الحداد .

فقفز الرعب الى عينى جالى فهيل ، وراحت تتطلع اليه . فى الوقت الذى نفذت فيه هيلجا الوصيفة إلى الحجرة . فتساءلت جالى فهيل فى ضيق عما هناك

— هناك سيد يود مقابلتك ياسيدتى . وقد قدته الى حجرة الجلوس . . وهناك بطاقته .

وبذلت جالى فهيل مجهودا لتخفى نظرة الدهشة الجزعة التى بدت فى عينيها اذ قرأت الاسم . ثم استعادت جأشها وقالت :

— اخبرى الهر ماجور أن يتكرم بالانتظار ، وسأحضر بعد لحظات قلائل . .

عندما سمع فون كرامان رتبة الزائر ، نظر الى البطاقة باعين باحثة . . وقرأ الاسم . . « الهر ماجور البريك فون شولتز » فكاد قلبه يقف عن الخفقان ، واندفع يسب فى ثورة من الشك والحقد

ولكن جالى فهيل لم تأبه له واتجهت الى زر الجرس فضغطت عليه . . حتى اذا لبت هيلجا الدعوة ، أمرتها قائلة :

— أرجو أن تقودى الهر ماجور إلى هذه الحجرة .

ثم تحولت الى فون كرامان وقد اتقدت عيناها وقالت :

— لن تلبث أن تكتشف ياهر أميرال ، انى لم أتحدث إلى الهرماجور . . بعد ذلك المساء .

الفصل السابع والعشرون

سلطان الحب !

كان كلايف جرانفيل يشعر بعدم الميل الى زيارة قصر باتافيا . . بيد أن الحقائق الهامة التى وصل هو وبروت فيرهاجن اليها ، كانت تستدعى هذه الزيارة دون تأخير . اذ بدت لكليهما ان الخطة التى رآها المسجل البلجيكى خير مايمكن اتباعه .

كان الجاسوس رقم (١) يرى ان وجود الانجليزى فى روتردام ، سيتيح

له فرصة كشف وتحقيق ثلاث مسائل هامة . فقبل كل شيء . كان فى وجود كلايف ضمان لبقاء جوان تحت مراقبة صديق يهتم بها . رغم انها لم تكن متعرضة فى قصر باتافيا لاى خطر فى الوقت الحاضر . فقد كان من الضرورى بقاء جوان ، كى تجتذب شطرا من اهتمام فون كرامان وجالى فهيل . وكى يوجها جهودهما نحوها . أما ثانى المسائل . فكانت تقوم على الحب الجارف الذى لاحظ فيرهاجن ان البارونة تحسه نحو كلايف. وعلى الرغم من ان المسجل لم يبح لكلايف بها .. فانه رأى ان وجود الشاب الانجليزى كفيل بأن يعترض سبيل الصلة التى كانت تنمو بين أحد كبار وزعماء أصحاب السفن فى بريطانيا . وبين أحد مخالب الأميرال وهى جالى فهيل . أما المسألة الثالثة ، فتتعلق بما يراه باقاع تامبلمان من أن مصدر الدسائس والتلاعب فى انجلترا انما يكمن فى روتردام . بين يدى فون كرامان ..

ورأى فيرهاجن ازاء هذا . ان وجود كلايف فى روتردام . مستترا وراء شخصية الماجور فون شولتز . الضابط الالمانى الذى يقوم بقضاء عطلة فى هولندا . سيجعله فى مركز قوى . وان وضعه تحت رقابة فون كرامان فلسوف يستطيع كلايف هناك أن يحقق بعض الخطط الهجومية . وقد رأى كلايف وفيرهاجن أن يكون قصر باتافيا هو ميدان هذا الهجوم

ولم يلق كلايف صعوبة فى الحصول على اجازة لثلاثة أسابيع . اذ ذكر انه لم يحصل على اجازة منذ بدء الحرب . وان لديه بعض شؤون خاصة هامة فى هولندا يريد ان يشرف عليها .

وكان كلايف قد أعد نفسه لأية مفاجأة قد تصادفه . حين نفذ الى مكتبة قصر باتافيا . ولكنه لم يفكر فى ان وجه فون كرامان قد يطالعه عما تجمع فى اساريره من حقد وريبة .

ورأى كلايف على ضوء ألسنة النار المندلعة من الموقد . خلال ظلمة الغروب . نظرة الشوق التى تبدت على وجه جالى فهيل لمرآه . فتقدم منها . وتناول اصابعها يقبلها

ثم تحول الى فون كرامان ، فدق كعبيه وانحنى له فى حركة أودعها

شيئا من العداء . ثم ساد الثلاثة صمت ، مالبث ان قطعه كلايف قائلا :

— معذرة ياارونة . . إذ قطعت عليكما خلوتكما وحديثكما . ولكن رحيلك من بروسلز كان مفاجئا . . وقد شعرت بشيء من الألم إذ لم تبرى بوعدك بزيارتى فى الصباح التالى . .

— آه .. لقد تولانى هم عظيم لاختفاء رفيقتى إذ ذاك .. فلم يهنأ لى بال .. ورحت أسعى لمعرفة ماوقع لها . ولحسن الحظ . علمنا اليوم انها فى روتردام .. وقد عادت سالمة . .

وأحس كلايف بارتياح إذ أدرك ان جوان لم تك فى ذلك الوقت تحت سقف القصر . ولكنه تعمد أن لايظهر شيئا وقال :

— ان هؤلاء الامريكيين غريبو الاطوار . . انهم لايهابون السير .. حتى .. حيث يجبن أى أميرال شجاع . !

وبدت لهجته مليئة بالمعانى . . تحمل اهانة غير صريحة . . فتحرك فون كرامان وقد امتقع وجهه وتولاه غضب حاد . ولكنه لم يلبث ان تغلب على عواطفه . . وسرى الى عينيه هدوء ماكر .

كان الانجليزى الماهر يجذبه الى عراك . . الى موقف لن يكون أى تصرف فيه . . فى غير صالح الانجليزى . الذى مضى يعيره بالجبن . . كما عيره الاميرال من قبل فى بروسلز . . حين كان مسيطراً على الموقف . ولكنه رأى أن يلعب دور الثعلب المنتظر فى ترقب . . واتجهت أفكاره الى « الفراولين » الانجليزية .. فكان أمله فى الانتقام بلسما هدأ من ثورته . فقال مبتسما فى تهكم :

— ان أحدا لاينكر جرأة الهر ماجور . غير مديرو الرقابة عليهم أن يكافحوا الـ . .

فقالت البارونة فى استعطاف وقلق :

— أرجوكما أيها السيدان .. أرجوكما .. سالطلب الى هيلجا أن تعد الشاى .

فاعتذر فون كرامان بأنه مرتبط بموعد . . وغادر القاعة

وما أن انصرف حتى تحول كلايف الى البارونة يقول :

— آه ياباروبة ، انك لن تستطيعى أن تتصورى كيف ظللت انتظر كل

طرقة على باب مكتبي فى ذلك اليوم ، حتى اذا وجدت الطارق غيرك تولانى الاستياء الذى لم يزل من نفسى الا برؤياك الساحرة . اى صحر ، منعزلة مقفرة بدت بروسلز لى عندما بلغنى رحيلك

وامسكت جالى فهيل انفاسها ، وقد استهوتها البرة الساحرة التى بدت خلال صوته . وتولاها للحظة خجل عذرى ، صادر عن عاطفة صادقة . . وهى ترمق كلايف جرانفيل بعينين افعمتا بالحب . . وتراءى لها نفس الشخص الذى رقصت معه فى تلك الليلة فى كيبل . الشخص الذى لم تفارقها ذكراه لحظة ، فى نومها أو يقظتها .

وشاءت أن تستسلم لهذا الجنون . . جنون الحب ، وان تتقبل بالرضا رجل أحلامها ، الذى قابلته ممثلا فى هذا الرجل . وسرعان ماشعت فى عينيها نظرة حيية ، وانفرجت شفتاها عن ابتسامة ساحرة ، فذهل كلايف لهذا التغير الذى اعتور جالى فهيل .

وكما لوكان فى حلم ، أحس بها تمسك بذراعه فتقوده الى مقعد منخفض بينما تهالكت هى على أريكة الى جانبه ، وأسندت رأسه الى ركبتها ، ثم راحت تعبث بشعره باصابع ناعمة ، كانت تمتد الى خديه ، ثم امطرته بقبلات والهة وهى تتمتم بكلمات كلها وجد وهيام . فقد اكتسحها أول غرام تملك من قلبها ، فأحالها الى مخلوقة عجيبة ، كلها احاسيس ذائبة منصهرة ، ثم . . شعر بدموع حارة تتفاطر على وجنتيه وتنحدر على عنقه ، واهتز جسدها فى شهقات قوية

واكتسح كلايف تيار من الاحساسات العاطفية ، فتناولها بين ذراعيه ومضى يمطرها بقبلات كانت تتساقط على وجنتها وعلى عنقها فى فوضى ناعمة وهو يضمها الى صدره فى قسوة ، وفى عاطفة خلقها خلقا ثم أذكى نيرانها لتكون ستارا يخفى وراءه اغراضه .

وتحولت تقول فى صوت عذب ، وكأنما كانت تدفعها قوى خارجية :

— لقد وصلت فى اللحظة المناسبة ياعزيزى ، فقد أمرت بان اتزوج شخصا اخر ، ولكن لا . . أبدا لن يكون هذا ! . انك كل شىء لى . حياتى . بل نت الهواء الذى أعيش به . اذ لولاك لكانت جالى فهيل لهيبا خابيا .

وانتهز كلايف الفرصة . . وقد هدأت نفسه ، وتصبب عرق الخجل على وجهه . فداها عنه وهو يصطنع أساليب العاشق الغيور وقال فى لهجة خشنة :

— ماذا تعنين ؟.. أمرت ؟ منذا الذى يجرؤ أن يأمرك ؟

— لست آبه للأمر . ولا يهمنى من تكون .. ولو كنت كما يظنك فون كرامان . انى أحبك . ولكن ثمة قوى تعمل للالقاء بى بين ذراعى غيرك لأكون جاسوسة حقيرة . اجلس ياحبيبى وسأقص عليك كل شىء .

فعاد كلايف الى مقعده المنخفض . وعادت جالى فهيل تعث بشعره فى دله وهى تقص قصتها .

وما كان كلايف جرانفيل بالصخرى القلب ، وانما كان انسانا حيا ينبض بالأحاسيس الانسانية . ولكنه لم ينس أى مخلوقة هى وأى خيانة دبرتها لجوان هارلند . . وتراءى له إذذاك شبح جوان الملائكي . بيد أن صوت جالى فهيل ترامى اليه :

— ان حياتى كلها . . خدعة زائفة .

كان كلايف إذذاك يتأملها فى دقة وقد انعكس ضوء لهيب الموقد على جانب وجهها وعلى جسمها الرشيق . بينما انسابت من خلال شفتها قصة حياتها الغريبة . وأحاطها جو من الظلام والامن . كما لو كانت حياتها الآثمة الخادعة قد انتهت بوجوده .

وأشرقت فى عينيها نظرات فتاة تنعم بحبها العذرى الأول .

— والآن .. لقد أمرت على لسان ذلك الرجل .. الأميرال فون كرامان بان أتزوج بسير جورج هارلند الانجليزى .

ولكنهم الآن ياحبيبى لن يستطيعوا أن يأمرونى لانهم لن يجرؤوا على ذلك إذا كنت زوجة لفون شولتز . وكيفما كنت ، وأى شخص كنت فانني أحبك كما أنت .. فخذنى ياحبيبى . ان جالى فهيل عبدة لك ، تعمل من أجلك وتموت من أجلك ، وتخون من أجلك وطنها إذا دعت الضرورة .

وأحس كلايف أنه فى حاجة الى الفرار من هذا الموقف الزائف باية وسيلة وأى عذر ، ليفكر فى حرية أوسع ، فلقد بدا لنفسه فاقد العزيمة أمامها ، إذ تعدى الموقف كل ما خاله فى ذهنه ، وامتد الى حد لا يكاد يصل

اليه . ولو أنه ظل على هذا لكان عليه أن يحطم حياته بيده .

وراح يفكر فى حيلة للخلاص ثم لم يلبث أن قال :

— انصت إلى . يجب أن أكون فى برلين بعد باكر فى مهمة خاصة هامة . ثم أغادرها الى بافاريا ، ولكننى سأعود فى أقل من ستة أيام . فهبينى هذه المهلة لأعد عدتنا ، وأقسم لك انك لن تتزوجى هذا النبيل الانجليزى

فقالت هامسة : ولكنك ستأتى فى الغد ياحبيبى . ستعود إلى لنقضى تلك الساعات القلائل القصيرة معاً ، قبل رحيلك ؟

فوعدها كلايف أن يعود بعد ظهر اليوم التالى

الفصل الثامن والعشرون

الرسالة

قرر فون كرامان انه من المستحسن أن يراقب البارونة ومدير ادارة الرقابة ، حتى يصل السيرجورج هارلند . لذلك قصد فى الصباح التالى الى القصر

ودهشت جالى فهيل لتلك الرقة التى راح يبديها فى حضرتها ، وهو يقول فى تلطف :

— مازالت أمامك ثمان وأربعون ساعة ، اذ أن الباخرة الانجليزية ستتأخر

— وأظن هذا الاهتمام من أجل الانجليزى الذى اختاره لى سادتنا زوجاً ؟

— إلى حدما يابارونة . ولكي أكون صريحا معك ، اذكر أننى لا أهتم بوصول الانجليزى ، لهذا فقط وانما لما سوف يصل معه أيضاً . فاننى فى انتظار أخبار هامة تتلهف برلين لدرسها وهو يحملها معه دون ان يفطن .

ارتاحت جالى فهيل الى تأخر السفينة القادمة من انجلترا ، فان هذا سيتيح لها الفرصة . وفى استطاعتها ان تقاوم مكر فون كرامان بمراوغة المرأة خلال الستة الأيام القادمة ، وأن تخفى سرها فى اعماقها . لتتظاهر برضوخها للأوامر الصادرة من برلين .

وكأنما حدس ان بعض افكارها تحوم حول مدير الرقابة فرأى أن يثير غيرتها بأكذوبة من اكاذيبه وقال :

— لقد ارسلت اعوانى وراء ذلك الآفاك القذر ، فقيل انه قضى وقتا

طويلا فى فندق « برلين » . ان الحب حبار ولا شك ، ولعله كان يسعى ليفوز بنظرة من الفتاة الانجليزية . زميلته فى الآمر ، و . . مناط حياته

ثم أرسل ضحكة عالية ، بينما انقدت عيناها بنيران الغيرة ، فقد كانت طعنة الأميرال اعمق مما اراد ، وتابع حديثه قائلا :

— كذلك بلغنى من بروسلز ان الفتاة عبرت الحدود بمساعدة المسجل البلجيكى كما حدست . وتجمع الانباء الآن على ان الثلاثة يعملون يدا واحدة

وغادرها الأميرال وهى تتمتم غيظا . . فارتاحت الى الهدوء الذى كان يشمل المكتبة ومضت تسائل نفسها . . ترى اكان فون كرامان صادقا ؟ . . لقد بدا واثقا من مزاعمه . ثم . . لقد كان ثمة بون شاسع بين «الهرماجور» والضابط الذى لقيته فى بروسلز . فلو كان حقيقة كما يدعى الاميرال . . فان ظهوره على مسرح الحوادث الأخيرة جدير بأن يوحى بالشك . . ثم . هل تلقى فون كرامان حقا الخطة من برلين . لكى تتزوج من السير جورج هارلند ؟ وهل قام « الهر ماجور » بدور الحب المتيم لكى يفسد هذه الخطة ؟ . . وتراءى لها وجه جوان هارلند الجميل . فأثار غيرتها وشكوكها وراحت الهواجس تعبث بها . ثم تسرب الى عينيها بصيص من العزم . وارتسمت على شفتيها ابتسامة خبيثة . وقالت : يجب أن أعرف . . وسوف أعرف .

واتجهت لفورها الى التليفون . فاتصلت بفندق « برلين » وطلبت أن تتكلم الى جوان هارلند . وفيما هى تنتظر أن تجيبها هذه . كانت الفكرة قد واتتها . فرأت أن تجمع الاثنين معا وتراقب نظراتهما وكل صغيرة من حركاتهما بعينين يقظتين . . ثم تختبر الهر ماجور بعد ذلك فى نقطة حاسمة . . نقطة لا يستطيع أى المانى فى مثل الظروف الحاضرة أن يقاومها فاذا ثبت أن هذا الشخص ليس الا فتى احلامها الانجليزى الكابتن كلايف جرانفيل فعليها بعد ذلك أن تتملكه بكل ما اوتيت من حيلة .

وتراءت فى عينيها نظرة عزم واصرار . بينما سمعت صوت جوان يجيبها فدعتها الى زيارتها فى القصر مادامت الباخرة ستتأخر عن موعدها . لا سيما وأنها فى لهفة الى رؤياها .

ولم تتردد جوان فى القبول . فقد رأت أن حرصها على الابتعاد . لا بد

أن يثير الشك فى نفس جالى فهيل وفون كرامان .

وعند ما عادت جالى فهيل الى المكتبة استدعت وصيفتها هيلجا وقالت تأمرها : ارسلى السيارة للفراولين هارلند فى الساعة الثانية . انها تنزل فى فندق « برلين » وعند وصولها ارجو أن تقودها توا الى المكتبة . هل تفهمين ؟ ليست بك حاجة الى أن تسألى الاذن لها بالدخول .

الفصل التاسع والعشرون

الحبيب لم يعد !

قصد كلايف الى قرية « ايسشن » عقب مغادرته للبارونة دون ان يسعى لرؤية جوان هارلند ، رغم أنه كان يتحرق شوقا وتلهفا للتطلع الى عينيها الجميلتين ، وماقد يكون قد سرى اليهما من مشاعر فى الظروف الحالية . فقد اذهله تطور العلاقة بين جالى فيهل وسير جورج هارلند الى هذا الحد الخطر وساءل نفسه عن مدى شعور جوان باغراء صديقتها لأبيها . . الاغراء الذى فهم كلايف من حديث جالى فهيل ، أنه يوشك ان يدفع بالسير جورج الى ان يسألها ان تكون له زوجة . ولكن كلايف لم يتماد فى تفكيره فى هذه الناحية ، اذ قرر ان يحول دون هذا الزواج ، مهما كلفه ذلك .

ووصل اخيرا الى ايسشن ، فوجد فريتز بيرجر ينتظره فى كوخ اعد لبعض جنود الحرس . واذ وقف الجندى والضابط فى ظلمة الطريق قال كلايف فى هدوء :

— فريتز بيرجر ، ان ملابسى العسكرية معك ، فأرجو ان تظل فى ايسشن ، اذ سأرحل عن المدينة لبضعة ايام . ولكننى قد احتاج الى ان توافينى بذلتى فى سرعة . . اتفهم ؟ . كن على حذر فقد احتاج اليك

عندما ولج كلايف قصر بانا فيا بعد ظهر اليوم التالى تلقته جالى فهيل فى شوق ووجد ، وقادته الى المكتبة . .

كانت تبدو فى رداء أسود بسيط يلتصق فى احكام بجسمها فيبدى موضع الفتنة فيه

وارتشفا القهوة فى صمت ، ثم ما لبثت أن انتقلت الى الاريكة ، وأشارت

نفدت الطبعتان الأولى والثانية

وستصدر هذه المجلة الطبعة الثالثة

فى يوم الاربعاء القادم

١٠ ابريل سنة ١٩٤٠

احجز نسختك من الآن

حتى لاتفوتك هذه الطبعة الثالثة والاخيرة

كما فاتتك الطبعتان الأوليان

والكتاب بقلم

الدكتور هرمان راوشنج

رئيس مجلس شيوخ دانزيج

وتعريب الاساتذة

صادق راشد ومحمد كامل حسن المحامى وعبد الحميد فائق

لكلايف كى يتخذ مقعدا الى جوارها ، وما لبثت أن تساءلت :

— إلى أين ذهبت فى الليلة الماضية ؟ — الى خادمى فى ايسشن

— لقد أخبرنى الأميرال انك زرت فندق « برلنر » لكى تستمتع برؤية الفتاة الانجليزية ، كما قال .

فضحك ساخرا وقال :

— ان الأميرال يسبح وراء الخيال كعادته . مع ان الوصف الذى اضفاه الحاكم العسكرى على صديقتك قد أثار فضولى ورغبتى فى أن أراها ، الا انى ما كنت لأعرف أين أعثر عليها واذا اطلعت على جوازى ، فسوف ترين الوقت الذى اجتزت فيه الحدود ليلة الامس ، والوقت الذى عدت فاجتزتها فيه هذا الصباح .

فمالت نحوه فجأة . وتناولت يده بين راحتيها وقالت :

— انى أصدقك يا حبيبى ، ولكن . . كن على حذر من الأميرال فون كرامان . انه لا يذكر لى خططه ، ولكنى أرى خطرا فى صمته ، وهو لا ينتظر الا ريثما تصل الباخرة الانجليزية . . اذ يترقب أخبارا ستحمل اليه على ظهرها .

وفى مجهود قوى . . تمالك كلايف أعصابه لدى ذكر هذه الاخبار التى ستصل على الباخرة الانجليزية . . اذ خطر له أن سر الخيانة التى تشكو منها لندن . . قد يكمن فى هذه النقطة . . والا فكيف يمكن أن تتسرب الاخبار من انجلترا . . من غير هذا الطريق ؟ . . واستمرت جالى فهيل فى حديثها وقد طغت على صوتها لهجة التحذير :

— اذا كنت فون شولنز يا حبيبى . فان يهمك ما أقول . . وحتى اذا كنت الآخر ، فلست آبه . . ان الأميرال فون كرامان يعتزم الهجوم .

وارسل ضحكة خفيفة وهو يضغط يدها فى وجد ، بينما فارقها آخر ظل من الشك . وامتدت ذراعاها فطوقتا عنقه واقترب رأسها من رأسه وراحت شفتاها تبحثان عن شفتيه فى نهم وهى تهمس :

— قبلنى ياحبيبى فان قلبى حائع منهوم .

ولاحت له فى استسلامها لعاطفتها أكثر ثقة به من الامس ، وتراءى له انها تنتظر فى قلق ، كما لو كانت تتوقع شيئا .. خيل اليه أن كل رجفة تسرى فى جسمها تسخر منه .. وانها بينما تقدم له كل شىء ، تعد له شرا يهدد شرفه فقد كانت فى غمرة من الغيرة تمثل دورها فى مهارة . وتسعى كى توقظ فيه الحاسة التى توجد فى كل رجل . فبدت له متهتكة وسرى فى عينيها الرجاء الملح الذى سعت به الى ايقاظ الحاسة الغابرة فى أعماقه . فظن كلايف الى أن طبيعته — كضابط ألمانى — تسد عليه طريق رفض مثل هذا الرجاء . فضمها الى صدره متمتما :

— فليكن ، سأعود هذا المساء ولكن ...

فانهالت عليه قبلاتها الحارة المتقدة . وفيما هما فى هذا الموقف فتح الباب فى لطف ، و . . ووقفت جوان فى الحجرة الصامتة . . ولم يقو الاثنان فى غمرة المفاجأة على أن ينفصلا ، ثم ما لبثا أن تمالكا جأشهما ، فافترقا بينما قالت جوان فى اسف وهى تهم بان تفر من الحجرة :

— انى جد آسفة ، فقد ظننت . .

ولم يفقه ذهنه الشارد حتى تلك اللحظة ما وراء هذا الحادث . وغشى قلبه سرور طاغ اذ سمع صوت جوان . ولكنه وجد نفسه ملتصقا بجالى فهيل التى قالت وهى ترسل ضحكة قصيرة :

— تعالى ياعزيزتى جوان . فسأقدمك لزوجى المقبل .

وأحس كلايف أنها غررت به فى مكر . ولكن الأشهر التى قضاها فى تمثيل دوره . كانت قد علمته كيف يقابل المفاجآت بثبات . ولذا تغلب على مشاعره وهو يستوى قائما على قدميه وتمالك جأشه بينما وقفت جوان برهة جامدة لا تكاد تحير جوابا . ومضت عيناها تتفحصان وجه كلايف وقد ترامى اليها صوت البارونة ساخراً اذ قامت بواجب تقديم كل الى الآخر

كانت تفصل بينهما منضدة صغيرة .. قام عليها وعاء للزهور .. أخذت جوان تتأمل بعض زهراته .. وهى تلاحظ النظرة المتفحصة .. التى كانت جالى فهيل تصوبها نحوها .. كانت النظرة السريعة التى وجهتها الى ملابس كلايف الالمانية الطراز .. والى هيئته ومظهره .. كافية لان تقنعها

بانه لايفترق عن أى المانى عادى من أولئك الذين تصادفهم فى المدينة الهولندية .. ولكن .. كان ثمة شيء آخر غير التشابه التام .. يثير إحساس الفتاة . شيء أكد لها ان هذا الرجل ليس غير كلايف جرانفيل .!

وخيم على الحجرة جو ثقيل مضطرب .. ولكن جوان كانت أول من تمالك روعه .. فحاولت ان تتصرف ولكن جالى فهيل قالت :

لقد كنت أحدث الهرماجور منذ برهة عن الشبه الشديد الذى بينه وبين خطيبك السكابتن كلايف جرانفيل

وفطنت جوان فى سرعة الى الحيلة التى دبرتها جالى فهيل .. فما لبثت ان غادرت الحجرة . وكان لهدوء جوان وتمالكها جأشها .. أثر فى الموقف . فما لبث كلايف أن وجد الفرصة أكثر سنوحا للمضى فى تمثيل دور العاشق المفتتن ..

وراحت جالى تتأمل وجهها فلم تر الا كل مايؤيد ان الشابين لم يلتقيا قط من قبل فكان هذا بلسما لغيرتها ، ووجد كلايف إذ ذاك أن من السهل أن ينصرف فاعتذر بان لديه مهمة صغيرة فى روتردام، إذ يريد التأشير على جوازه قبل رحلته الى المانيا فى اليوم التالى . فلم تتركه حتى وعدها أن يعود فى المساء .

ومضى المساء ، وجالى فهيل تنتظر وفى نفسها ثورة محمومة . ويأس . ولكن الحبيب لم يعد !!

الفصل الثلاثون

لازارو — ى — كافالان

منذ اللحظة التى وصلت فيها الباخرة الانجليزية ، انهمك فون كرامان فى مشروعاته المستقبلة ، وأخذ ينتظر فى صبر نافد رسو الباخرة

ثم قام الى فندق برلينر . فلبث ينتظر دون ملل فى الردهة حتى أشار اليه بعد برهة أحد الخدم خفية ، وإذ ذاك أسرع الأميرال الى الرجل وقال فى صوت خافت وفى لهجة كلها تهديد :

— هل أعددت عدتك بمجرد وصول الانجليزى ؟

— أجل ياسيدى البروفسور

— لا أود الاخطاء يا كارل . احضر الرسالة الى المكان المعتاد

ثم قصد الى مكتب القنصل فما ان وصل حتى سمع ضجة وصخبا ورأى القنصل يدفع أمامه شخصا وهو يركله ويرميه بالشتائم

ثم عاد الى الأميرال وهو يقول :

— معذرة ياهر أميرال . لقد جاءنا اليوم كلب مخادع . كان لديه نسيج من الأكاذيب حاول أن يخدعنا به ..اذ ادعى انه الهر البريك فون شولتز

ولكن الاميرال لم يسمع بقية حديث القنصل . بل يحول فاندفع خارجا وراحت عيناه تبحثان فى كل ركن من الطريق حتى عثرتا على الرجل البائس وهو يختفى عند أول منعطف فى الطريق ، فأسرع يعدو خلفه . حتى أدركه فاستوقفه قائلا : لحظة يا رجل . . فلدى حديث معك

رأى فون كرامان وجه الرجل ملوثا بآثار لكم .. وقد تورمت عيناه اثر الضربات التى تلقاها فى مكتب القنصل . وكانت كتفاه محنيتين كما لو كانتا ترزحان تحت عبء ثقيل . بينما كانت ملابسه مشعثة ممزقة . واكمامه القصيرة تزيد من مظهر الطول الذى كانت عليه ذراعاه . . وقد ظهر على يديه آثار العمل المرهق الذي لم تتعوداه

وراح الرجل يرمق فون كرامان فى شك . بينما كان هذا يلهث لفرط تعبه . وهو يتأمل ملامح الرجل حتى اذا تبين التشابه التام الذى ينشده . اشرق وجهه سرورا وقال :

— لقد اخبرنى القنصل الألمانى انك تدعى الجنسية الالمانية

فتساءل الآخر بجفاء وبلهجة بافارية كلهجة مدير الرقابة :وما شأنك انت؟

— لقد اغتممت بامرك ياصديق . . ولكننا لانستطيع أن نتكلم هنا فى عرض الطريق . والا لاحظنا البعض

— وهل أنت ألمانى ؟

— أجل يا صديق .

فقال وقد احمرت عيناه كمدا وغيظا :

— لقد بدأت أرى أبناء وطنى أشنع قسوة من أولئك الكلاب الفرنسيين

— اسمع يا صديق . لك أن تشك فى صداقتى واستعدادى لمساعدتك

ولكن .. ينبغى الآن أن تتبعنى . فقد بدأنا نستثير فضول المارة .

وتقدم فون كرامان مسرعا ، وهو يسير من طريق الى آخر حتى وصلا أخيرا الى حارة ضيقة هادئة ، فوقف أمام مقهى صغير ، وراح يتلفت حولها حتى اطمأن الى ان أحدا لم يتبعهما ، فأشار للرجل اشارة سريعة ودخل . وكما لو كان خبيرا بالمكان ، قاد صاحبه الى حجرة خلفية صغيرة ، ثم جلسا الى جوار نافذة تطل على الشرب الصغير . وما لبثت أن تقدمت اليهما امرأة كئيبة المنظر . تبادلت مع الاميرال نظرة ذات معنى فأمرها فى خشونة بان تعد طعام غداء ، وحجرة نوم للرجل . ثم تحول الى الرجل بعد انصرافها وقال :

— اسمع يا صديقى . اذا كانت قصتك حقيقية فانا على استعداد لمساعدتك

فتردد الرجل برهة وهو ينظر اليه متشككا ثم قال فى مرارة :

— حسنا لن يضيرنى أن أقص حكايتى مرة أخرى . بل يلوح لى اننى سأكسب غداءك فى هذه المرة . لقد بدأت اخشى ان يكون الآخرون على صواب ، وانا وحدى المخطىء .. المجنون ! . هل تصدق ان الذى يجلس امامك من اغنى الرجال فى المانيا ؟ . أجل ، فأنا البريك فون شولتز . . وقد اختفيت فى بروسلز قبل دخول جيوشنا ، فى منزل مسجل خائن . . كشف سرى عندما رأى أن يستغله

وفى تلك اللحظة عادت المرأة تحمل البيرة ، فما كادت تضعها حتى أشار فون كرامان برأسه يصرفها فى تسرع ثم قال مشجعا الرجل على الحديث :

— والآن يا صديقى . . دعك من المقدمات وأدل بقصتك ..

فتساءل فون شولتز فى حذر : يبدو لى انك متسرع ، فلماذا ؟

— لانى كنت مهتما بأمر الشخص الذى كان يتخذ شخصيتك .

فصاح فون شولتز مندهشا : يتخذ شخصيتى؟

— أجل يا صديقى . . انه انجليزى . . جاسوس حاذق . . وقد افلح فى أن يقلدك تماما . . الى أقصى حد . وقد احتل مكانك منذ اختفائك .

فقال فون شولتز وقد أشرقت أساريره : آه ! . ان هذا يفسر المسألة.

ثم مضى يقص على الأميرال ، انه بعد اعتقاله فى بروسلز أسلم الى أيدى الفرنسيين فنقلوه الى جزيرة « الشيطان » حيث عانى الحياة القاسية بين

الأشقياء والقتلة ، وتحت الرقابة الشديدة التى كانت تحول دون وصول الخطابات التى أرسلها الى الحكومة الاسبانية للشكوى ، من المعاملة التى يلقاها رغم أنه أسير حرب ، فلما يئس ، حاول الفرار ، ولكنه أخفق ثلاث مرات . وحكم عليه بالاشغال الشاقة . فنقل الى المحاجر القائمة على الشاطىء الآخر ، وهناك قام بمحاولته الرابعة للفرار . مبتعدا جهد المستطاع عن منطقة المحاجر ليوهم الحراس أنه سقط فى احداها ومات .

وعثرت عليه عصابة إسبانية ، فراح يطوف معها فى جنوب فرنسا حتى سنحت له الفرصة فرحل خفية الى إسبانيا ، بعد أن سرق أوراق شخصية أحد رجال العصابة ، وهناك سار الى برشلونة حيث تقدم للقنصل الالمانى . وقص عليه أمره . بيد أن هذا — بعد أن اتصل ببرلين — طرده متهما إياه بالكذب ، مهدداً بان يبلغ السلطات الاسبانية أنه جاسوس ولذا رأى أن يبحر الى هولندا ، كعامل على ظهر احدى السفن ، آملا أن يجد من يصدق قصته أو أن يستطيع اجتياز الحدود الى المانيا فيتصل ببعض أقاربه ، ولكنه فوجىء بالاستقبال القاسى الذى تلقاه به القنصل فى روتردام

وعاوده الأسى الطاغى ، ثم أخرج من صدره حزمة من الأوراق قائلا :

— وهاك أوراق شخصية لازارو — ى — كافلان ، التى سرقتها

فمضى الأميرال يفحص الأوراق فى دقة ، ثم تناول منظاراً من جيبه . وراح يتأمل فى اهمام خاتم الحكومة الاسبانية . ثم قال فجأة :

— اسمع ياصديقى . ليس لدى الآن وقت أقضيه معك ، فقد سمعت صفير باخرة تدخل المرفأ . إننى الأميرال أوتو فون كرامان من رجال قلم المخابرات السرية الأمبراطورى ، ولسوف أتحرى عن قصتك من برشلونة فى أيام قلائل ولكننا نستطيع فى نفس الوقت أن نعمل معا . ولكن فى حذر وحيطة ، إذ أن منتحل شخصيتك ما كر كما انه محاط بكل الوسائل التى تكفل سلامته . كما انه يجد الحماية من السلطات فى بروسلز وبرلين على السواء . فمن الخير أن يظل وجودك مكتوما . مؤقتاً ، انه الآن فى برلين .

ثم نهض ، فالقى اليه بعض المال ليبتاع شيئا من الملابس ريثما يعود الأميرال اليه

الفصل الحادى والثلاثون

أسرار من انجلترا

عندما عاد فون كرامان الى المقهى . وجد فون شولتز فى حلة زرقاء جديدة من قماش رخيص ، و « كاسكيت » رخيصة أرخى حافتها على عينيه وقميص داكن ، يتصل بياقته رباط رقبة كحلى اللون

وكأنما لم ينقض على حديثهما السابق طويل وقت ، فقد شرع فون كرامان فى الكلام عند النقطة التى وقف إذذاك عندها :

— والآن ياصديقى . خطر لى اننا يجب ان نعمل فى سرعة ، فان الفرنسيين ولا بد سيسارعون الى انذار الجاسوس الانجليزى بفرارك .

فهز فون شولتز رأسه وقال وعلى شفتيه ابتسامة جافة :

— انى فى اعتقاد الفرنسيين قد مت ، اذ هم يعتقدون ان أى سجين لايغادر المحاجر إلا ميتاً . ولذا تعمدت أن أوهمهم بسقوطى فى حفرة عميقة ،

— ومع ذلك ياصديقى ، لايجب أن نضيع الوقت ، سأعد لك جوازا السفر توا ، وسيكون مزورا طبعا ، ولكنه سيحمل اسمك الحقيقى «ألبريك فون شولتز » وقد احتطت لكل شىء

وتوقف برهة ، ثم قال فى حقد :

— لقد تسبب هذا المزور فى تخفيض مرتبى ، وان يرضينى إلا أن أفضحه أمام الجنرال سيكرت فون آرمين . إن هذا المخادع فى برلين الآن ، كما قلت لك ، بينما تقيم خطيبته — وهى فتاة انجليزية — فى روتردام . فاذا حانت اللحظة الملائمة كى أوجه ضربتى ، فستصله برقية أينما كان ، تنبئه بان « الفراولين » الانجليزية قد اعتقلت فى بروسلز ، إذ ضبطت فى حيازتها جوازات زائفة ، واتهمت بانها جاسوسة خطرة . وسيدفعه هذا الى الاسراع بالعودة الى بروسلز . . الى حيث يكمن دماره ، وانتصارنا .

وبدت فى ظلام المقهى أشباح تتحرك ، فنظر الأميرال فى ترقب من خلال النافذة الصغيرة المطلة على المشرب ، وما لبثت المرأة أن طرقت الباب وأومأت اليه رقما ، فهز رأسه موافقاً وفى اللحظة التالية دخل خادم فندق برلنر. كارل

قال: لقد حصلت على الرسائل ياسيدى . فقد وصل السيد الانجليزى

ثم أخرج من جيبه فى حرص ، لفة ربطت فى عناية ، فاشرق وجه الاميرال ، وفضها فى لهفة وراح يتفحص الكتابة الدقيقة التى على الورق الرفيع ثم رفع وجهه فقال للخادم :

— انتظر فى الشرب فلدى أوامر أخرى لك

وإذ انصرف كارل ، قال فون كرامان :

— يجب قبل كل شىء ان أعد التعليمات التى سترسل لانجلترا . ثم اطمئن على إرسال هذه بسلام الى برلين . وبعد ذلك ياصديق سأكون فى عونك . وعليه فى هذه الأثناء أن تظل مختفيا هنا

الفصل الثانى والثلاثون

التحذير

قصت جوان على أبيها عند عودته أمر تلك النجاة الغريبة التى أتيحت لها فى بروسلز ، بعد ان أخذت عليه المواثيق بالكتمان . كما ذكرت له شكوك بروت فيرهاجن فى البروفسور كيرمان ، وفى ان جالى فهيل أداة فى يده . ومن ثم ذكرت له ماتعمدته البارونة من جمعها بالماجور الألمانى شبيه كلايف . ولكنها ماكادت تذكر له عزم البارونة على الزواج من ذلك الضابط حتى تولاه الوجوم .

وزاد من أساه ان دعتهما البارونة الى الغداء ، فلاحظ انها تتعمدالابتعاد عنه وتتحاشى الانفراد به . حتى اذا هم بالانصراف مع ابنته ، دعاها الى العشاء فى اليوم التالى ذاكرا لها انه سيسافر بعد غد مصطحبا جوان ، وقد لايعودان ، إذ سيرأس بعثة الى أمريكا . . . على انه ما كاد ينصرف مع جوان ، حتى وفد فون كرامان وهو يتهلل فرحا ، فأفضى اليها باكتشافه لشخصية فون شولتز الحقيقية ، وراح يحدثها عن انتصاره المنتظر على الجاسوس الانجليزى ، الانتصار الذى سيعيد اليه مركزه ويضفى عليه الأوسمة والنياشين . ثم سألها عن السير جورج ، وإذ علم انه دعاها الى العشاء ، وعدها بأن يخلى

لها الجو .. وبعد تردد أفضى اليها بخطته اذ سيختطف جوان وطلب اليها أن تهدىء مخاوف ابيها اذا ارتاب فى غيابها .

ولكن . . ما أن غادر الأميرال القصر ، حتى أسرعت إلى المكتبة . . فكتبت لحبيبها فى برلين : « احذر ياحبيبي — ف . ك . عثر على شولتز الحقيقى — عد حالا إلى روتردام — أحرق هذه حرصا على حياتى »

« * »

كان فريتز بيرجر ينتظر سيده فى قرية « ايسشن » القائمة عند الحدود والتى كانت تعد مأوى للجنود الألمان ، الذين أنيط بهم حراسة هذه الحدود . وكان كلايف قد تصادق مع الضابط الشاب الذى يرأس هؤلاء الجنود . . واتفق معه على أن يعيش فريتز معه كواحد منهم ، وأن يصرف له غذاء مثلهم

وفى ذات يوم ، استيقظ فريتز مبكراً ، فغادر كوخه ، ولكنه لاحظ فجأة ، سيارة تقف أمام كوخ الحارس . فاقترب منها ، واذ ذاك رأى وجها شاحبا لفتاة فاقدة الوعى ، فما أن تأمله حتى تذكر انه وجه الفتاة التى اعترض طريق رجل البوليس السرى ذات يوم فى بروسلز، حتى لايقترب منها ، والتى أخبره فيرهاجن انها من أعز الناس على « الهر » ماجور .. فاختفى وراء أحد الأعمدة القائمة عند الحدود . ولدهشته رأى فون كرامان يغادر حجرة الحارس ، بعد أن حصل على تصريح بالمرور، فيمتطى السيارة ويتولى قيادها فى طريق مهجور ، كان فريتز خلال طوافه بالقمة قد عرف انه يفضى الى قلعة خربة مهدمة .

وعاد فريتز الى الكوخ ثانية ، فظل يرقب الطريق ، وما لبث أن رأى السيارة تعود حاملة فون كرامان وحده . فقرر فى نفسه أن لا بد فى الأمر سرا يجب كشفه . ولذا اتجه الى مخزن الامتعة ، فحمل حقيبة جلدية . وتأكد من وجود مسدسه فى نطاقه ، ثم اتخذ طريقه صوب القلعة الخربة . دون أن يثير انتباه الجنود . واذ بلغها ، اخفى الحقيبة فى مكان قريب ، ثم طاف بانقاض القلعة فلم يجد غير عجوز ثقيلة السمع ، صاح فيها ملوحا بمسدسه : لقد ارسلنى الهر لأعنى بالفراولين . فأين هى ؟ .

فقادته الى الحجرة الوحيدة الباقية من القلعة ، والتى كانت تستعمل

رواية العدد القادم

الذى يصدر يوم الأحد كالمعتاد

البغاء

رواية بوليسية حافلة بالالغاز

بطلها البوليس السرى الصينى المحبوب

شارلى تامه

بقلم الكاتب الانجليزى الكبير

ارل دير بيجرز

تعريب الاستاذ

محمود حسنى العرابى

يوما كمطبخ . ثم تحولت الى الوقد ، فضغطت زرا خفيا ، واذذاك انزاحت من الجدار المقابل صخرة كبيرة ، كشفت عن فراش خشبي ، رقدت عليه جوان هارلند فاقدة الوعي . فبحث فريتز حتى عثر على طعام وماء ، وضعهما في المخبأ خشية أن تعود الى وعيها فتحتاج اليهما ، ثم فحص الزر حتى اكتشف سره ، وعندئذ اعاد الصخرة مكانها ، ومكث ينتظر في الخارج وبنفسه شعور بأن سيده ولا بد قريب من المكان .

الفصل الثالث والثلاثون

مخلب ادارة المخابرات

كانت جالي فهيل تجلس مترقبة في قلق ولهفة وصول خطاب يطمئنها على أن حبيبها تسلم تحذيرها ، حين اتصل بها فون كرامان تليفونيا ينبئها بفقدالرسالة التي وصلت من انجلترا ويطلب اليها أن تأمر الخدم بالبحث عنها في كل ركن من البيت . ثم أخبرها أن جوان قد خدرت بمساعدة كارل خادم الفندق ونقلت في الصباح الباكر عبر الحدود ، ولذا فعليها أن تهدئ مخاوف السير جورج حلال الاربع والعشرين ساعة التالية ، مهما كلفها ذلك .

وما لبثت ان حملت هيلجا إلى سيدتها عددا من الرسائل ، فأسرعت هذه تقلبها حتى وجدت الخطاب المنتظر من حبيبها ، فأسرعت تفضه ولكنها وجدت نفسها في حيرة ، إذ كان تاريخه بعد أربعة أيام من ذلك اليوم . فعجبت والتقطت الغلاف ، فاذا به يحمل خاتم برلين . وجلست لحظة مدهوشة مذهولة وكأنها أمام لغز غامض ، ثم تكشفت لها الحقيقة . فلا بد ان حبيبها ارسل عدة خطابات إلى احد اعوانه في برلين ، ليرسلها تباعا . فكان أن اخطأ هذا فأرسل اليها خطابا غير الذي كان يجب أن يرسله هذه المرة . اذن فلم يكن الهر ماجور صادقا ، فما الذي حمله على ذلك ؟ . . ومن يكون ؟ . . اهو الكابتن كلايف جرانفيل ؟ . وايقنت ان الحب اعمى بصيرتها واضلها حين رفضت ان تصدق أن حبيبها جاسوس يعمل لحساب دولة عدوة . .

وسمعت صوت سيارة تقف بالباب ، فأطلت من النافذة لترى فون

كرامان يقفز فى عجلة الى باب القصر .. وفجأة ، ارتجفت فى عنف اذ رأت فى السيارة شخصا يشبه حبيبها كل الشبه . ورأت هياجا تلفت حولها ، ثم تهرع نحو هذا الشخص فتتحدث اليه فى عجلة واهتمام ، واومضت الحقيقة فى ذهنها كلمح البصر ، فتحولت فى انزعاج إلى المكتبة ، وقد احست انها لن تستطيع أن تصمد أمام غضب الاميرال ، فلابد انه سينتزع منها الحقيقة هذه المرة ، وينكل بها .. وتولاها رعب مروع للخطر الذى يهددها من جراء التحذير الذى أرسلته لحبيبها فى برلين ، رغم ما فيه من خيانة لوطنها .

وأخيرا ، وصل فون كرامان الى حجرة المكتبة ، ولكنه ما كاد يتقدم حتى وقف جامدا مبهوتا ، اذ رأى البارونة مستلقية على الأريكة ، وقد تضوع جو الحجرة بشذى عطر حاد الرائحة . خطا مسرعا — بعد أن تخلص من ذهوله — ووقف يتأمل الوجه الذى زحفت الى ملامحه الجميلة ، صفرة الموت ، ومضى يقلب الجثة ، ولكن .. لم يكن ثمة أمل فى ان بها رمقا من الحياة . فقد ماتت حالى فهبل .

وطافت عيناه بالحجرة ، فرأى زجاجة سم الى جوار الجثة .. وخطابا تناثرت عليه بقع فى لون الدم المتجمد . فالقى نظرة سريعة على الخطاب ، واذداك تسربت فى ذهنه فى بطء ، الحقيقة المذهلة .

وألقى من خلال النافذة نظرة مغيظة محنقة ، ثم عض على شفتيه ، وانطلق الى السيارة ، فعاد يقودها فى صمت ، حتى اجتاز بها الحدود ، واتجه الى القلعة الخربة .. ولكن أحدا لم يفطن عندما وصل مع زميله ، الى المراقب المختفى بين الاطلال .. الى فريتز بيرجر .

واتجه الاميرال وخلفه زميله الى المطبخ فصرف العجوز الحارسة فى جفاء ، ثم ضغط الزر الخفى ، فدهش صاحبه اذ رأى صخرة تتحرك لتكشف عن فراش استلقت عليه جثة .. بينما دعاه فون كرامان فى لهجة ساخرة ليرى زميلتهما فى الرحلة .

ووقف الشاب يرقب وجه جوان ، التى بدأت عيناها تختلجان دليل عودتها الى وعيها . بيد أنه لم يلبث أن التفت فجأة ، إذ سمع الأميرال ينهال عليه سبا وتهديدا ، فرآه يصوب مسدسه نحوه وهو يقول :

— والآن . . لقد حانت الفرصة يا كابتن جرانفيل لتبرهن على شجاعتك فقد كشفت خدعتك الاخيرة . إذ أخطأ رجلك فى برلين فى ارسال الخطاب الملائم لتاريخ اليوم . وهذا يوحى الى بان الرسالة التى وصلت من انجلترا ، لابد أن تكون معك ، والآن ، سأقتلك أولا ، وقد حرصت عندما اجتزنا الحدود على أن أصدر التعليمات لفرقة من الجنود كى يتبعونا وسيصلون بعد لحظات لحمل جثة جاسوس انجليزى حقير ، ولاعتقال الآنسة الفاتنة . التى لن يلبثوا أن يعثروا معها على جواز المرحومة جالى فهبل . وأنت تعرف مايحدث للجاسوسات إذا وقعن فى أيدى الجنود المشتعلين رغبة فى الانتقام !.

وأحس الشاب بيد ناعمة تمس يده ، بينما عاد الأميرال يقول :

— لقد حانت ساعتك ياجرانفيل فتجلد .

بيد أنه قبل أن يضغط الزناد ، سمع دوى بين الانقاض ، سقط على أثره المسدس من يد فون كرامان ، الذى مالبث أن هوى الى الأرض جثة هامدة . وقبل أن يفقه الشاب ماحدث ، وقعت عيناه على فريتز بيرجر وسمعه يقول :

— اسرع ياهر ماجور . . هاهى ملابسك الرسمية فارتدها !.

عندما فتحت جوان هارلند عينيها ثانية ، وجدت الشاب فى ملابس ضابط المانى ، فخالت نفسها فى حلم مزعج . ولكنها أحست به يحملها ، ثم يطبع على شفتيها قبلة حارة مشتاقة ، ويتجه بها بعد ذلك الى السيارة حيث كان فريتز بانتظارهما . . وأسرع كلايف يقود السيارة فى طريق مهجور لا يراقبه غير جندى ، ما أن رآه فى ملابس الماجور الألمانى حتى سمح له باجتياز الحدود ، فانطلق حتى التقى بسائق سيارة هولندى منحه أجرا كبيرا ليحمل جوان فى غيبوبتها الى الفندق .

وما أن تم ذلك ، حتى ارتد كلايف عائدا فى الطريق المهجور ، وقد تولاه القلق من ناحية فريتز ، اذ عرف أنه أدرك سره . ورغم اعترافه بجميله رأى أن لابد له من التخلص منه . وكأنما فطن فريتز الى ذلك ، فما أن رآه يوقف السيارة فى مكان منعزل حتى قال :

— انى أفكر فى نفس ما يساورك ياهر ماجور ، وأدرك مدى الملك . ولكن .. لقد سمح لى المسيو فيرهاجن أن أبوح بالسر إذا اضطرتنى الظروف

ونظر اليه كلايف مشدوها ، بينما تابع هو قوله :

— لقد حان لك أن تعرف انني أيضا من رجالكم .

وأدرك كلايف السر فانطلق ضاحكا ، وتقدم يصافحه بحرارة . . ثم عاد فريتز يقول :

— أظن أنه من الخير أن تقصد الى انتويرب فتغيب أياما ريثما تزول عن وجهك الدوب واثار الارهاق . ثم عد الى « ايسشن » كأنك عائد من برلين ، لتصحبني . . أما أنا ، فسأعود لتوى الى الكوخ بعد أن اشعل النار في السيارة . . ولا اظنهم قد شعروا بغيابي .

الخاتمة

الشفاه المقفلة

كان الضباب كثيفا في سماء لندن في صباح احد أيام نوفمبر سنة ١٩١٦ . بيد أنه لم يعق ممرضة رشيقة ، عن أن تفحص ارقام المنازل القائمة في حدائق كامفورد ، حتى وقفت امام المنزل رقم ١٦ . فقد تسلمت جوان هارلند في الصباح برقية اثارت قلقها إذ جاء فيها : « تعالى إلى ١٦ حدائق كامفورد حالا — تامبلمان » . فدقت الجرس ، وما لبثت أن وجدت جنديا بانتظارها ليقودها الى حجرة الكولونيل الذي تلقاها بترحاب ، ثم قال بعد أن استقر بها المقام :

— لدى مفاجأة سارة لك يامس هارلند . .

ثم سمع كلاهما صوت سيارة تقف خارج المنزل ، اعقبها رنين الجرس ، فأشرق وجه تامبلمان .. وما لبثت جوان أن رأت نفسها تتطلع إلى وجه حبيب يعلو قامة طويلة في ملابس رسمية . وراعها أن ترى ذراع كلايف مربوطة الى صدره في لفافة ضخمة ، فتتابعت في عينيها اضواء الدهشة والسعادة ، ثم تندتا بطبقة من الدموع . .

وغادرهما الكولونيل وحيدين ، ربما يحضر بعض الشراب احتفاء بالمناسبة . واذ ذاك ضمها كلايف الى صدره بذراعه السليمة ، في شوق وحنين ، وطبع على شفتيها قبلة محمومة .

وعاد الكولونيل يحمل بنفسه ادوات الشراب ، فصاح فى مرح :

— لنشرب نخب عودة الماجور كلايف جرانفيل سالما . .

وما أن أفرغوا كؤوسهم حتى قال تامبلمان فى لهجة رصينة :

— مس هاراند ، لقد دعوتك اليوم لأسألك وعدا من أجل الباقين الذين مازالوا يعملون سعيا وراء أغراضنا فى بلجيكا . . لاينبغى أن يعرف سوى ثلاثتنا شيئا عن المهمة التى قام بها جرانفيل . . فارجو أن تعديني بالتزام الصمت ...

— انى أعدك يا كولونيل تامبلمان .

فتحول الى كلايف قائلا : حدث مس جوان عن مجاتك .

فنظر كلايف مبتسما الى جوان ، ثم مضى يقول انه انتدب للتحقيق مع الأسرى الانجليز فى أحد المعتقلات الألمانية ، ولكن الطائرات البريطانية أغارت على المعسكر فجرح وحمل الى احدى المصحات ، التى مالبث الانجليز أن استولوا عليها . . وهناك . . أرسل فى طلب مدير المستشفى . . وبعد ان أخذ عليه المواثيق المشددة بالكتمان ، قص عليه أمره فاتصل المدير بالكولونيل تامبلمان ، وكان ان نقل كلايف سرا الى انجلترا . .

ونظر الكولونيل بعطف الى العاشقين ثم قال متهللا :

— لنشرب نخب الشفاء المقفلة . !

***

وفى حجرة المكتبة بقلعة صغيرة أقيمت على صخرة محصنة وسط نهر اللوار ، جلس سجين منهمكا فى الكتابة . . كان قد كتب عدة مرات الى وطنه — المانيا — ولكنه لم يتلق ردا ، فأغضبه الأهمال ، وقنع باعتزال العالم فى تلك المكتبة ، حيث توفر على وضع رسالة عن « السلم » معتزما ان يوقف حياته وثروته ومواهبه فى سبيل ضمان السلم ، اذا ما انتهى الصراع الرهيب . .

وكذلك كان يحلم . . البريك فون شولتز الحقيقى

تمت